

السيرة النبوية

المجلد الثامن

د. مكي
نجار



السيرة النبوية

الجزء الثامن

تأليف
مجلس الخائني

شبكة كتب الشيعة



shiabooks.net

رابطہ بدیل < mktba.net

القسم الرابع،

علوم عثمان

الباب الأول،

النواهي المختلفة



الفصل المآل:

القضايا الفقهية والعلمية

أبطل عثمان سنة القصر في الصلاة

معادة الأمويين للنبي ﷺ ألقت بظلالها على أفعال عثمان الذي خالف رسول الله ﷺ في كثير من الأفعال ولم يتورع عن مخالفته في الصلاة ﷺ قال أحمد بن حنبل^(١): صلى رسول الله ﷺ الصلاة بمئى ركعتين وصلّاها أبو بكر بمئى ركعتين، وصلّاها عمر بمئى ركعتين، وصلّاها عثمان بن عفان بمئى ركعتين أربع سنين ثم أتمّها بعد، فأبطل سنة القصر في الصلاة^(٢). وأخرج الشيخان وغيرهما بالإسناد عن عبد الرحمن بن يزيد قال: صلى بنا عثمان بن عفان بمئى أربع ركعات، فقل ذلك لعبد الله بن مسعود، فاسترجع ثم قال: صلّيت مع رسول الله ﷺ بمئى ركعتين، وصلّيت مع أبي بكر بمئى ركعتين، وصلّيت مع عمر بن الخطاب بمئى ركعتين، فليت حظي من أربع ركعات ركعتان متقبلتان^(٣).

(١) مسند أحمد ١٤٥ / ٣.

(٢) العواصم من القواصم، ابن عرى ٦١.

(٣) صحيح البخاري، ١٥٤ / ٢ [٣٦٨ / ١ ح ١٠٣٤]، صحيح مسلم، ١ / ٢٦٦ [١٤٢ / ٢ ح ١٩] كتاب صلاة

وأخرج أبو داود وغيره عن عبد الرحمن بن يزيد قال: صلى عثمان بمى أربعاً، فقال عبدالله: صليت مع رسول الله ﷺ ركعتين، ومع أبي بكر ركعتين، ومع عمر ركعتين، ومع عثمان صدرأ من إمارته ثم أتمها، ثم تفرقت بكم الطرق فلوددت أن لي من أربع ركعات ركعتين متقبلتين، قال الأعمش: فحدثني معاوية بن قرة عن أشياخه: أن عبدالله صلى أربعاً فقبل له: عبت على عثمان ثم صليت أربعاً؟ قال: الخلاف شر^(١).

وأخرج البيهقي^(٢) عن عبد الرحمن بن يزيد قال: كتنا مع عبدالله بن مسعود بجمع، فلما دخل مسجد منى قال: كم صلى أمير المؤمنين؟ قالوا: أربعاً، فصلّى أربعاً قال: فقلنا: ألم تحدثنا أن النبي ﷺ صلى ركعتين، وأباً بكر صلى ركعتين؟ فقال: بلى وأنا أحدثكموه الآن، ولكن عثمان كان إماماً لها أخالفه والخلاف شر.

وأخرج البيهقي^(٣)، عن عثمان بن عفان أنه أتم الصلاة بمى، ثم خطب الناس فقال: يا أيها الناس إن السنة سنة رسول الله ﷺ وسنة صاحبيه، ولكنه حدث العام من الناس فخفت أن يستنوا، وأخرجه ابن عساكر كما في كنز العمال^(٤).

وأخرج أبو داود وغيره عن الزهري: أن عثمان بن عفان أتم الصلاة بمى من أجل الأعراب لأنهم كثروا عامئذٍ فصلّى بالناس أربعاً ليعلمهم أن الصلاة أربعاً^(٥).

→ المسافرين، [مسند أحمد: ٤٢٥/١ ح ٧٠٠/١ ح ٤٠٢٤].

(١) سنن أبي داود: ٣٠٨/١ ح ١٩٩/٢ ح ١٩٦٠، الآثار للقاضي أبي يوسف، ص ٣٠، كتاب الأم للشافعي،

١٥٩/١ و ١٧٥/٧ و ١٨٥/١ [٢٤٨/٧].

(٢) سنن البيهقي ١٤٤/٣.

(٣) السنن الكبرى ١٤٤/٣.

(٤) كنز العمال، ٢٣٤/٨ ح ٢٢٧٠١.

(٥) سنن أبي داود: ٣٠٨/١ ح ١٩٩/٢ ح ١٩٦٤، سنن البيهقي: ١٤٤/٣، تفسير الوصول: ٢٨٦/٢ [٣٤٣/٢].

وروى ابن حزم في المحلى^(١): اعتلّ عثمان وهو بمى، فأتى عليّاً عليه السلام فقبل له: صلّ بالناس فقال: إن شئتم صلّيت بكم صلاة رسول الله ﷺ، يعني ركعتين قالوا: لا، إلا صلاة أمير المؤمنين - يعنون عثمان - أربعاً فأبى، وذكره ابن التركماني في ذيل سنن البيهقي^(٢). وأخرج إمام الحنابلة أحمد في مسنده^(٣) عن عبدالله بن عمر قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ فكان يصليّ صلاة السفر - يعني ركعتين - ومع أبي بكر وعمر وعثمان ستّ سنين من إمرته ثم صلىّ أربعاً.

وأخرج البيهقي في السنن الكبرى^(٤): أن رجلاً سأل عمران بن حصين عن صلاة رسول الله ﷺ في السفر فقال: اثنتي مجلسنا. فقال: إن هذا قد سألني عن صلاة رسول الله ﷺ في السفر فاحفظوها عني:

ما سافر رسول الله ﷺ سراً إلا صلىّ ركعتين حتى يرجع ويقول: يا أهل مكة قوموا فصلّوا ركعتين فأبانا سفر، وغزا الطائف وحنين فصلّى ركعتين، وأتى الجعرانة فاعتمر منها، وحججت مع أبي بكر واعتمرت فكان يصليّ ركعتين، ومع عمر بن الخطاب فكان يصليّ ركعتين، ومع عثمان فصلّى ركعتين صدرأ من إمارته، ثم صلىّ عثمان بمى أربعاً، وفي لفظ الترمذي في الصحيح^(٥): ومع عثمان ستّ سنين من خلافته أو ثمانين سنين فصلّى ركعتين، فقال: حسن صحيح.

→ نيل الأوطار: ٢٦٠/٢ [٢٤١/٣].

(١) المحلى: ٤/ ٢٧٠.

(٢) سنن البيهقي: ١٤٤/٣.

(٣) مسند أحمد: ١٣٧/٢ ح ٥٠٢١.

(٤) سنن البيهقي: ١٥٣/٣.

(٥) سنن الترمذي: ٤٣٠/٢ ح ٥٤٥.

وفي الكنز^(١) من طريق الدارقطني عن ابن جريج قال: سأل حميد الضمري ابن عباس فقال: إني أسافر فأقصر الصلاة في السفر أم أتمها؟

فقال ابن عباس: لست تقصرها ولكن تمامها وسنة رسول الله ﷺ، خرج رسول الله ﷺ آمناً لا يخاف إلا الله فصلّى اثنتين حتى رجع، ثم خرج أبو بكر لا يخاف إلا الله فصلّى ركعتين حتى رجع، ثم خرج عمر آمناً لا يخاف إلا الله فصلّى اثنتين حتى رجع، ثم فعل ذلك عثمان ثلثي إمارته أو شطرها ثم صلاها أربعاً، ثم أخذ بها بنو أمية، قال ابن جريج: فبلغني أنه أوفى أربعاً ببنى فقط من أجل أن أعرابياً ناداها في مسجد الخيف ببنى: يا أمير المؤمنين ما زلت أصليها ركعتين منذ رأيتك عام أول صليتها ركعتين، فخشي عثمان أن يظن جهال الناس الصلاة ركعتين وإنما كان أوفاهما ببنى.

وأخرج أحمد في المسند^(٢) من طريق عباد بن عبد الله قال: لما قدم علينا معاوية حاجتاً صلى بنا الظهر ركعتين بمكة، ثم انصرف إلى دار الندوة فدخل عليه مروان وعمر بن عثمان فقالا له: لقد عبت أمر ابن عمك لأنه كان قد أتم الصلاة، وكان عثمان حيث أتم الصلاة إذا قدم مكة صلى بها الظهر والعصر والعشاء أربعاً أربعاً، ثم إذا خرج إلى منى وعرفة قصر الصلاة فإذا فرغ الحج وأقام ببنى أتم الصلاة، وذكره ابن حجر في فتح الباري^(٣)، والشوكاني في نيل الأوطار^(٤).

(١) كنز العمال: ٢٣٨/٨ ح ٢٢٧٢٠.

(٢) مسند أحمد: ٥٨/٥ ح ١٦٤١٥.

(٣) فتح الباري: ٢/ ٥٧١.

(٤) نيل الأوطار: ٣/ ٢٤٠ - ٢٤١.

وروى الطبري في تاريخه^(١) وغيره: حجّ بالناس في سنة (٢٩) عثمان فضرب
بمضى فسقاطاً فكان أول فسقاطٍ ضربه عثمان بمضى، وأتم الصلاة بها وبعرفة، فذكر
الواقدي بالإسناد عن ابن عباس قال: إن أول ما تكلم الناس في عثمان ظاهراً أنه
صلى بالناس بمضى في ولايته ركعتين حتى إذا كانت السنة السادسة أتمها، فعاب ذلك
غير واحد من أصحاب النبي ﷺ، وتكلم في ذلك من يريد أن يكثر عليه حتى
جاءه عليّ فبمن جاءه فقال: والله ما حدث أمر ولا قدّم عهد ولقد عهدت
نبيك ﷺ يصلي ركعتين، ثم أبا بكر، ثم عمر، وأنت صدرأ من ولايتك، فما أدري ما
يرجع إليه؟ فقال: رأي رأيته.

وعن عبد الملك بن عمرو بن أبي سفيان الثقفي عن عمته قال: صلى عثمان
بالناس بمضى أربعاً فأتى آت عبد الرحمن بن عوف فقال: هل لك في أخيك قد صلى
بالناس أربعاً، فصلّى عبد الرحمن بأصحابه ركعتين، ثم خرج حتى دخل على عثمان
فقال له: ألم تُصلّ في هذا المكان مع رسول الله ﷺ ركعتين؟

قال: بلى.

قال: ألم تُصلّ مع أبي بكر ركعتين؟

قال: بلى.

قال: أفلم تُصلّ مع عمر ركعتين؟

قال: بلى.

قال: ألم تُصلّ صدرأ من خلافتك ركعتين؟

قال: بلى.

(١) تاريخ الأمم والملوك: ٤ / ٢٦٧ حوادث سنة ٢٩ هـ

قال: فاسمع مني يا أبا محمد إنني أخبرتك أن بعض من حج من أهل اليمن وجفأة الناس قد قالوا في عامنا الماضي: إن الصلاة للمقيم ركعتان هذا إمامكم عثمان يصلي ركعتين. وقد اتخذت بمكة أهلاً فرأيت أن أصلي أربعاً لحوف ما أخاف على الناس، وأخرى قد اتخذت بها زوجة، ولي بالطائف مال، فربما اطلعت فأقت فيه بعد الصدر.

الصلاة سكراناً

أخرج البلاذري في الأنساب^(١): أن الوليد بن عقبة شرب فسكر فصلى بالناس الغداة ركعتين^(٢) ثم التفت فقال: أزيدكم؟

فقالوا: لا قد قضينا صلاتنا، ثم دخل عليه بعد ذلك أبو زينب وجندب بن زهير الأزدي وهو سكران فانتزعا خاتمه من يده وهو لا يشعر سكرأ.

قال أبو اسحاق: وأخبرني مسروق أنه حين صلى لم يرم حتى قاء، فخرج في أمره إلى عثمان أربعة نفر: أبو زينب، وجندب بن زهير، وأبو حبيبة الغفاري، والصعب بن جثامة، فأخبروا عثمان خبره، فقال عبدالرحمن بن عوف: ماله أجن؟ قالوا: لا، ولكنه سكر.

قال: فأوعدهم عثمان وتهدهم، وقال لجندب: أنت رأيت أخي^(٣) يشرب الخمر؟

(١) أنساب الأشراف ٥ / ٣٣.

(٢) هكذا في الأنساب وصحيح مسلم [٥٣٩/٣ ح ٣٨ كتاب الحدود] وأما بقية المصادر فكلها مطبقة على أربع ركعات وستوافيك إن شاء الله تعالى.

(٣) كان الوليد أخاه لأنه، أنها أروى بنت كرز بن ربيعة بن حبيب بن عبدشمس.

قال معاذ الله، ولكي أشهد أني رأيت سكران يقلسها من جوفه، وأنّي أخذت خاتمه من يده وهو سكران لا يعقل.

قال أبو إسحاق: فأقّ الشهود عائشة فأخبروها بما جرى بينهم وبين عثمان، وأنّ عثمان زهرهم، فنادت عائشة: أنّ عثمان أبطل الحدود وتوعدّ الشهود. وقال الواقدي: ويقال: إنّ عثمان ضرب بعض الشهود أسواطاً، فأتوا عليّاً فشكوا ذلك إليه، فأقّ عثمان فقال: «عطّلت الحدود وضربت قوماً شهدوا على أخيك فقلّبت الحكم، وقد قال عمر: لا تحمل بني أمية وآل أبي معيط خاصّة على رقاب الناس» قال: فما ترى؟

قال: «أرى أن تعزله ولا تولّيه شيئاً من أمور المسلمين، وأن تسأل عن الشهود فإن لم يكونوا أهل ظنّة ولا عداوة أقمت على صاحبك الحدّ». قال: ويقال: إنّ عائشة أغلظت لعثمان وأغلظ لها.

وقال: وما أنت وهذا؟ إنّما أمرت أن تقرّي في بيتك، فقال قوم مثل قوله: وقال آخرون: ومن أولى بذلك منها، فاضطربوا بالنعال، وكان ذلك أوّل قتال بين المسلمين بعد النبي ﷺ.

وأخرج من عدّة طرق: أنّ طلحة والزبير أتيا عثمان فقالا له: قد نهيناك عن تولية الوليد شيئاً من أمور المسلمين فأبيت وقد شهد عليه بشرب الخمر والسكر فاعزله، وقال له عليّ ؑ: «اعزله وحّدّه إذا شهد الشهود عليه في وجهه»، فوّل عثمان سعيد بن العاص الكوفة وأمره بإشخاص الوليد، فلمّا قدم سعيد الكوفة غسل المنبر ودار الإمامة وأشخص الوليد، فلمّا شهد عليه في وجهه وأراد عثمان أن يحّدّه

ألْبَسَهُ جُبَّةَ حَبَرٍ وَأَدْخَلَهُ بَيْتًا، فَجَعَلَ إِذَا بَعَثَ إِلَيْهِ رَجُلًا مِنْ قُرَيْشٍ لِيَضْرِبَهُ قَالَ لَهُ الْوَلِيدُ: أُنَشِّدُكَ اللَّهَ أَنْ تَقْطَعَ رَحْمِي وَتَقْضِبَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْكَ، فَيَكْفَ فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ عَلِيٌّ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ أَخَذَ السُّوْطَ وَدَخَلَ عَلَيْهِ وَمَعَهُ ابْنُهُ الْحَسَنُ، فَقَالَ لَهُ الْوَلِيدُ مِثْلَ تِلْكَ الْمَقَالَةِ، فَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ: صَدَقَ يَا أَبَتِي، فَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا أَنَا إِذَا بَجُزْمٍ، وَجِلْدُهُ بِسُوْطٍ لَهُ شَعْبَتَانِ؛ وَفِي لَفْظٍ: فَقَالَ عَلِيٌّ لِلْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ابْنُهُ: قُمْ يَا بُنَيَّ فَاجْلِدْهُ، فَقَالَ عُثْمَانُ: يَكْفِيكَ ذَلِكَ بَعْضُ مَنْ تَرَى، فَأَخَذَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ السُّوْطَ وَمَشَى إِلَيْهِ فَجَعَلَ يَضْرِبُهُ وَالْوَلِيدُ يَسْتَبْهِ؛ وَفِي لَفْظِ الْأَغَاثِيِّ: فَقَالَ لَهُ الْوَلِيدُ: نَشَدْتُكَ بِاللَّهِ وَبِالْقُرَابَةِ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «اسْكُتْ أَبَا وَهْبٍ فَإِنَّمَا هَلَكْتَ بَنُو إِسْرَائِيلَ بِتَعْطِيلِهِمُ الْخُدُودَ» فَضْرِبُهُ وَقَالَ: «لَتُدْعُونِي قُرَيْشٌ بَعْدَ هَذَا جَلَادَهَا».

قَالُوا: وَسُئِلَ عُثْمَانُ أَنْ يَحْلُقَ، وَقِيلَ لَهُ: إِنَّ عَمْرَ حَلَقَ مِثْلَهُ، فَقَالَ: قَدْ كَانَ فَعَلَ ذَلِكَ ثُمَّ تَرَكَهُ.

وَقَالَ أَبُو مَخْنَفٍ وَغَيْرُهُ: خَرَجَ الْوَلِيدُ بْنُ عَقْبَةَ لَصَلَاةِ الصُّبْحِ وَهُوَ يَمِيلُ فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ التَفَتَ إِلَى النَّاسِ فَقَالَ: مَا أَزِيدُكُمْ؟ فَقَالَ لَهُ عَتَابُ بْنُ عَلَاقٍ أَحَدُ بَنِي عَوَافَةَ بْنِ سَعْدٍ وَكَانَ شَرِيفًا: لَا زَادَكَ اللَّهُ مَزِيدَ الْخَيْرِ، ثُمَّ تَنَاوَلَ حَفْنَةً مِنْ حَصَى فَضْرَبَ بِهَا وَجْهَ الْوَلِيدِ وَحَصَبَهُ النَّاسُ وَقَالُوا: وَاللَّهِ مَا الْعَجَبُ إِلَّا مَنَ وَلَّاكَ، وَكَانَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَرَضَ لَعْنَابَ هَذَا مَعَ الْأَشْرَافِ فِي أَلْفَيْنِ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ: أَنَّ التِّيَّ غَلَبَ عَلَى الْوَلِيدِ فِي مَكَانِهِ، وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ قَيْسٍ الْأَرْحَمِيُّ وَمَعْقِلُ بْنُ قَيْسٍ الرِّيَّاحِيُّ: لَقَدْ أَرَادَ عُثْمَانُ كَرَامَةَ أَخِيهِ بِهِوَانَ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَفِي الْوَلِيدِ يَقُولُ الْحَطِيطَةُ جَرُولُ بْنُ أَوْسٍ بْنِ مَالِكِ الْعَبْسِيِّ:

شهد الحطيئة يوم يلتقى رثه أن الوليد أحقُّ بالمذر
نادى وقد نفدت^(١) صلاتهم آزيدكم؟ ثملاً وما يدري
ليزيدهم خيراً ولو قبلوا منه لزادهم على عشر
فأبوا أباهب ولو فعلوا لقرنت بين الشفع والوتر
حبوا عنانك إذ جريت ولو خلوا عنانك لم تزل تجري^(٢)
وذكر أبو الفرج في الأغاني^(٣)، وأبو عمر في الاستيعاب^(٤) بعد هذه الأبيات
للحطيئة أيضاً قوله:

تكلم في الصلاة وزاد فيها علانية وجاهر بالنفاق
ومجّ الخمر في سنن المصلّي ونادى والجميع إلى افتراق
ءأزيدكم على أن تحمدوني فمالكُم ومالي من خلّاق
ثم قال أبو عمر: وخبر صلاته بهم وهو سكران وقوله: ءأزيدكم؟ بعد أن صلى
الصبح أربعا مشهور من رواية الثقات من نقل أهل الحديث وأهل الأخبار.
وهكذا جاء في مسند أحمد^(٥)، سنن البيهقي، تاريخ يعقوبي، وقال ابن الأثير:
تهوَّع في المهراب.

نداء يوم الجمعة الثالث

واستمر عثمان في مخالفة النبي ﷺ في الصلاة غير مكثف بما استحوذ عليه من

(١) في الأغاني: ١٧٩، ١٧٨/٤ [١٤٠، ١٣٨/٥]؛ تمّت بدل نفدت.

(٢) وفي الأغاني: ١٧٩/٤ [١٤٠/٥]، حول هذه الأبيات رواية لا تخلو عن فائدة.

(٣) الأغاني: ١٣٩/٥.

(٤) الاستيعاب: القسم الرابع / ١٥٥٥ رقم ٢٧٢١.

(٥) مسند أحمد: ١/٢٣٣ ج ١٢٣٤، تاريخ يعقوبي: ١٦٥/٢، الكامل في التاريخ: ٢/٢٤٦ حوادث سنة ٣٠هـ أسد

الغابة: ٥/٤٥٢ رقم ٥٤٦٨، سنن البيهقي ٣١٨/٨.

أموال ومناصب حكومية لبني أمية.

ومن البدع الخطيرة أخرج البخاري وغيره بالإسناد عن السائب بن يزيد: إن النداء يوم الجمعة كان أوله في زمان رسول الله ﷺ وفي زمان أبي بكر وفي زمان عمر إذا خرج الإمام، وإذا قامت الصلاة، حتى كان زمان عثمان فكثر الناس فزاد النداء الثالث على الزوراء فثبتت حتى الساعة^(١).

وفي لفظ البخاري وأبي داود: إن الأذان كان أوله حين يجلس الإمام على المنبر يوم الجمعة في عهد النبي ﷺ وأبي بكر وعمر، فلما كان خلافة عثمان وكثر الناس، أمر عثمان يوم الجمعة بالأذان الثالث، فأذن به على الزوراء^(٢) فثبت الأمر على ذلك، وفي لفظ النسائي: أمر عثمان يوم الجمعة بالأذان الثالث فأذن به على الزوراء. وفي لفظ له أيضاً: كان بلال يؤذن إذا جلس رسول الله ﷺ على المنبر يوم الجمعة فإذا نزل أقام، ثم كان كذلك في زمن أبي بكر وعمر.

وفي لفظ الترمذي: كان الأذان على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر إذا خرج الإمام أقيمت الصلاة؛ فلما كان عثمان زاد النداء الثالث على الزوراء. وفي لفظ البلاذري في الأنساب^(٣) عن السائب بن يزيد: كان رسول الله ﷺ إذا خرج للصلاة أذن المؤذن ثم يقيم، وكذلك كان الأمر على عهد أبي بكر وعمر،

(١) صحيح البخاري: ٩٦، ٩٥/٢ [٣٠٩/١ ح ٨٧٠، ٨٧٤]، صحيح الترمذي: ٦٨/١ [٣٩٢/٢ ح ٥١٦]، سنن أبي داود: ١٧١/١ [٢٨٥/١ ح ١٠٨٧]، سنن ابن ماجه: ٣٤٨/١ [٣٥٩/١ ح ١١٣٥]، سنن النسائي: ١٠٠/٣ [٥٢٧/١ ح ١٧٠٠]، كتاب الأُم للشافعي: ١٧٣/١ [١٩٥/١]، سنن البيهقي: ٤٢٩/١، ٤٢٩/٣، ٢٠٥، تاريخ الطبري: ٦٨/٥ [٢٨٧/٤ حوادث سنة ٣٠ هـ]، كامل ابن الأثير: ٤٨/٣ [٢٥٣/٢ حوادث سنة ٣٠ هـ]، فضى الإله المالك للبقاقي: ١٩٣/١ [٢٠١/١].

(٢) الزوراء: اسم موضع في سوق المدينة قرب المسجد، وهو مرتفع كالمنارة، معجم البلدان: ١٥٦/٣.

(٣) الأنساب، البلاذري: ٣٦٥/٢.

وفي صدر من أيام عثمان، ثم إنَّ عثمان نادى النداء الثالث في السنة السابعة^(١) فعاب الناس ذلك وقالوا: بدعة.

وقال ابن حجر في فتح الباري^(٢): والذي يظهر أنَّ الناس أذنوا بفعل عثمان في جميع البلاد إذ ذاك لكونه خليفة مطاع الأمر، لكن ذكر الفاكهاني: أنَّ أول من أحدث الأذان بمكة الحجاج وبالبصرة زياد، وبلغني أنَّ أهل المغرب الأدنى الآن لا تأذين عندهم سوى مرة؛ وروى ابن أبي شيبة^(٣) من طريق ابن عمر قال: الأذان الأول يوم الجمعة بدعة، فيحتمل أن يكون ذلك على سبيل الإنكار، ويحتمل أن يريد أنه لم يكن في زمن النبي ﷺ، وكلّ ما لم يكن في زمنه يسمى بدعة.

وحكى ما في الفتح، الشوكاني في نيل الأوطار^(٤)، وذكر العيني في عمدة القاري^(٥) حديث ابن عمر من أنَّ الأذان الأول يوم الجمعة بدعة؛ وروى عن الزهري قوله: إنَّ أول من أحدث الأذان الأول عثمان يؤذن لأهل الأسواق، وقال: وفي لفظ: فأحدث عثمان التأذينة الثالثة على الزوراء ليجتمع الناس - إلى أن قال - وقيل: إنَّ أول من أحدث الأذان الأول بمكة الحجاج وبالبصرة زياد.

قال الأُميئي: ثم إنَّ كثرة الناس على فرضها في المدينة هل حصلت فجائية في السابعة من خلافة عثمان؟ أو أنَّ الجمعية كانت إلى التكثر منذ عادت عاصمة الخلافة الإسلامية؟ فما ذلك الحد الذي أوجب مخالفة السنة أو ابتداع نداء ثالث؟

(١) يعني السنة السابعة من خلافة عثمان توافق الثلاثين من الهجرة، كما في تاريخ الطبري [٢٨٧/٤] حوادث سنة ٣٠ هـ وغيره.

(٢) فتح الباري: ٢/ ٣٩٤.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة: ٢/ ٤٨ ح ٣.

(٤) نيل الأوطار: ٣/ ٢٩٨.

(٥) عمدة القاري: ٦/ ٢١١.

وهل هذه السنّة المبتدعة يجري ملاكها في العواصم والأوساط الكبيرة التي تحتوي أضعاف ما كان بالمدينة من الناس فيكرّر فيها الأذان عشرات أو مئات؟ سل الخليفة وأنصاره المبرّرين لعمله.

على أن كثرة الناس في المدينة إن كانت هي الموجبة للنداء الثالث فلماذا أخذ فعل الخليفة أهل البلاد وعمل به؟ ولم يكن فيها التكرّر، وكان على الخليفة أن ينهأهم عنه وينوّه بأنّ الزيادة على الأذان المشروع تخصّص بالمدينة فحسب، أو يؤخذ بحكمها في كلّ بلدة كثر الناس بها.

نعم، فتح الخليفة باب الجرأة على الله فجاء بعده معاوية ومروان وزياد والحجاج ولعبوا بدين الله على حسب ميولهم وشهواتهم والبادي أظلم.

توسيع المسجد الحرام

هل تؤخذ بيوت الناس للمسجد بالقوّة؟

قال الطبري في تاريخه^(١) في حوادث سنة (٢٦) الهجرية: وفيها زاد عثمان في المسجد الحرام ووسّعه، وابتاع من قوم وأبى آخرون، فهدم عليهم ووضع الأثمان في بيت المال، فصاحوا بعثمان فأمر بهم الحبس وقال: أتدرون ما جرّأكم عليّ؟ ما جرّأكم عليّ إلا حلمي، قد فعل هذا بكم عمر فلم تصيحوا به، ثمّ كلّمه فيهم عبد الله بن خالد بن أسيد فأخرجوا، وذكره هكذا اليعقوبي في تاريخه^(٢)، وابن الأثير في الكامل^(٣).

(١) تاريخ الأمم والملوك: ٤ / ٢٥٦.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ٢ / ١٦٤.

(٣) الكامل في التاريخ: ٢ / ٢٢٤ حوادث سنة ٢٦ هـ.

وأخرج البلاذري في الأنساب^(١) من طريق مالك عن الزهري قال: وسَّع عثمان مسجد النبي ﷺ فأنفق عليه من ماله عشرة آلاف درهم، فقال الناس: يوسَّع مسجد رسول الله ويغيِّر سنته.

أقول: استحوذ عثمان بن عفان على بيت المال كاملاً وجعله في جيبه ثم أنفق شيئاً يسيراً منه على أنه من كبه! يا للمصيبة والخسران المبين.

وقال الأُميئي: كأنَّ الخليفة لم يكن يرى للبد ناموساً مطَّرداً في الإسلام، ولا للملك والمالكيَّة قيمة ولا كرامة في الشريعة المقدَّسة، وكأنَّه لم يقرع سمعه قول نبيِّ العظمة ﷺ: «لا يحلُّ مال امرئ مسلم إلَّا عن طيب نفس منه»^(٢).

وإنَّ من العجب العجائب أنَّ الخليفة نفسه أدرك عهد عمر وزيادته في المسجد، وشاهد محاكمة العباس بن عبدالمطلب معه وإبائه عن إعطاء داره، ورواية أبي بن كعب وأبي ذر الغفاري وغيرهما حديث بناء بيت المقدس عن داود^(٣)، وقد خصمه العباس بذلك، وثبتت عند عمر السنَّة الشريفة فخضع لها، غير أنَّ الرجل لم يكثرث لذلك كلَّه ويخالف تلك السنَّة الثابتة، ثمَّ يحجَّ بفعل عمر وهيبة الناس لكنته حلم فلم يهابوه، فهدم دور الناس من دون رضاهم وسجن من حاوره أو فاوضه في ذلك، ووضع الأثمان في بيت المال حتى قال الناس: يوسَّع مسجد رسول الله ويغيِّر سنته.

(١) أنساب الأشراف، البلاذري ٣٨ / ٥.

(٢) ذكره بهذا اللفظ الحافظ ابن أبي جرَّة الأزدي في هجعة النفوس: ١٣٤ / ٢ [ج ٧٢] و١١١ / ٤ [ج ٢٢٣] (المؤلف).

متعة الحج عند عثمان

وهل خالف عثمان رسول الله ﷺ في المتعة؟

أخرج البخاري في الصحيح بالإسناد عن مروان بن الحكم قال: سمعت^(١) عثمان وعلياً رضي الله عنهما بين مكة والمدينة، وعثمان ينهى عن المتعة وأن يجمع بينهما، فلما رأى ذلك علي رضي الله عنهما أهلّ بهما جميعاً، قال: «لبيك بعمره وحبّة معاً» فقال عثمان: تراني أنهى الناس عن شيء وتفعله أنت؟

قال رضي الله عنه: «لم أكن لأدع سنة رسول الله ﷺ لقول أحد من الناس».

وفي لفظ أحمد: كنّا نسير مع عثمان، فإذا بهما جميعاً، فقال عثمان: من هذا؟

فقالوا: علي رضي الله عنه فقال ألم تعلم أنّي قد نهيت عن هذا؟

قال: «بلى ولكن لم أكن لأدع قول رسول الله ﷺ لقولك».

وأخرج الشيخان بالإسناد عن سعيد بن المسيب قال: اجتمع علي رضي الله عنه وعثمان بعسفان، وكان عثمان ينهى عن المتعة، فقال له علي رضي الله عنه: «ما تريد إلى أمر فعله رسول الله ﷺ تنهى عنه؟»

قال: دعنا منك، قال: «إني لا أستطيع أن أدعك» فلما رأى ذلك علي رضي الله عنه أهلّ بهما جميعاً.

وأخرج مسلم كان عثمان ينهى عن المتعة وكان علي يأمّر بها، فقال عثمان لعلي رضي الله عنه كلمة ثم قال علي رضي الله عنه: «لقد علمت أنّا قد تمتعنا مع رسول الله ﷺ» قال: أجل ولكنّا كنّا خائفين.

(١) في المصدر: شهدت عثمان وعلياً...

راجع: صحيح البخاري، صحيح مسلم^(١).

منهج قومي

قال الله تعالى في كتابه الشريف:

﴿إِنْ أَكْثَرَتُمْ كُفْرَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنفَاكُمْ﴾

وخالف ذلك القوميون فاستهانوا بهدماء غير العرب :

شاهد عبد الرحمن بن أبي بكر خنجراً عند الهرمزان يشبه الخنجر الذي قتل به عمر فانطلق عبيد الله بن عمر فأخذ سيفه حتى سمع ذلك من عبد الرحمن، فأقْبى الهرمزان فقتله وقتل جفينة [وقتل]^(٢) بنت أبي لؤلؤة الصغيرة وأراد قتل كل سبي بالمدينة فمنعوه؛ فلما استخلف عثمان قال له عمرو بن العاص: إِنَّ هذا الأمر كان وليس لك على الناس سلطان فذهب دم الهرمزان هدرًا.

وأخرجه الطبري في تاريخه^(٣) بتغيير يسير والمحَبّ الطبري في الرياض^(٤)، وذكره ابن حجر في الإصابة وصحّحه باللفظ المذكور^(٥).

وذكر البلاذري في الأنساب^(٦) عن المدائني، عن غياث بن إبراهيم: إِنَّ عثمان

(١) صحيح البخاري: ٥٦٧/٢ ح ١٤٨٨، ص ٥٦٩ ح ١٤٩٤، صحيح مسلم: ٦٨/٣ ح ١٥٨ كتاب الحج، مستد أحمد:

٩٨/١ ح ٤٣٣، ص ١٥٣ ح ٧٣٥، السنن الكبرى: ٣٤٥/٢ ح ٣٧٠٣، المستدرک علی الصحیحین: ٦٤٤/ ح ١٧٣٥،

تيسير الوصول: ٣٣٣/١.

(٢) الزيادة من المصدر.

(٣) تاريخ الأمم والملوك: ٤ / ٢٤٠ حوادث سنة ٢٣ هـ.

(٤) الرياض النضرة: ٨٩/٣.

(٥) أنساب الأشراف.

(٦) أنساب الأشراف، البلاذري ٤٢/٥.

صعد المنبر فقال: أيتها الناس إنا لم نكن خطباء وإن نعيش تأتكم الخطبة على وجهها إن شاء الله، وقد كان من قضاء الله أن عبيد الله بن عمر أصاب الهرمزان وكان الهرمزان من المسلمين^(١) ولا وارث له إلا المسلمون عامة وأنا إمامكم وقد عفوت أفتعفون؟

قالوا: نعم.

فقال علي^(٢): «أقيد الفاسق فإنه أقى عظيماً، قتل مسلماً بلا ذنب» وقال لعبيد الله: «يا فاسق لئن ظفرت بك يوماً لأقتلنك بالهرمزان».

وقال البيهقي في تاريخه^(٣): أكثر الناس في دم الهرمزان وإمساك عثمان عبيد الله بن عمر، فصعد عثمان المنبر فخطب الناس، ثم قال: ألا إني وليّ دم الهرمزان وقد وهبته لله ولعمر وتركته لدم عمر، فقام المقداد بن عمرو فقال: إن الهرمزان مولى لله ولرسوله وليس لك أن تهب ما كان لله ولرسوله. قال: فننظر وتنظرون، ثم أخرج عثمان عبيد الله بن عمر من المدينة إلى الكوفة، وأنزله داراً فنُسب الموضع إليه - كُوفَة ابن عمر - فقال بعضهم

أبا عمرو^(٤) عبيد الله رهنُ فلا تشكك بقتل الهرمزان

وأخرج البيهقي في السنن الكبرى^(٥).

بإسناد عن عبد الله^(٥) بن عبيد بن عمير قال: لما طعن عمر وثب عبيد الله بن

(١) أسلم على يد عمر وقرض له في ألفين كفا في الإصابة وغيرها.

(٢) تاريخ البيهقي: ١٦٣ / ٢.

(٣) أبو عمرو هي كنية عثمان بن عفان.

(٤) سنن البيهقي ٦١ / ٨.

(٥) في الأصل عبيد الله، وصحّحناه من السنن الكبرى.

عمر على الهرمزان فقتله، فقتل لعمر:

إنَّ عبيدالله بن عمر قتل الهرمزان. قال: ولم قتله؟

قال: إنَّه قتل أبي.

قيل: وكيف ذلك؟

قال: رأيته قبل ذلك مستخلياً بأبي لؤلؤة وهو أمره بقتل أبي قال عمر: ما أدري ما هذا، انظروا إذا أنا مت فاسألوا عبيدالله البيّنة على الهرمزان أهو قتلني؟ فإن أقام البيّنة قدمه بدمي، وإن لم يقم البيّنة فأقيدوا عبيدالله من الهرمزان، فلما ولي عثمان قيل له: ألا تمضي وصيّة عمر في عبيدالله؟

قال: ومن ولي الهرمزان؟

قالوا: أنت يا أمير المؤمنين فقال قد عفوت عن عبيدالله بن عمر.

وفي طبقات ابن سعد^(١): انطلق عبيدالله فقتل ابنه أبي لؤلؤة وكانت تدّعي الإسلام، وأراد عبيدالله ألا يترك سبياً بالمدينة يومئذٍ إلا قتله. فاجتمع المهاجرون الأولون فأعظموا ما صنع عبيدالله من قبل هؤلاء واشتدوا عليه وزجروه عن السبي.

فقال: والله لأقتلنهم وغيرهم، يعرض ببعض المهاجرين، فلم يزل عمرو بن العاص يرفق به حتى دفع إليه سيفه، فأتاه سعد فأخذ كلّ واحد منها برأس صاحبه يتناصيان^(٢)، حتى حجز بينهما الناس، فأقبل عثمان وذلك في الثلاثة الأيام الشورى قبل أن يبايع له، حتى أخذ برأس عبيدالله بن عمر وأخذ عبيدالله برأسه ثم

(١) الطبقات الكبرى طبع ليدن: ١٥/٥ - ١٧.

(٢) التناصي: هو الأخذ بالتواصي جمع ناصية، وهي شمر مقدّم الرأس.

حُجز بينهما وأظلمت الأرض يومئذٍ على الناس، فعظم ذلك في صدور الناس وأشفقوا أن تكون عقوبة حين قتل عبيد الله جُفينة والهرمزان وابنة أبي لؤلؤة.

وعن أبي وجزة عن أبيه قال: رأيت عبيد الله يومئذٍ وإنه ليناصي عثمان، وإنَّ عثمان ليقول: قاتلك الله قتلت رجلاً يصلي وصبيّة صغيرة، وآخر من ذمة رسول الله ﷺ ما في الحق تركك، قال: فعجبت لعثمان حين ولي كيف تركه! ولكن عرفت أنَّ عمرو بن العاص كان دخل في ذلك فلففته عن رأيه.

وعن عمران بن مَنّاح قال: جعل سعد بن أبي وقاص يناصر عبيد الله بن عمر حيث قتل الهرمزان وابنة أبي لؤلؤة، وجعل سعد يقول وهو يناصره:

لَا أَشَدُّ إِلَّا تَنْهَيْتُ وَاحِدًا وَغَالَتْ أَسُودُ الْأَرْضِ عَنْكَ الْغَوَائِلُ^(١)

فقال عبيد الله:

تَسْلَمُ أَنْبِي لَحْمٍ مَا لَا تَسِيغُهُ فَكُلْ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ مَا كُنْتَ آكِلًا
فجاء عمرو بن العاص فلم يزل يكلم عبيد الله، ويرفق به حتى أخذ سيفه منه، وحبس في السجن حتى أطلقه عثمان حين ولي.

وعن محمود بن ليبد: كُنْتُ أَحْسِبُ أَنَّ عُمَانَ إِنْ وَلِيَ سَيَقْتُلُ عُبَيْدَ اللَّهِ لَمَّا كُنْتُ أَرَاهُ صَنَعَ بِهِ، كَانَ هُوَ وَسَعْدُ أَشَدَّ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِ.

وعن المطلب بن عبد الله قال: قَالَ عَلِيٌّ ﷺ لِعُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ: «مَا ذَنْبُ بِنْتِ أَبِي لَوْلُؤَةَ حِينَ قَتَلْتَهَا؟»

قال: فَكَانَ رَأْيِي عَلِيٌّ ﷺ حِينَ اسْتَشَارَهُ عُمَانُ وَرَأْيِي الْأَكَابِرُ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى قَتْلِهِ، لَكِنْ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ كَلَّمَ عُمَانَ حَتَّى تَرَكَهُ، فَكَانَ عَلِيٌّ ﷺ

(١) الشعر لكلاب بن علاط أخى الحجاج بن علاط.

يقول: «لو قدرت على عبيد الله بن عمر ولي سلطان لاقتصصت منه».

ولو كان الخليفة يروعه إنكار المنكرين على ما يريد أن يرتكب فلماذا لم يروعه إنكار الصحابة على الأحداث في أخرياتهم؟ حتى أودت به، أكان هيباً ثم تشجع؟.

مخالفة غسل الجنابة

وهل يعقل مخالفة عثمان غسل جنابة النبي ﷺ؟

أخرج مسلم: أن زيد بن خالد الجهني سأل عثمان بن عفان: أرايت إذا جامع الرجل امرأته ولم يُنِي؟

قال عثمان: يتوضأ كما يتوضأ للصلاة، ويغسل ذكره سمعته من رسول الله ﷺ^(١).

وأخرجه البخاري في صحيحه، وزاد عليه، ولفظه: سُئِلَ عثمان بن عفان عن الرجل يجامع فلا يُنْزِل، فقال: لبس عليه غسل سمعته من رسول الله ﷺ قال: فسألت بعد ذلك علي بن أبي طالب رضي الله عنه والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله وأبي بن كعب فقالوا مثل ذلك عن النبي ﷺ. وأخرجه بطريق آخر وفيه: فأمره بذلك، بدل قوله: فقالوا مثل ذلك عن النبي ﷺ^(٢).

وأخرجه أحمد في مسنده^(٣) وفيه: فسألت عن ذلك علي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، وأبي بن كعب فأمره بذلك. فليس في لفظه

(١) صحيح مسلم: ١/١٤٢ [٣٤٢/١] ح ٨٦ كتاب الحيض [

(٢) صحيح البخاري: ١/١٠٩ [١١١/١] ح ٢٨٨ [

(٣) مسند أحمد: ١/١٠١ ح ٤٥٠، ص ١٠٣ ح ٤٦٠.

(عن رسول الله) وبالألفاظ الثلاثة ذكره البيهقي في السنن الكبرى^(١).

قال الأُميئي: هذا مبلغ فقه عثمان.

وأقول: لم يكن عثمان جاهلاً بهذا الحكم المعروف للقريب والبعيد، بل هو خالفه مع معرفته به.

فعثمان أراد تغيير سنن رسول الله ﷺ كلها تمكّن إلى ذلك سبيلاً، والأدلة على ذلك لا تحصى وتجدّها في هذا الكتاب.

قال الأُميئي: هذا مبلغ فقه الخليفة إبان خلافته وبين يديه قوله تعالى: ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا﴾^(٢).

قال الشافعي في كتاب الأم^(٣): فأوجب الله عزّ وجلّ الفسل من الجنابة، فكان معروفاً في لسان العرب أنّ الجنابة الجماع وإن لم يكن مع الجماع ماء دافق، وكذلك ذلك في حدّ الزنا وإيجاب المهر وغيره، وكلّ من خوطب بأنّ فلاناً أجنب من فلانة عقل أنّه أصابها وإن لم يكن مقترفاً، قال الربيع: يريد أنّه لم ينزل.

ودلّت السنّة على أنّ الجنابة أن يفضي الرجل من المرأة حتى يغيب فرجه في فرجها إلى أن يوارى حشفته، أو أن يرى الماء الدافق، وإن لم يكن جماع، انتهى.

وقال في اختلاف الحديث في هامش كتاب الأم^(٤): فكان الذي يعرفه من خوطب بالجنابة من العرب أنّها الجماع دون الإنزال، ولم تختلف العامة أنّ الزنا الذي

(١) سنن البيهقي ١/ ١٦٤.

(٢) النساء: ٤٣.

(٣) كتاب الأم: ١/ ٣٦.

(٤) اختلاف الحديث: ص ٤٩٦.

يجب به الحدّ الجماع دون الإنزال، وأنّ من غابت حشفته في فرج امرأة وجب عليه الحدّ، وكان الذي يشبه أن الحدّ لا يجب إلّا على من أجنب من حرام.

وفي تفسير القرطبي^(١) الجنابة: مخالطة الرجل المرأة، والجمهور من الأمة على أنّ الجنب هو غير الطاهر من إنزال أو مجاوزة ختان.

ثمّ كيف عزب عن الخليفة حكم المسألة، وقد مرّنته الأسئلة، وعلمته الجوابات النبوية، وبمسمع منه مذاكرات الصحابة لما وعوه عن رسول الله ﷺ وإليك جملة منها:

١ - عن أبي هريرة مرفوعاً: «إذا قعد بين شعبها الأربع وألّزق الختان بالختان فقد وجب الغسل».

وفي لفظ «إذا قعد بين شعبها الأربع، ثمّ أجهد نفسه، فقد وجب الغسل أنزل أو لم ينزل».

وفي لفظ ثالث: «إذا التقي الختان بالختان وجب الغسل أنزل أو لم ينزل».

وفي لفظ أحمد: «إذا جلس بين شعبها الأربع، ثمّ جهد، فقد وجب الغسل»^(٢).

٢ - عن أبي موسى: أنّهم كانوا جلوساً فذكروا ما يوجب الغسل، فقال من حضره من المهاجرين: إذا مسّ الختان الختان وجب الغسل، وقال من حضره من الأنصار: لا حتى يدفق، فقال أبو موسى: أنا آتي بالخبر، فقام إلى عائشة فسلم ثمّ

(١) الجامع لأحكام القرآن: ١٣٣/٥.

(٢) صحيح البخاري: ١١٠/١ ح ٢٨٧، صحيح مسلم: ١/٣٤٤ ح ٨٧ كتاب الحيض، مستد أحمد: ٤٦٦/٢ ح ٧١٥٧.

٢٣/٣ ح ٨٣٦٩، ص ١٠٢ ح ٨٨٦٣، مصابيح السنة: ٢١٢/١ ح ٢٩٢، الاعتبار: ص ١٢٠، الجامع لأحكام

القرآن: ١٣٤/٥، تفسير الخازن: ٤٤٣/١، سنن الدارمي: ١٩٤/١، سنن البيهقي: ١٦٣/١، المحلى لابن حزم: ٣/٢.

تفسير القرطبي: ٢٠٠/٥.

قال: إِنِّي أريد أن أسألك عن شيء وأنا أستحييك، فقالت: لا تستحي أن تسألني عن شيء كنت سائلاً عنه أُمك التي ولدتك إنما أنا أُمك، قال: قلت: ما يوجب الغسل؟

قالت: على الخبير سقطت، قال رسول الله ﷺ: «إذا جلس بين شعبها الأربع ومس الختان الختان وجب الغسل»^(١).

زكاة الخيل

وكان عثمان يأخذ الزكاة من الخيل^(٢). أخرجه عبدالرزاق^(٣) عن الزهري^(٤). قال الأُمي: لبت هذه الفتوى المجردة من الخليفة كانت مدعومة بشيء من كتاب أو سنة، لكن من المأسوف عليه أن الكتاب الكريم خال عن ذكر زكاة الخيل، والسنة الشريفة على طرف النقيض مما أفتى به، وقد ورد فيما كتبه رسول الله ﷺ في الفرائض قوله: «ليس في عبد مسلم ولا في فرسه شيء».

وجاء عنه ﷺ قوله: «عفوت لكم عن صدقة الخيل والرقيق».

وفي لفظ ابن ماجه: «قد تجوزت لكم عن صدقة الخيل والرقيق».

وقوله: «ليس على المسلم صدقة في عبده ولا في فرسه».

وفي لفظ البخاري: «ليس على المسلم في فرسه وغلame صدقة».

وفي لفظ له: «ليس على المسلم صدقة في عبده وفرسه»^(٥).

(١) صحيح مسلم: ١٤٣/١، مستد أحمد: ١١٦/٦، الموطأ للمالك: ٥١/١.

(٢) أنساب الأشراف: ٢٦/٥ في حين عن النبي ﷺ عن الخيل والرقيق وراجع التذير للاميني ٢٢٢/٤.

(٣) المصنف: ٣٥/٤ ح ٦٨٨٨.

(٤) معالي الآثار للقاضي أبي يوسف، ص: ٨٧.

(٥) في البخاري: ولا فرسه.

وفي لفظ مسلم: «ليس على المسلم في عبده ولا في^(١) فرسه صدقة».

وفي لفظ له: «ليس على المرء المسلم في فرسه ولا مملوكه صدقة».

وفي لفظ أبي داود: «ليس في الخيل والرقيق زكاة إلا زكاة الفطر في الرقيق».

وفي لفظ الترمذي: «ليس على المسلم في فرسه ولا في عبده صدقة».

وفي لفظ النسائي كلفظ مسلم الأول.

وفي لفظ له: «لا زكاة على الرجل المسلم في عبده ولا فرسه».

وفي لفظ له: «ليس على المرء في فرسه ولا في مملوكه صدقة».

وفي لفظ: «ليس على المسلم صدقة في غلامه ولا في فرسه».

ولفظ ابن ماجة كلفظ مسلم الأول.

وفي لفظ أحمد: «ليس في عبد الرجل ولا في فرسه صدقة».

وفي لفظ البيهقي: «لا صدقة على المسلم في عبده ولا في فرسه».

وفي لفظ عبد الله بن وهب في مسنده: «لا صدقة على الرجل في خيله ولا في رقيقه».

وفي لفظ ابن أبي شيبة: «ولا في وليدته».

وفي رواية للطبراني في الكبير والبيهقي في السنن^(٢) من طريق عبد الرحمن بن سمرة: «لا صدقة في الكسعة والجبهة والنخعة»^(٣).

(١) في مسلم: ولا فرسه بدون (في).

(٢) سنن البيهقي ٤ / ١١٨.

(٣) الجبهة: الخيل. الكسعة: البغال والحُمير. النخعة: المرنهات في البيوت.

[قال ابن منظور في لسان العرب: النَّخْعَةُ والنُّخْعَةُ: اسم جامع للخنثر، والنُّخْعَةُ: الرقيق من الرجال والنساء يعني بالرقيق المأبوك. والنخعة: أن يأخذ المصدق ديناراً لنفسه بعد فراغه من الصدقة، وقيل: النُّخْعَةُ الدينار الذي يأخذه، ←

ومن طريق أبي هريرة: «عفوت لكم عن صدقة الجبهة والكسعة والنخعة».
راجع^(١).

ولو كان في الخيل شيء من الزكاة أوجب أن يذكر في كتاب رسول الله ﷺ الذي فصل فيه الفرائض تفصيلاً^(٢)، وقد أعطاه كبرناج يعمل به في الفرائض وعليه كان عمل الصحابة، ومنه أخذ أبو بكر ما كتبه دستوراً يعول عليه في الصدقات^(٣)، وكان مولانا أمير المؤمنين عليه السلام يهتف بتلك السنة الثابتة، وعليها كان عمله عليه السلام، وعليها أصفقت الصحابة وجرت الفتيا من التابعين، وبها قال عمر بن عبدالعزيز، وسعيد بن المسيب، وعطاء، ومكحول، والشعبي، والحسن، والحكم بن عتيبة، وابن سيرين، والثوري، والزهري، ومالك، والشافعي، وأحمد، وإسحاق، وأهل الظاهر، وأبو يوسف، ومحمد بن الحنفية^(٤).

وقال ابن حزم: وذهب جمهور الناس إلى أنه لا زكاة في الخيل أصلاً، وقال مالك والشافعي، وأحمد، وأبو يوسف، ومحمد، وجمهور العلماء: لا زكاة في الخيل

→ وبكل ذلك فسر قوله ﷺ ليس في النخعة صدقة، وكان الكسائي يقول: إنما هو النخعة بالضم. وهو البقر
الحوامل... [

(١) صحيح البخاري: ٥٣٢/٢ ح ١٣٩٤، ١٣٩٥، صحيح مسلم: ٣٧١/٢ ح ٨ - كتاب الزكاة، سنن الترمذي: ٢٣/٣ ح ٦٢٨، سنن أبي داود: ١٠٨/٢ ح ١٥٩٤ - ١٥٩٥، سنن ابن ماجه: ٥٧٩/١ ح ١٨١٣، السنن الكبرى: ١٧/٢ ح ١٩ - ٢٢٤٦ ح ٢٢٥٧، مسند أحمد: ١٤٩/١ ح ٧١٣، ص ١٩٥ ح ٩٨٧، ص ٢١٢ ح ١١٠٠، ص ٢٣٤ ح ١٢٣٧، ص ٢٣٥ ح ١٢٤٧، ص ٢٣٩ ح ١٢٧٠، ٤٧٩/٢ ح ٧٢٥٣، ص ٤٩٣ ح ٧٢٤٩، ص ٥٤٥ ح ٧٩٩٩ و ١٢٦/٢ ح ٩٠٢٨، ص ١٦٩ ح ٩٢٩٥، كتاب الأمم: ٢٦/٢، موطأ مالك: ٢٧٧/١ ح ٣٧، أحكام القرآن: ١٥٤/٣، عمدة القاري: ٣٦/٩.

(٢) راجع سنن البيهقي: ٨٥/٤ - ٩٠، مستدرک الحاکم: ٣٩٠/١ - ٣٩٨ [٥٥٤ - ٥٥٨/١ ح ١٤٤١ - ١٤٤٧].
(المؤلف)

(٣) راجع مصابيح السنة للبيهقي: ١١٩/١ [١٤/٢ ح ١٢٦٣]. (المؤلف)

(٤) راجع المحل لابن حزم: ٢٢٩/٥ [المسألة ٦٤١]، عمدة القاري: ٣٨٢/٤ [٣٦/٩]. (المؤلف).

بجال.

نعم؛ للحنفية هاهنا تفصيل مجرّد عن أيّ برهنة ضربت عنه الأئمة صفحاً قالوا: لا زكاة في الخيل الذكور، ولو كثرت وبلغت ألف فرس، وإن كانت إناثاً، أو إناثاً وذكوراً سائمة غير معلوفة فحينئذ تجب فيها الزكاة. وصاحب الخيل مخير إن شاء أعطى عن كلّ فرس منها ديناراً أو عشرة دراهم، وإن شاء قوّمها فأعطى من كلّ مائتي درهم خمسة دراهم.

أقول: وهذا الفرض العثماني من الزكاة على الخيل دليل آخر على تعدّده مخالفة النصوص الإلهية بكلّ السبل الممكنة لاستخفافه بأهمية هذه الأحكام.

من قدّم الخطبة على الصلاة في العيدين؟

قال ابن حجر في فتح الباري^(١): روى ابن المنذر عن عثمان بإسناد صحيح إلى الحسن البصري قال: أوّل من خطب قبل الصلاة عثمان، صلّى بالناس ثمّ خطبهم^(٢) فرأى ناساً لم يدركوا الصلاة، ففعل ذلك، أي صار يخطب قبل الصلاة، وهذه العلّة غير التي اعتلّ بها مروان، لأنّ عثمان رأى مصلحة الجماعة في إدراكهم الصلاة، وأمّا مروان فراعى مصلحتهم في إسماعهم الخطبة.

لكن قيل: إنهم كانوا في زمن مروان يتعمّدون ترك سماع خطبته لما فيها من سبّ من لا يستحقّ السبّ، والإفراط في مدح بعض الناس، فعلى هذا إنّما راعى مصلحة نفسه، ويحتمل أن يكون عثمان فعل أحياناً بخلاف مروان الذي واطب عليه.

(١) فتح الباري: ٢ / ٥٦١.

(٢) على الباحث مناقشة الحساب حول هذه الكلمة. (المؤلف)

وذكره الشوكاني في نيل الأوطار^(١).

وأخرج ابن شبة^(٢) عن أبي غسان قال: أول من خطب الناس في المصلّى على منبر عثمان بن عفان، وقال ابن حجر: يحتمل أن يكون عثمان فعل ذلك مرة ثم تركه حتى أعاده مروان، ففتح الباري^(٣)، نيل الأوطار^(٤).

وذكره السيوطي في الأوائيل، وتاريخ الخلفاء^(٥)، والسكتواري في محاضرة الأوائيل^(٦): إن أول من خطب في العيدين قبل الصلاة عثمان.

قال الأُميئي: إن الثابت في السنّة الشريفة أنّ الخطبة في العيدين تكون بعد الصلاة، قال الترمذي في الصحيح^(٧): والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم أنّ صلاة العيدين قبل الخطبة ويقال: إن أول من خطب قبل الصلاة مروان بن الحكم.

وإليك جملة مما ورد فيها:

١ - عن ابن عباس قال: أشهد على رسول الله ﷺ أنّه صلى يوم فطر أو أضحى قبل الخطبة ثم خطب^(٨).

٢ - عن عبدالله بن عمر قال: كان النبي ﷺ ثم أبو بكر ثم عمر يصلّون العيد

(١) نيل الأوطار: ٣/٣٣٤، ٣٤٥، تاريخ الخلفاء، ١١١.

(٢) تاريخ المدينة: ١/١٣٥.

(٣) فتح الباري: ٢/٤٤٩.

(٤) نيل الأوطار: ٣/٣٤٥.

(٥) تاريخ الخلفاء، ص ١٥٤.

(٦) الأوائيل، ص ١٤٥.

(٧) سنن الترمذي: ٢/٤١١ ح ٥٣١.

(٨) صحيح البخاري: ٢/٥٢٥ ح ١٣٨١، صحيح مسلم: ٢/٢٨٣ ح ٢ كتاب صلاة العيدين، سنن أبي داود: ١/٢٩٧.

ح ١١٤٢، سنن ابن ماجه: ١/٤٠٦ ح ١٢٧٣، السنن الكبرى: ١/٥٤٥ ح ١٧٦٦.

قبل الخطبة، وفي لفظ الشافعي: إن النبي وأبا بكر وعمر كانوا يصلّون في العيدين قبل الخطبة، وفي لفظ للبخاري: إن رسول الله ﷺ كان يصلّي في الأضحية والفطر ثم يخطب بعد الصلاة^(١).

٣- عن أبي سعيد الخدري: كان رسول الله ﷺ يخرج يوم العيد فيصلي بالناس ركعتين ثم يسلم فيقف على رجله^(٢).

٤- عن عبدالله بن السائب، قال: حضرت العيد مع رسول الله ﷺ فصلّي بنا العيد ثم قال: «قد قضينا الصلاة فن أحب أن يجلس للخطبة فليجلس، ومن أحب أن يذهب فليذهب»^(٣).

٥- عن جابر بن عبدالله قال: إن النبي ﷺ قام يوم الفطر فصلّي فبدأ بالصلاة قبل الخطبة ثم خطب الناس^(٤).

٦- عن ابن عباس وجابر بن عبدالله وعبدالله بن عمر وأنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ كان يصلّي قبل الخطبة. المدونة الكبرى^(٥).

٧- عن البراء بن عازب قال: خطبنا رسول الله ﷺ يوم النحر بعد الصلاة^(٦).

٨- عن أبي عبيد مولى ابن أزر قال: شهدت العيد مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه

(١) صحيح البخاري: ١/٣٢٦ ح ٩١٤، ص ٣٢٧ ح ٩٢٠، صحيح مسلم: ٢/٢٨٦ ح ٨ كتاب صلاة العيدين، موطأ مالك: ١/١٧٨، مستد أحمد: ٢/١٢٦ ح ٤٩٤٣، كتاب الأم: ١/٢٣٥، سنن ابن ماجه: ١/٤٠٧ ح ١٢٧٦، سنن الترمذي: ٢/٤١١ ح ٥٣١، السنن الكبرى: ١/٥٤٥ ح ١٧٦٧.

(٢) سنن ابن ماجه: ١/٤٠٩ ح ١٢٨٨، المدونة الكبرى: ١/١٦٩.

(٣) سنن ابن ماجه: ١/٤١٠ ح ١٢٩٠، سنن أبي داود: ١/٣٠٠ ح ١١٥٥، السنن الكبرى: ١/٥٤٨ ح ١٧٧٩.

(٤) صحيح البخاري: ١/٣٢٢ ح ٩٣٥، صحيح مسلم: ٢/٢٨٤ ح ٢ كتاب صلاة العيدين، سنن أبي داود: ١/٢٩٧ ح ١١٤١، السنن الكبرى: ١/٥٤٥ ح ١٧٦٥.

(٥) المدونة الكبرى: ١/١٦٩.

(٦) صحيح البخاري: ١/٣٢٤ ح ٩٤٠، السنن الكبرى: ١/٥٤٧ ح ١٧٧٧.

وعثمان محصور، فجاء فصلّى ثم انصرف فخطب^(١).

هذه الأحاديث تكشف عن استمرار رسول الله ﷺ على هذه السنّة المرتبة ولم يُعزّ إليه غيرها قطّ، وعلى ذلك مضى الشيخان ومولانا أمير المؤمنين علي عليه السلام وعثمان نفسه ردحاً من أ أيامه، كما جاء في رواية ابن عمر من أن النبي وأبا بكر وعمر وعثمان كانوا يصلّون في العيدين قبل الخطبة^(٢). وظاهر هذا اللفظ وإن كان مطلقاً إلا أن الجمع بينه وبين ما جاء من مخالفة عثمان للقوم وأنه أول من قدّم الخطبة.

أقول: لقد خالف أبو بكر شيئاً من النصوص الإلهية تحت عنوان الاجتهاد في الدين، وعلى رأس ذلك ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

ثم خالف عمر النصوص الفقهية بشكل واسع وأقدم عثمان على مخالفة أوسع في هذا المجال، ولو عاش عثمان مدة أطول في السلطة لضاعف المخالفات الفقهية لحاتم الأنبياء ﷺ.

القصاص والدية بين النص والاختلاق

أخرج البيهقي في السنن الكبرى من طريق الزهري: أن ابن عباس الجذامي قتل رجلاً من أنباط الشام، فزُفِعَ إلى عثمان فأمر بقتله، فكلمه الزبير وناس من أصحاب رسول الله ﷺ، فنهوه عن قتله، قال: فجعل ديتّه ألف دينار، وذكره الشافعي في كتاب الأم^(٣).

وأخرج البيهقي من طريق الزهري، عن سالم، عن ابن عمر: أن رجلاً مسلماً

(١) موطأ مالك: ١/١٧٨، كتاب الأم: ١/١٩٢، وراجع الفدير للاميني ٤ / ٢٣٠.

(٢) كتاب الأم للشافعي: ١/٢٠٨ [٢٣٥/١]، صحيح البخاري: ٢/١١٢ [٣٢٧/١ ح ٩٢٠].

(٣) كتاب الأم: ٧/٣٢١، سنن البيهقي ٨/٣٣، الفدير للاميني ٤ / ٢٤٠.

قتل رجلاً من أهل الذمة عمداً، ورُفِعَ إلى عثمان فلم يقتله وغلظ عليه الدية مثل دية المسلم.

وقال أبو عاصم الضحاك^(١): «وَمَنْ يَرَى قَتْلَ الْمُسْلِمِ بِالْكَافِرِ عَمْرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَإِبْرَاهِيمَ، وَأَبَانَ بْنَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ، وَعَبْدَ اللَّهِ؛ رَوَاهُ الْحَكَمُ عَنْهُمْ، وَمَنْ أَوْجَبَ دِيَةَ الذَّمِّيِّ مِثْلَ دِيَةِ الْمُسْلِمِ عُثْمَانُ بْنُ عَفَانَ.

قال الأُمِينِي: إِنَّ عَجَبِي مَقْسَمٌ بَيْنَ إِرَادَةِ الْخُلِيفَةِ قَتْلَ الْمُسْلِمِ بِالْكَافِرِ، وَبَيْنَ جَعْلِ عَقْلِ الْكَافِرِ مِثْلَ دِيَةِ الْمُسْلِمِ، فَلَا هَذَا مَدْعُومٌ بِحُجَّةٍ، وَلَا ذَلِكَ مَشْفُوعٌ بِسُنَّةٍ، وَأَيُّ خُلِيفَةٍ هَذَا يَزْحِزِحُهُ مِثْلَ الزُّبَيْرِ، الْمَعْرُوفِ سِيرَتِهِ وَالْمَكْشُوفِ سَرِيرَتِهِ، عَنْ رَأْيِهِ فِي الدَّمَاءِ وَيَنْتَهَاهُ عَنْ فَتْيَاهُ؟ غَيْرَ أَنَّهُ يَفْتِي بِمَا هُوَ لَدَيْهِ رَأْيُهُ الْأَوَّلُ فِي الْبَعْدِ عَنْ السُّنَّةِ، وَيَسْكُتُ عَنْهُ الزُّبَيْرُ وَأَنَاسٌ نَهَوْا الْخُلِيفَةَ عَمَّا رَأَاهُ أَوَّلًا، وَاکْتَفَوْا بِحَقْنِ دَمِ الْمُسْلِمِ وَمَا رَاقَهُمْ مَخَالَفَةُ الْخُلِيفَةِ مَرَّةً ثَانِيَةً، وَهَذِهِ النُّصُوصُ النَّبَوِيَّةُ صَرِيحَةٌ فِي أَنَّ الْمُسْلِمَ لَا يُقْتَلُ بِالْكَافِرِ، وَأَنَّ عَقْلَ الْكُتَابِيِّ الذَّمِّيِّ نِصْفُ عَقْلِ الْمُسْلِمِ، وَإِلَيْكَ لَفْظُ تَلَكُمُ النُّصُوصُ فِي الْمَسْأَلَتَيْنِ:

أَمَّا الْأَوَّلَى مِنْهَا فَقَدْ جَاءَ:

١ - عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ قَالَ: قُلْتُ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام: هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ مِنْ الْعِلْمِ لَيْسَ عِنْدَ النَّاسِ؟

قَالَ عليه السلام: لَا وَاللَّهِ مَا عِنْدَنَا إِلَّا مَا عِنْدَ النَّاسِ، إِلَّا أَنْ يَرْزُقَ اللَّهُ رَجُلًا فَهَمًّا مِنْ الْقُرْآنِ أَوْ مَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ، فَمِمَّا الدِّيَّاتُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَنْ لَا يُقْتَلَ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ.

وفي لفظ الشافعي: لا يقتل مؤمن بكافر، فقال: لا يقتل مؤمن عبد ولا حر ولا امرأة بكافر في حال أبدا، وكل من وصف الإيمان من أعجمي وأبكم يعقل ويشير بالإيمان ويصلي فقتل كافراً فلا قود عليه، وعليه دينه في ماله حالة، وسواء أكثر القتل في الكفار أو لم يكثر، وسواء قتل كافراً على مال يأخذه منه أو على غير مال، لا يحمل - والله أعلم - قتل مؤمن بكافر بحال في قطع طريق ولا غيره. راجع^(١).

فقال: ذهب الجمهور إلى أن المسلم لا يقتل بالكافر لما ثبت في البخاري عن علي قال: «قال رسول الله ﷺ: لا يقتل مسلم بكافر». ولا يصح حديث ولا تاويل يخالف هذا، وأما أبو حنيفة فذهب إلى أنه يقتل به لعموم آية المائدة. قال الأميني: يعني من آية المائدة قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالْيَدَ بِالْيَدِ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾^(٢).

وقد خفي على المجتهد تجاه النصوص الصحيحة الثابتة أن عموم الآية لا يأبأها عن التخصيص، وقد خصصها هو نفسه بمخصصات. أجاب عن هذا الاستدلال الواهي كثير من الفقهاء وفي مقدمتهم الإمام الشافعي، قال في كتاب الأم^(٣) في مناظرة وقعت بينه وبين بعض أصحاب أبي حنيفة: قلنا: فلسنا نريد أن نحتج عليك

(١) صحيح البخاري: ٢٥٣٤/٦ ح ٦٥١٧، سنن ابن ماجه: ٨٨٧/٢ ح ٢٦٥٨، السنن الكبرى: ٢٢٠/٤ ح ٦٩٤٦، سنن الترمذي: ١٧/٦ ح ١٤١٢، مسند أحمد: ١٢٨/١ ح ٦٠٠، كتاب الأم: ٣٨/٦، ١٠٥، أحكام القرآن: ١٤٢/١، الاعتبار: ص ٤٥٣، سنن الدارمي: ١٩٠/٢، سنن النسائي: ٢٣/٨، سنن البيهقي: ٢٨/٨، أحكام القرآن للجصاص: ١٦٥/١، الاعتبار لابن حازم: ص: ١٩٠، تفسير ابن كثير: ٢١٠/١.

(٢) المائدة: ٤٥.

(٣) كتاب الأم: ٣٢٥/٧.

بأكثر من قولك إن هذه الآية عامة، فزعمت أن فيها خمسة أحكام مفردة وحكماً سادساً جامعاً، فخالفت جميع الأربعة الأحكام التي بعد الحكم الأول والحكم الخامس والسادس جماعتها^(١) في موضعين: في الحرّ يقتل العبد، والرجل يقتل المرأة. فزعمت أن عينه ليس بعينها ولا عين العبد، ولا أنفه بأنفها ولا أنف العبد، ولا أنفه بأنفها ولا أنف العبد، ولا أذنه بأذنها، ولا أذن العبد، ولا سنّه بسنّها ولا سنّ العبد، ولا جروحه كلّها بجرحها ولا جروح العبد، وقد بدأت أولاً بالذي زعمت أنك أخذت به فخالفته في بعض ووافقته في بعض، فزعمت أن الرجل يقتل عبده فلا تقتله به، ويقتل ابنه فلا تقتله به، ويقتل المستأمن فلا تقتله به، وكلّ هذه نفوس محرّمة.

قال - يعني المدافع عن أبي حنيفة - اتّبع في هذا أثراً. قلنا: فتخالف الأثر الكتاب؟

قال: لا.

قلنا: فالكتاب إذاً على غير ما تأوّلت، فلم فرّقت بين أحكام الله عزّ وجل على ما تأوّلت؟ قال بعض من حضره: دع هذا فهو يلزمه كلّه.

أقول: أصبحت الأحكام الإلهية عند أهل السياسة مفاتيح يلعبون بها في سبيل أغراضهم ومصالحهم السلطوية، فعثمان لم يرغب في الاقتصاص من الوليد بن عقبة شارب الخمر المصلي سكراناً في مسجد الكوفة.

ولم يرغب عثمان في الاقتصاص من عبيد الله بن عمر الذي قتل زوجة أبي لؤلؤة وصبيته والهرمان البعدين عن حادثة عمر حبّاً منه لعمر بن الخطاب.

لكنه أنزل أشدّ العذاب قتلاً وتنكيلاً بأبي ذر صاحب النبي ﷺ لمعارضته معاوية الأموي
فهذا هو القصاص السياسي في زمن عثمان بن عفان الذي جلب الفتنة على الناس والقتل على نفسه.

القراءة في الصلاة

قال ملك العلماء^(١): إن عمر ترك القراءة في المغرب في إحدى الأوليين فقضاها في الركعة الأخيرة، وجهر، وعثمان ترك القراءة في الأوليين من صلاة العشاء فقضاها في الآخرين وجهر.

وقال في صفحة (١٧٢): روي عن عمر أنه ترك القراءة في ركعة من صلاة المغرب فقضاها في الركعة الثالثة وجهر. وروي عن عثمان أنه ترك السورة في الأوليين فقضاها في الآخرين وجهر.

قال الأُميئي: إن ما ارتكبه الخليفتان مخالف للسنة من ناحيتين:
الأولى: الاجترار بركعة لا قراءة فيها.

والثانية: تكرير الحمد في الأخيرة أو الآخرين بقضاء الفائتة مع صاحبة الركعة، وكلاهما خارجان عن السنة الثابتة لا يجتزأ بالصلاة التي يكونان فيها، أما الناحية الأولى فإليك نبذة مما ورد فيها.

١ - عن عبادة بن الصامت مرفوعاً: «لا صلاة لمن لم يقرأ بآم القرآن فصاعداً».

وفي لفظ: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب إمام أو غير إمام».

وفي لفظ الدارمي: «من لم يقرأ بأَمّ الكتاب فلا صلاة له»^(١).

٣- عن أبي هريرة قال: إن النبي ﷺ أمره أن يخرج فينادي: لا صلاة إلا بقراءة فاتحة الكتاب. فما زاد^(٢).

٤- عن عائشة مرفوعاً: «من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأَمّ القرآن فهي خداج»^(٣).

٥- عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً: «لا صلاة لمن لم يقرأ في كل ركعة الحمد وسورة في فريضة أو غيرها»^(٤).

٦- عن أبي سعيد قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن نقرأ بفاتحة الكتاب وبما تيسر^(٥).

وقال في كتاب الأم^(٦): إن من ترك أَمّ القرآن في ركعة من صلاة الكسوف في

(١) صحيح البخاري: ٢٦٣/١ ح ٧٢٣، صحيح مسلم: ٣٧٥/١ ح ٣٤ كتاب الصلاة، سنن أبي داود: ٢١٧/١ ح ٨٢٢، سنن الترمذي: ٢٥/٢ ح ٢٤٧، السنن الكبرى: ٣١٦/١ ح ٩٨٢-٩٨٣، سنن ابن ماجه: ٢٧٣/١ ح ٨٣٧، مسند أحمد: ٤٢٧/٦ ح ٢٢١٦٩، ص ٤٣٩ ح ٢٢٢٣٧، كتاب الأم: ١٠٧/١، مصابيح السنة: ٣١٩/١ ح ٥٧٧، المدونة الكبرى: ٦٧/١.

(٢) مسند أحمد: ١٦٣/٣ ح ٩٢٤٥، سنن الترمذي: ١٢١/٢ ح ٣١٢، سنن أبي داود: ٢١٦/١ ح ٨٢٠، المستدرک علی الصحیحین: ٣٦٥/١ ح ٨٧٢.

(٣) مسند أحمد: ٢٠٥/٧ ح ٢٤٥٧٥، ص ٣٩١ ح ٢٥٨٢٤، سنن ابن ماجه: ٢٧٤/١ ح ٨٤٠، كنز العمال: ٤٣٧/٧ ح ١٩٦٦٣، ص ٤٣٨ ح ١٩٦٦٨، سنن البيهقي: ١٦٧/٢، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان: ٨٤/٥ ح ١٧٨٤، الكامل في ضعفاء الرجال: ٢٨٤/٦ رقم ١٧٦٩.

(٤) سنن الترمذي: ٣/٢ ح ٢٣٨، سنن ابن ماجه: ٢٧٤/١ ح ٨٣٩، كنز العمال: ٤٣٧/٧ ح ١٩٦٦٦.

(٥) سنن أبي داود: ٢١٦/١ ح ٨١٨، تيسير الوصول: ٢٧٢/٢، وانظر كنز العمال: ١١٢/٨ ح ٢٢١٤١.

(٦) كتاب الأم: ٢٤٥/١.

القيام الأول أو القيام الثاني لم يعتد بتلك الركعة، وصلى ركعة أخرى وسجد سجدتي السهو، كما إذا ترك أم القرآن في ركعة واحدة من صلاة مكتوبة لم يعتد بها^(١).

رأي مالك:

قال إمام المالكية كما في المدونة الكبرى^(٢): ليس العمل على قول عمر حين ترك القراءة^(٣) فقالوا له: إنك لم تقرأ؟ فقال: كيف كان الركوع والسجود؟ قالوا حسن، قال: فلا بأس إذن. وأرى أن يعيد من فعل هذا^(٤) وإن ذهب الوقت. وقال في رجل ترك القراءة في ركعتين من الظهر أو العصر أو العشاء الآخرة: لا تجزئه الصلاة وعليه أن يعيد، ومن ترك القراءة في جل ذلك اعادة، وإن قرأ في بعضها وترك بعضها أعاد أيضاً، وإذا قرأ في ركعتين وترك القراءة في ركعتين، فإنه يعيد الصلاة من أي الصلوات كانت. وقال: من نسي قراءة أم القرآن حتى قرأ السورة فإنه يرجع فيقرأ أم القرآن ثم يقرأ سورة أيضاً بعد قراءته أم القرآن. وقال: لا يقضي قراءة نسيها من ركعة في ركعة أخرى. وقال فيمن ترك أم القرآن في الركعتين وقد قرأ بغير أم القرآن: يعيد صلاته. وقال في رجل ترك القراءة في ركعة في الفريضة: يلغي تلك الركعة بسجودتيها ولا يعتد بها.

(١) راجع القدير للاميني ٤ / ٢٤٨.

(٢) المدونة الكبرى: ٥٦/١، ٦٦.

(٣) مرّ حديثه في الجزء السادس صفحة: ١٠٠ الطبعة الأولى و ١٠٨ الطبعة الثانية.

(٤) في المصدر: ذلك، بدلاً من هذا.

أقول: تجب القراءة في الصلاة ولا يجوز ترك القراءة عمداً وهو مبطل للصلاة.
ومن أبطل صلاته عمداً فلا يركن إليه!

صلاة المسافر في رأي عثمان

أخرج أبو عبيد في الغريب^(١) وعبد الرزاق^(٢) والطحاوي وابن حزم عن أبي المهلب، عثمان: أنه بلغني أن قوماً يخرجون إما لتجارة أو لجباية أو لحشيرة^(٣) يقصرون الصلاة وإنما يقصر الصلاة من كان شاخصاً أو بحضرة عدو.
ومن طريق قتادة عن عياش المخزومي: كتب عثمان إلى بعض عماله: أنه لا يصلي الركعتين المقيم ولا الهادي ولا التاجر، وإنما يصلي الركعتين من معه الزاد والمزاد.

وفي لفظ ابن حزم: إن عثمان كتب إلى عماله: لا يصلي الركعتين جابٍ ولا تاجر ولا تان^(٤)، وإنما يصلي الركعتين... الخ.

وفي لسان العرب: في حديث عثمان أنه قال: لا يفرنكم جشركم من صلاتكم فإنما يقصر الصلاة من كان شاخصاً أو يحضره عدو. قال أبو عبيد: الجشر القوم يخرجون بدوابهم إلى المرعى، ويبيتون مكانهم ولا يأوون إلى البيوت^(٥).

(١) غريب الحديث، ٤٦٩/٣.

(٢) المصنف: ٥٢١/٢ ح ٤٢٨٢.

(٣) كذا في النسخ بالمهملة، والصحيح كما يأتي: الجشر بالمجمة.

(٤) التناية: هي الفلاحة والزراعة، نهاية ابن الأثير [١٩٩/١].

(٥) سنن البيهقي، ١٣٧/٣، الهل لآين حزم: ١/٥ [مسألة ٥١٣]. نهاية ابن الأثير، ٢/٣٢٥ [٢٧٣/١]. لسان

العرب: ٢٠٧/٥ [٢٨٧/٢]. كنز العمال: ٢٣٩/٤ ح ٢٣٥/٨ [٢٢٧٠٤]. تاج العروس: ١٠٠/٣ و ٤٠١/٤.

وفي هامش سنن البيهقي^(١): شاخصاً: يعني رسولاً في حاجة، وفي النهاية^(٢) شاخصاً: أي مسافراً ومنه حديث أبي أيوب: فلم يزل شاخصاً في سبيل الله. قال الأُمي: من أين جاء عثمان بهذا القيد في السفر؟ والأحاديث الماثورة في صلاته مطلقاً كلها، وقبلها عموم قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾^(٣).

ولأبي حنيفة وأصحابه والثوري وأبي ثور في عموم الآية نظر واسع لم يخصوه بالمباح من السفر، بل قالوا بأنه يعم سفر المعصية أيضاً كقطع الطريق والبغي كما ذكره ابن حزم^(٤) والخصائص في أحكام القرآن^(٥)، وابن رشد في بداية المجتهد^(٦)، وملك العلماء في البدائع، والخازن في تفسيره^(٧).

وليس لحضور العدو أي دخل في القصر والإتمام وإنما الخوف وحضور العدو لها بشأن خاص في الصلوات، وأحكام تخصّ بهما، وناموس مقرّر لا يعدوهما. فقتضى الأدلة كما ذهب إلىه الأمة جمعا: أن التاجر والجابي والتاني والجشيرة وغيرهم إذا بلغوا مبلغ السفر فحكمهم القصر، فهم وبقية المسافرين شرع سواء، وإلا فهم جميعاً في حكم الحضور يتمون صلاتهم من دون أي فرق بين الأصناف، وليس تفصيل الخليفة إلا فتوى مجردة ورأياً يخصّ به، وتقولاً لا يؤبه له

(١) سنن البيهقي ١٣٧/٣.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٤٥١/٢.

(٣) النساء: ١٠١.

(٤) المحلى، ابن حزم: ٢٦٤/٤.

(٥) أحكام القرآن: ٢٥٥/٢.

(٦) بداية المجتهد: ١٧٢/١.

(٧) تفسير الخازن: ٣٩٦/١، البدائع: ٩٣/١.

تجاه النصوص النبوية، وإطباق الصحابة، واتفاق الأمة، وتساند الأئمة والعلماء، وإِنَّمَا ذكرناه هنا لإيقافك على مبلغ الرجل من الفقه، أو تسرعه في الفتيا من غير فحص عن الدليل، أو أَنَّهُ عرف الدليل لكنَّه لم يكثرث له وقال قولاً أمام قول رسول الله ﷺ:

كناطع صخرة يوماً ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

على أَنَّ التاجر جاء فيه ما أخرجه ابن جرير الطبري وغيره من طريق علي عليه السلام قال: «سأل قوم من التجار رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله إِنَّا نضرب في الأرض فكيف نصلي؟

فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾^(١).

وجاء رجل فقال: يا رسول الله إِنِّي رجل تاجر أختلف إلى البحرين، فأمره أن يصلي بركعتين^(٢).

أقول: بين عثمان وجوب القصر على المسافر والغازي ولم يتوسع في الأمر ولم تظهر مخالفة للشرع في هذا النص.

إِلَّا أَنَّهُ خالف الشرع الإسلامي في مخالفته القصر في منى^(٣).

(١) تفسير ابن جرير: ١٥٥/٥ [ج ٤ / ٥ / ٢٤٤]، مقدمات المدونة الكبرى لابن رشد: ١٢٩/١، تفسير ابن عطية كسا في تفسير القرطبي: ٣٦٢/٥ [٢٣٢/٥]، الدر المنثور: ٢٠٩/٢ [٦٥٦/٢]، تفسير الشوكاني: ٤٧١/١ [٥٠٨/١]، تفسير الأوسى: ١٣٤/٥.

(٢) تفسير ابن كثير: ٥٤٤/١، الدر المنثور: ٢١٠/٢ [٦٥٦/٢].

(٣) راجع الضدير للإمامي: ١٤٥/٨.

صيد الحرم في رأي عثمان^(١)

هل جَوَز الإسلام صيد الحرم؟

أخرج إمام الحنابلة أحمد وغيره بإسناد صحيح: أقبل عثمان إلى مكة، فاستقبلته بقديد، فاصطاد أهل الماء حجلًا فطبخناه بماء وملح، فقدّمناه إلى عثمان وأصحابه فأمسكوا، فقال عثمان: صيد لم نصده ولم نأمر بصيده اصطاده قوم حِلٍّ فأطعمونا فما بأس به. فبعث إلى عليٍّ عليه السلام فجاء، فذكر له فغضب عليٌّ عليه السلام وقال: «أنشد رجلاً شهد رسول الله ﷺ حين أتى بقائمة حمار وحش فقال رسول الله ﷺ: إنا قوم حرم فأطعموه أهل الحِلِّ» فشهد اثنا عشر رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ، ثم قال عليٌّ: «أنشد الله رجلاً شهد رسول الله ﷺ حين أتى -ببيض النعام- فقال رسول الله ﷺ: إنا قوم حرم أطعموه أهل الحِلِّ» فشهد دونهم من العدة من الاثني عشر قال: فثنى عثمان وركه من الطعام فدخل رحله، وأكل الطعام أهل الماء..

وفي لفظ آخر لأحمد عن عبد الله بن الحارث: إن أباه ولي طعام عثمان، قال: فكأنني أنظر إلى الحجل حوالى الجفان فجاء رجل فقال: إن علياً عليه السلام يكره هذا، فبعث إلى عليٍّ وهو ملطّخ يديه بالخطب فقال: إنك لكثير الخلاف علينا، فقال عليٌّ:

(١) مسند أحمد: ١٠٠/١، ١٠٤ [١٦١/١ ح ٧٨٥، ٧٨٧، ص ١٦٧ ح ٨١٦]، كتاب الأم للسائفي: ١٥٧/٧، [١٧٠/٧-١٧١]، سنن أبي داود: ٢٩١/١ [١٧٠/٢ ح ١٨٤٩]، سنن البيهقي: ١٩٤/٥، تفسير الطبري: ٤٥/٧، ٤٦ [ج ٥/٧ ص ٧٠/٧]، المحلى لابن حزم: ٢٥٤/٧، المسألة ٨٩٢ [كنز العمال: ٥٣/٢ ح ٢٥٥٣/٥] [١٢٧٩٣] نقلاً عن أحمد وأبي داود وابن جرير، ومن الطحاوي وقال، صحّحه [في شرح معاني الآثار ١/٢٦٨ ح ٣٧٨٥] وأبي يعلى [في مسنده: ٢٩٤/١ ح ٣٥٦] والبيهقي.

«أذكر الله من شهدا النبي ﷺ أتى بعجز حمار وحش وهو محرم فقال: إنا محرمون فأطعموه أهل الحلّ». فقال رجل فشهدوا ثم قال: «أذكر الله رجلاً شهد النبي ﷺ أتى بخمس بيضات بيض فقال: إنا محرمون فأطعموه أهل الحلّ» فقام رجال فشهدوا، فقام عثمان فدخل فسطاطه وتركوا الطعام على أهل الماء. وفي لفظ الإمام الشافعي: إن عثمان أهدى له حبل وهو محرم، فأكل القوم إلا علياً عليه السلام فإنه كره ذلك.

وفي لفظ لابن جرير: حجّ عثمان بن عفان فحجّ علي عليه السلام معه، فأتي عثمان بلحم صيد صاده حلال، فأكل منه ولم يأكله علي عليه السلام، فقال عثمان: والله ما صدنا ولا أمرنا ولا أشرنا فقال علي عليه السلام: ﴿وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾^(١). وفي لفظ: إن عثمان بن عفان نزل قديداً فأتي بالحجل في الجفان شائلة بأرجلها، فأرسل إلى علي عليه السلام وهو يضفر^(٢) بعيراً له، فجاء والخبط ينحات من يديه، فأمسك علي عليه السلام وأمسك الناس فقال علي عليه السلام: «من هاهنا من أشجع؟ هل تعلمون أن النبي ﷺ جاءه أعرابي ببيضات نعام وتتمر^(٣) وحش فقال: أطعمهن أهلك فإننا حرم؟»

قالوا: بلى. فتورّك عثمان عن سريره ونزل فقال: خبثت علينا.

وفي لفظ البيهقي: كان الحارث خليفة عثمان على الطائف، فصنع لعثمان طعاماً

(١) المائدة: ٩٦.

(٢) ضر الدابة يضفرها ضرراً: ألقي في فيها، والضفر: ما شددت به البعير من الشعر المضفور. والمضفور والضفير: الحبل المغلول. الضفائر: الذوائب المضفورة [لسان العرب: ٧١، ٧٠/٨].

(٣) التتمر: التظديد، والتتمر: التمهيس، والتتمر: أن يقطع اللحم صفراً ويجفف. واللحم المتقر: المقطع، لسان العرب [٥٠/٢].

وصنع فيه من الحجل واليعاقيب ولحوم الوحش قال: فبعث إلى علي بن أبي طالب فجاءه الرسول وهو يخطب لأبا عر له، فجاءه وهو ينفض الخطب من يده فقالوا له: كل فقال: «أطعموه قوماً حلالاً فإننا قوم حرم»، ثم قال علي عليه السلام: «أنشد الله من كان هاهنا من أشجع، أتعلمون أن رسول الله ﷺ أهدى إليه رجل حمار وحش وهو محرم فأبى أن يأكله؟»
قالوا: نعم.

وأخرج الطبري من طريق صبيح بن عبد الله العبسي قال: بعث عثمان بن عفان أبا سفيان بن الحرث على العروض، فنزل قديداً فمر به رجل من أهل الشام معه باز وصقر فاستعاره منه فاصطاد به من اليعاقيب فجعلهن في حظيرة، فلما مر به عثمان طبخن ثم قدمن إليه فقال عثمان: كلوا، فقال بعضهم: حتى يجي علي بن أبي طالب عليه السلام. فلما جاء فرأى ما بين أيديهم قال علي عليه السلام: «إنا لا نأكل منه».

فقال عثمان مالك لا تأكل؟

فقال: «هو صيد لا يحل أكله وأنا محرم».

فقال عثمان: بين لنا فقال علي عليه السلام: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ»^(١).

فقال عثمان: أو نحن قتلناه؟ فقرأ عليه: «أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلْمَيْتَارَةِ وَحُرْمَ عَلَيْهِمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا»^(٢).

أقول: لو كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام غير حاضر في تلك الحجة

(١) المائدة: ٩٥.

(٢) المائدة: ٩٦.

لأكل عثمان ذلك الصيد جهلاً منه بالحكم الشرعي. ولو كان كعب الأخبار برفقة عثمان في سفره ذاك لقال الكثير من الأحاديث الكاذبة عن النبي ﷺ في حلية الصيد للمحرم.

إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع

عدة المختلعة

عن نافع، أنه سمع ربيع بنت معوذ بن عفراء وهي تخبر عبدالله بن عمر أنها اختلعت من زوجها على عهد عثمان فجاء معاذ بن عفراء إلى عثمان فقال: إن ابنة معوذ اختلعت من زوجها اليوم أتنتقل؟

فقال له عثمان: تنتقل ولا ميراث بينهما ولا عدة عليها إلا أنها لا تنكح حتى تحيض حيضة، خشية أن يكون بها حمل. فقال عبدالله عند ذلك: عثمان خيرنا وأعلمنا. وفي لفظ آخر: قال عبدالله: أكبرنا وأعلمنا^(١).

وفي لفظ عبدالرزاق^(٢) عن نافع، عن الربيع ابنة معوذ أنها قالت: كان لي زوج يُقَلّ الخير إذا حضر ويمحزني إذا غاب^(٣)، فكانت مني زلة يوماً فقلت له: اختلعت منك بكل شيء. أملكه فقال: نعم ففعلت، فخاصم عتي معاذ بن عفراء إلى عثمان فأجاز الخلع وأمره أن يأخذ عقاص رأسي فادونه، أو قالت: دون عقاص الرأس.

(١) سنن البيهقي: ٤٥٠/٧، ٤٥١، سنن ابن ماجه: ٦٣٤/١ [٦٦٣/١ ح ٢٠٥٨]، تفسير ابن كثير: ٢٧٦/١ نقلًا عن ابن أبي شيبة [في المصنف: ١١٥/٥]، زاد المعاد لابن القيم: ٤٠٣/٢ [٢١٤/٤]، كنز العمال: ٢٢٣/٣ [١٨١/٦ ح ١٥٢٦٤ ح ١٥٢٦٨]، نيل الأوطار: ٣٥/٧ [٢٧٨/٦].

(٢) المصنف: ٥٠٤/٦ ح ١١٨٥٠.

(٣) في المصدر: ويمحزني إذا غاب.

وفي لفظ عن نافع: أنه زوج ابنة أخيه رجلاً فخلعها، فرفع ذلك إلى عثمان فأجازه فأمرها أن تمتدّ حيضة. وفي لفظ ابن ماجة من طريق عبادة بن الصامت: قالت: اختلعت من زوجي ثم جئت عثمان فسألت ماذا عليّ من العدة؟ فقال: لا عدة عليك إلا أن يكون حديث عهد بك فتمكثين عنده حتى تحيض حيضة.

قال الأمامي: «وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ»^(١).

نصاً من الله العزيز الحكيم من غير فرق بين أقسام الطلاق المنتزعة من شقاق الزوج والزوجة، فإن كان الكره من قبل الزوج فحسب فالطلاق رجعي، أو من قبل الزوجة فقط فهو خلعي. أو منها معاً فبإبارة. فليس لكلّ من هذه الأقسام حكم خاصّ في العدة غير ما ثبت لجميعها بعموم الآية الكريمة المنتزعة من الجتمع المحلّي باللام - المطلقات - وعلى هذا تطابقت فتاوى الصحابة والتابعين والعلماء من بعدهم وفي مقدّمهم أئمة المذاهب الأربعة.

قال ابن كثير في تفسيره^(٢): مسألة وذهب مالك وأبو حنيفة والشافعي وأحمد وإسحاق بن راهويه في رواية عنها وهي المشهورة إلى أن المختلعة عدتها عدة المطلقة بثلاثة قروء إن كانت بمنّ تحيض، وروي ذلك عن عمر وعليّ رضي الله عنهما وابن عمر، وبه يقول سعيد بن المسيب، وسليمان بن يسار، وعروة، وسالم، وأبو سلمة، وعمر بن عبدالعزيز، وابن شهاب، والحسن، والشعبي، وإبراهيم النخعي، وأبو عياض، وخلاس بن عمر، وقتادة، وسفيان الثوري، والأوزاعي، والليث بن سعد، وأبو عبيد.

(١) البقرة: ٢٢٨.

(٢) تفسير ابن كثير ١ / ٢٧٦.

وقال الترمذي^(١): وهو قول أكثر أهل العلم من الصحابة وغيرهم، وما أخذهم في هذا أن الخلع طلاق فتعتد كسائر المطلقات.

هذه آراء أئمة المسلمين عند القوم وليس فيها شيء يوافق ما ارتأه عثمان وهي مصافقة للقرآن الكريم كما ذكرناه.

وقد احتج لعثمان بما رواه الترمذي في صحيحه^(٢) من طريق عكرمة عن ابن عباس: إن امرأة ثابت بن قيس اختلعت منه فجعل النبي ﷺ عدتها حيضة.

وهذه الرواية باطلة، إذ المحفوظ عند البخاري^(٣) والنسائي^(٤) من طريق ابن عباس في قصة امرأة ثابت ما لفظه: قال ابن عباس: جاءت امرأة ثابت بن قيس إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إني ما أعتب عليه في خلق ولا دين ولكني أكره الكفر في الإسلام.

فقال رسول الله ﷺ: «أتردين عليه حديثه؟» - وكانت صداقها -.

قالت: نعم.

فقال رسول الله ﷺ: «إقبل الحديث وطلقها تطليقة».

فامرأة ثابت نظراً إلى هذه اللفظة مطلقة تطليقة والمطلقات يترتبن بأنفسهن ثلاثة قروء.

على أن الاضطراب الهائل في قصة امرأة ثابت يوهن الأخذ بما فيها، ففي لفظ: إنها جميلة بنت سلول، كما في سنن ابن ماجه^(٥). وفي لفظ أبي الزبير: إنها زينب. وفي

(١) قاله في صحيحه: ١٤٢/١ [٤٩٢/٣ ح ١١٨٥].

(٢) سنن الترمذي: ٣/٤٩١ ح ١١٨٥.

(٣) صحيح البخاري: ٥/٢٠٢١ ح ٤٩٧١.

(٤) السنن الكبرى: ٣/٣٦٩ ح ٥٦٥٧.

(٥) سنن ابن ماجه: ١/٦٦٣ ح ٢٠٥٦، ٢٠٥٨.

لفظ: إنها بنت عبد الله وفي لفظ لابن ماجه والنسائي: إنها مريم العالیه، وفي موطأ مالك^(١): إنها حبيبة بنت سهل، وذكر البصريون: أنها جميلة بنت أبي^(٢). وجل هذه الألفاظ كلفظ البخاري والنسائي يخلو عن ذكر العدة بحیضة، فلا یخصص حکم القرآن الکريم بمثل هذا.

على أنه لو كان لها مقيل في مستوى الصدق والصحة لما أصفقت الأئمة على خلافها كما سمعت من كلمة ابن كثير.

وقد يعاضد رأي الخليفة بما أخرجه الترمذي في صحيحه^(٣) عن الربيع بنت معوذ - صاحبة عثمان - أنها اختلعت على عهد رسول الله ﷺ فأمرها النبي ﷺ أو أمرت أن تعتد بحیضة، قال الترمذي: حديث الربيع الصحيح أنها أمرت أن تعتد بحیضة، وبهذا اللفظ جاء في حديث سليمان بن يسار عن الربيع قالت: إنها اختلعت من زوجها فأمرت أن تعتد بحیضة.

وقال البيهقي بعد رواية هذا الحديث: هذا أصح وليس فيه من أمرها ولا على عهد النبي ﷺ، وقد روينا في كتاب الخلع أنها اختلعت من زوجها زمن عثمان بن عفان، ثم أخرج حديث نافع المذكور في صدر العنوان فقال: هذه الرواية تصرح بأن عثمان هو الذي أمرها بذلك، وظاهر الكتاب في عدة المطلقات يتناول المختلعة وغيرها، فهو أولى وبالله التوفيق^(٤).

فليس للنبي ﷺ في قصة بنت معوذ حكم وما رفعت إليه ﷺ، وإنما وقعت

(١) موطأ مالك: ٢/ ٥٦٤ ح ٣٦.

(٢) راجع نيل الأوطار: ٧/ ٣٧-٣٤ [٢٧٨-٢٧٦/١].

(٣) سنن الترمذي ١/ ١٤٢.

(٤) سنن البيهقي: ٧/ ٤٥١.

في عصر عثمان وهو الحاكم فيها، وقد حرّفتها عن موضعها يد الأمانة على ودائع العلم والدين لتبرير ساحة عثمان عن لوث الجهل، ولو كان لتعدّد القصّة وزن يُقام عند الفقهاء وروايتها بمشهد منهم ومرأى لما عدلوا عنها على بكرة أبيهم إلى عموم الكتاب ولما تركوها متدهورة في هوّة الإهمال.

وعلى الباحث أن ينظر نظرة عميقة إلى قول ابن عمر وقد كان في المسألة أولاً مصافقاً في رأيه الكتاب ومن عمل به من الصحابة وعدّ في عدادهم، ثمّ لمحض أن يبلغه رأي الخليفة المجرّد عن المحجّة عدل عن فتواه فقال: عثمان خيرنا وأعلمنا، أو قال: أكبرنا وأعلمنا. هكذا فليكن المجتهدون، وهكذا فلتصدر الفتاوى.

أقول: من مشكلات غصب الخلافة السياسية والدينيّة حصول أحكام وفتاوى باطلة مخالفة للقرآن الكريم.

فالضعف العلمي عند الرؤساء أصاب الأمة بانتكاسات كبيرة في مجال الفقه والعقيدة والتفسير.

وعثمان لم يملك علماً ولا فهماً وهو يعترف بذلك؛ لكنه يصدر أحكاماً دون تردّد ولا احتياط.

فقد خالف الله تعالى القائل: ﴿وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾^(١). وكلّ ما خالف القرآن الكريم باطل.

امرأة المفقود في الشرع الإسلامي

من طريق سعيد بن المسيّب أن عمر بن الخطّاب قال: أيما امرأة فقدت زوجها

فلم تدر أين هو فإنها تنتظر أربع سنين، ثم تنتظر أربعة أشهر وعشرًا، ثم تحلّ. وقضى بذلك عثمان بن عفان بعد عمر.

وأخرج أبو عبيد بلفظ: إن عمر وعثمان قالا: امرأة المفقود تریص أربع سنين، ثم تعتد أربعة أشهر وعشرًا، ثم تنكح.

وفي لفظ الشيباني: إن عمر أجّل امرأة المفقود أربع سنين، وفي لفظ شعبة من طريق عبدالرحمن بن أبي لیلی قال: قضى عمر في المفقود تریص امرأته أربع سنين ثم يطلقها ولي زوجها، ثم تریص بعد ذلك أربعة أشهر وعشرًا ثم تزوّج.

ومن طريق ابن شهاب الزهري عن سعيد بن المسيّب عن عمر في امرأة المفقود قال: إن جاء زوجها وقد تزوّجت خير بين امرأته وبين صداقتها، فإن اختار الصداق كان على زوجها الآخر، وإن اختار امرأته اعتدّت حتى تحلّ، ثم ترجع إلى زوجها الأوّل وكان لها من زوجها الآخر مهرها بما استحلّ من فرجها. قال ابن شهاب: وقضى بذلك عثمان بعد عمر.

وفي لفظ الشافعي: إذا تزوّجت فقدم زوجها قبل أن يدخل بها زوجها الآخر كان أحقّ بها، فإن دخل بها زوجها الآخر فالأوّل المفقود بالخيار بين امرأته والمهر^(١).

قال الأُميئي: من لي بمفتقه في المسألة، يخبرني عن علّة تریث المفقود عنها زوجها أربع سنين، أهو مأخوذ من كتاب الله؟ فأين هو منه؟ أم أخذ من سنّة رسول الله ﷺ فن ذا الذي رواها ونقلها؟ والصحاح والمسانيد للقوم خالية عنها، نعم ربّما يُنسبُ للتقدير بأنّها نهاية مدّة الحمل. قال البقاعي^(٢): وسبب التقدير

(١) موطأ مالك: ٢٨٧/٢ [٥٢٧٥/٢ ح ٥٢]، كتاب الأم للشافعي: ٢١١/٧ [٢٣٦/٧]، سنن البيهقي: ٤٤٥/٧، ٤٤٦.

(٢) فہم الأجلہ المائلہ: ٢٦٣/٢.

بأربع سنين أنها نهاية مدة الحمل وقد أخبر بوقوعه لنفسه الإمام الشافعي وكذا الإمام مالك وحكي عنه أيضاً أنه قال: جارتنا امرأة صدق وزوجها رجل صدق حملت ثلاثة أبطن في اثنتي عشرة سنة، تحمل كل بطن أربع سنين، وورد هذا عن غير تلك المرأة أيضاً.

وهذا التعليل حكاه ابن رشد في ^(١) عن أبي بكر الأبهري ثم عقبه بقوله: وهو تعليل ضعيف لأن العلة لو كانت في ذلك هذا لوجب أن يستوي فيه الحر والعبد ^(٢) لاستوائهما في مدة لحوق النسب، ولوجب أن يسقط جملة في الصغيرة التي لا يوطأ مثلها إذا فقد عنها زوجها فقام عنها أبوها في ذلك، فقد قال: إنها لو أقامت عشرين سنة ثم رفعت أمرها لضرب لها أجل أربعة أعوام وهذا يبطل تعليله إبطالاً ظاهراً. وليت هذا المتشبه أدلى في حجته بذكر أناس تربيوا في الأرحام النزيهة عن الحنا أربعاً قبل فتيا الخليفتين، وإلا فما غناء قصة وقعت بعدهما بردح طويل من الزمن ولا يُدرى أصحیحة هي أم مكذوبة؟ وعلى فرض الصحة فهل كان الخليفتان يعلمان الغيب؟ وأنه سينتج المستقبل الكشف رجلاً يكون حجة لما قدراه من مدة التربص؟ أو كان ما قد رآه فتوى مجردة؟ فنحنت لها الأيام علة بعد الوقوع.

على أن أقصى مدة الحمل محل خلاف بين الفقهاء، ذهب أبو حنيفة وأصحابه والثوري إلى أنه عامان، ومذهب الشافعي أنه أربعة أعوام، واختار ابن القاسم أن أكثره خمسة أعوام ^(٣)، وروى أشهب عن مالك سبعة أعوام على ما روي أن امرأة

(١) المدونة الكبرى: ١٠٦ / ٢.

(٢) التفصيل بين الحر والعبد بأن امرأة الحر يضرب لها أجل أربعة أعوام ولا امرأة العبد تربص عامين كما نص عليه ابن رشد، رأي مجرد لا دليل عليه.

(٣) في الفقه على المذاهب الأربعة، ٥٣٥/٤ إنه خمس سنين على الراجح. (المؤلف)

ابن عجلان ولدت ولداً مرة لسبعة أعوام^(١).

ولعلّ أبناء عجلان آخرين في أرجاء العالم لا يُرفع أمر حلالهم إلى مالك والشافعي وقد ولدن أولاداً لثمانية أو تسعة أو عشرة أعوام، دع العقل والطبيعة والبرهنة تستحيل ذلك كله، ما هي وما قيمتها تجاه ما جاءت به امرأة عجلان وحكم به مالك؟! أو وجاء ما أتت به أمّ الشافعي فأفتى به؟!

ونقل ابن رشد في سبب التقدير بأربعة أعوام عللاً غير هذا وإن ردّها وفنّدها، منها: أنّها المدّة التي تبلغها المكاتب في بلد الإسلام مسيراً ورجوعاً، ومنها: أنّه جهل إلى أيّ جهة سار من الأربع جهات، فلعلّ جهة تربص سنّة فهي أربع سنين. هذا مبلغ علمهم بفلسفة آراء جاء بها عمر وعثمان فأين يقع هو من حكم ما صدع به النبيّ الأقدس؟

ثمّ يخبرني هذا المتفقه عن هذه العدة التي أثبتتها الخليفتان لماذا هي؟ فإن كانت عدّة الوفاة فإنّها غير جازمة بها، ولا تثبت بمجرد مرور أربع سنين أو أكثر، وفي رواية عن عمر كما سمعت أنّه قضى في المفقود تربص امرأته أربع سنين ثمّ يطلقها وليّ.

أقول: وقع عمر وعثمان في خبط عظيم في الفقه الإسلامي لا تنجو منه الأئمة إلى يوم القيامة؛ لا بتعادهما عن الأحكام القرآنية والنبوية ومنعهما تدوين الحديث. فإذا كانت المرأة المفقود زوجها تعتدّ أربع سنين ثمّ تتزوّج فكيف يطلقها زوجها الجديد إن عاد زوجها الأوّل؟

والعجيب في فتاوى عمر وعثمان في حقّ الزوج الأوّل بين امرأته والمهر.

(١) راجع مقدّمات المدوّنة الكبرى للقاضي ابن رشد: ١٠٢/٢. (المؤلف)

ولا يصح إطلاق لفظ امرأته عليه بعدما طلقها الشرع منه.
وكيف يأخذ المهر منها أو من زوجها الجديد وقد استمتع بنكاحها سابقاً.
وما ذنب الزوج الجديد حتى يدفع مهرأ ليس مسؤولاً عنه؟

الجمع بين الأختين بالملك

أخرج مالك في الموطأ^(١) (١٠/٢)، عن ابن شهاب، عن قبيصة بن ذؤيب أن رجلاً سأل عثمان بن عفان عن الأختين من ملك اليمين، هل يجمع بينهما؟ فقال عثمان: أحلتها آية وحرمتها آية، أما أنا فلا أحب أن أصنع ذلك. قال: فخرج من عنده فلقي رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ فسأله عن ذلك فقال: لو كان لي من الأمر شيء ثم وجدت أحداً فعل ذلك لجعلته نكالا. قال ابن شهاب: أراه علي بن أبي طالب.

عن ابن شهاب: قال: أخبرني قبيصة بن ذؤيب أن نياراً الأسلمي سأل رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ عن الأختين فيما ملكت اليمين، فقال له: أحلتها آية وحرمتها آية، ولم أكن لأفعل ذلك. قال: فخرج نيار من عند ذاك الرجل فلقبه رجل آخر من أصحاب رسول الله ﷺ فقال: ما أفتاك به صاحبك الذي استفتيته؟ فأخبره، فقال: إني أنهارك عنها، ولو جمعت بينهما ولي عليك سلطان عاقبتك عقوبة منكرة.

قال ملك العلماء في البدائع: وروي عن عثمان أنه قال: كل شيء حرّمه الله تعالى من المحررات حرّمه الله تعالى من الإماء إلا الجمع في الوطن بملك اليمين.

وقال المصنّاع في أحكام القرآن: وروي عن عثمان وابن عباس أنّهما أباحا ذلك وقالوا: أحلّتهما آية وحرّمتهما آية. وقال: روي عن عثمان الإباحة، وروي عنه أنّه ذكر التحريم والتحليل وقال: لا أمر به ولا أنهى عنه. وهذا القول منه يدلّ على أنّه كان ناظراً فيه غير قاطع بالتحليل والتحريم فيه، فجاز أن يكون قال فيه بالإباحة ثمّ وقف فيه، وقطع على نفسه فيه بالتحريم.

وقال الزمخشري: أمّا الجمع بينهما في ملك اليمين؛ فعن عثمان وعلي رضي الله عنهما قالاً: أحلّتهما آية وحرّمتهما آية، فرجع علي رضي الله عنهما والتحليل^(١). وقال الرازي^(٢): وعن عثمان، أنّه قال: أحلّتهما آية وحرّمتهما آية، والتحليل أولى.

وقال ابن عبد البر في كتاب الاستذكار^(٣): إنّما كنّى قبيصة بن ذؤيب عن عليّ ابن أبي طالب لصحبته عبد الملك بن مروان، وكانوا يستقلّون ذكر عليّ بن أبي طالب^(٤).

قال الأميني: يقع البحث عن هذه المسألة في موردين:

(١) السنن الكبرى للبيهقي: ١٦٣/٧، ١٦٤، أحكام القرآن للمصنّاع: ١٥٨/٢، المحلى لابن حزم: ٥٢٢/٩، تفسير الزمخشري: ٣٥٩/١، تفسير القرطبي: ١١٧/٥، بدائع الصنائع لملك العلماء: ٢٦٤/٢، تفسير الخازن: ٣٥٦/١، الدر المنثور: ١٣٦/٢، نقل عن مالك والشافعي وعبد بن حميد وعبد الرزاق وابن أبي شيبة وابن أبي حاتم والبيهقي، تفسير الشوكاني: ٤١٨/١.

(٢) التفسير الكبير: ٣٦/١٠.

(٣) في بيان حديث الموطأ المذكور في أوّل العنوان في قول قبيصة: فلقى رجلاً.

(٤) أحكام القرآن: ١٣٠/٢، الكشف: ٤٩٦/١، الجامع لأحكام القرآن: ٧٧/٥، تفسير الخازن: ٣٤٢/١، الدر المنثور: ٤٧٦/٢، موطأ مالك: ٥٣٨/٢ ح ٣٤، كتاب الأم للشافعي: ٣/٥، المصنّف لعبد الرزاق: ١٨٩/٧ ح ١٢٧٢٨، مصنّف ابن أبي شيبة: ١٦٩/٤، فتح القدير: ٤٥٣/١.

الأول: في حكم الجمع بين الأختين بملك اليمين ووطئها جميعاً، فهو محرّم على المشهور بين الفقهاء كما قاله الرازي في تفسيره^(١).

وهو المشهور عند الجمهور والأئمة الأربعة وغيرهم، وإن كان بعض السلف قد توقّف في ذلك كما قاله ابن كثير في تفسيره^(٢).

ولا يجوز الجمع عند عامة الصحابة^(٣).

وكان فيه خلاف بين السلف ثم زال وحصل الإجماع على تحريم الجمع بينها بملك اليمين. واتفق فقهاء الأمصار عليه كما قاله الجصاص في أحكام القرآن^(٤).

أقول: حرّم الله تعالى الجمع بين الأختين في كتابه العزيز وحلّل ذلك عثمان بن عفان.

ولا أدري كم تجرّأ عثمان بن عفان على شريعة الله تعالى فخالقها وكيف عضده الناس في منحاها المخالف للقرآن الكريم.

فقد قال الله تعالى في كتابه المبين:

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ... وَأَنْ تَبْتَغُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ﴾^(٥).

وقال عثمان بجواز الجمع بين الأختين في ملك اليمين.

وكلّما خالف القرآن الكريم فهو باطل.

(١) التفسير الكبير: ١٠ / ٣٦.

(٢) تفسير ابن كثير: ١ / ٤٧٢.

(٣) بدائع الصنائع: ٢ / ٢٦٤.

(٤) أحكام القرآن: ٢ / ١٣٠، ١٣٢.

(٥) النساء: ٢٣، راجع التفسير للاميني ٤ / ٣٠٤.

صدقة رسول الله العامة تصبح خاصة!

أخرج الطبراني في الأوسط^(١) من طريق سعيد بن المسيّب قال: كان لعثمان آذن، فكان يخرج بين يديه إلى الصلاة، قال: فخرج يوماً فصلّى والآذن بين يديه ثم جاء فجلس الآذن ناحية ولّف رداءه فوضعه تحت رأسه واضطجع ووضع الدرّة بين يديه، فأقبل عليّ ﷺ في إزار ورداء وبيده عصا، فلما رآه الآذن من بعيد قال: هذا عليّ ﷺ قد أقبل، فجلس عثمان فأخذ عليه رداءه، فجاء حتى قام على رأسه فقال: اشتريت ضيعة آل فلان ولو وقف رسول الله ﷺ في مائها حقّ، أما إنّي قد علمت أنّه لا يشتريها غيرك، فقام عثمان وجرى بينهما كلام^(٢)، وجاء العباس فدخل بينهما، فجعل العباس يسكنّهما ويقول لعليّ: أمير المؤمنين، ويقول لعثمان: ابن عمّك، فلم يزل حتى سكنا^(٣).

قال الأميني: يعلمنا الحديث أنّ الخليفة ابتاع الضيعة وماءها وفيه حقّ لو وقف رسول الله لا يجوز ابتياعه، فإن كان يعلم بذلك، وهو المستفاد من سياق الحديث حيث أنّه لم يعتذر بعدم العلم، وهو الذي يلحق إليه قول الإمام ﷺ: وقد علمت أنّه لا يشتريها غيرك. فبأي مبرّر استساغ ذلك الشراء؟

وإن كان لا يعلم فقد أعلمه الإمام ﷺ فما هذه المأراة والتلاحي حتى فصل بينهما العباس، أو في الحق مغضبة؟ وهل يكون تنبيه الغافل أو إرشاد الجاهل مجلبة لغضب الإنسان الديني؟ فضلاً عن يعلّه أكبر منصّة في الإسلام.

(١) المعجم الأوسط: ٨ / ٣٦٣ ح ٧٧٤٠.

(٢) عبارة الطبراني في المعجم الأوسط: وجرى بينهما كلام لا أردّه حتى ألقى الله، راجع كتاب التذير للأميني ٤ / ٣٢٦.

(٣) مجمع الزوائد: ٧ / ٢٢٦.

وأحسب أن ذيل الرواية مُلصق بها لإصلاح ما فيها، وعلى فرض صحته فإنه لا يجديهم نفعاً، فإن الإمام عليه السلام لم يأل جهداً في النهي عن المنكر سواء ارتدع فاعله أو أنه عليه السلام يشس من خضوعه للحق، وعلى كل فإنه عليه السلام كان يماشيهم على ولاء الإسلام ولا يثيره إلا الحق إذا لم يعمل به، فيجري في كل ساعة على حكمها من مكاشفة أو ملاينة، وهكذا فليكن المصلح المنزه عن الأغراض الشخصية الذي يغضب لله وحده ويدعو إلى الحق للحق.

أقول: إن مشكلة عثمان بن عفان عدم اعتنائه بآيات القرآن الكريم والحديث الشريف، فهو يخالفهما متى شاء وأتى شاء دون عناية منه لذلك.

وكان معاوية بن أبي سفيان كذلك لا يهتم بالأحكام السماوية.

فممن الماء التي تصدق بها رسول الله ﷺ للناس لا يمكن شراؤها لمصلحة فرد واحد، ولا يقدم على هذا الفعل إلا المنكرون؛ لذا قال الإمام علي عليه السلام لعثمان: إني أعلم لا يشترها غيرك.

حمى الجاهلية

وخالفت قريش الإسلام.

لقد جعل الإسلام منابت العيش من مساقط الغيث والمروج كلها شرعاً سواء بين المسلمين إذا لم يكن لها مالك مخصوص كما هو الأصل في المباحات الأصلية من جواز الفلوات وأطراف البراري؛ فترتع فيها مواشيهم وترعى إبلهم وخيلهم من دون أي مزاحمة بينهم، وليس لأي أحد أن يحمي لنفسه حمى فيمنع الناس عنه؛ فقال ﷺ: «المسلمون شركاء في ثلاث: في الكلا والماء والنار».

وقال: «ثلاث لا يُمنَع: الماء والكلأ والنار».

وقال: «لا يُمنَع فضل الماء ليمنع به الكلأ» وفي لفظ: «لا تمنعوا فضل الماء لتمنعوا به فضل الكلأ». وفي لفظ: «من منع فضل الماء ليمنع به فضل الكلأ منعه الله فضله يوم القيامة»^(١).

نعم كان في الجاهلية يحمي الشريف منهم ما يروقه من قطع الأرض لمواشيه وإبله خاصة فلا يشاركه فيه أحد وإن شاركهم هو في مراتعهم، وكان هذا من مظاهر التجبر السائد عندئذ، فاكتمسح رسول الله ﷺ ذلك فيما اكتسحه من عادات الطواغيت وتقاليد الجبايرة فقال ﷺ: «لا حمى إلا لله ولرسوله»^(٢).

وقال الشافعي في تفسير الحديث: كان الشريف من العرب في الجاهلية إذا نزل بلدًا في عشيرته استعوى كلباً، فحمى لمناصته مدى عواء الكلب لا يشركه فيه غيره فلم يرهعه معه أحد، وكان شريك القوم في سائر المراتع حوله. قال: فنهى النبي ﷺ أن يُحمى على الناس حمى كما كانوا في الجاهلية يفعلون. قال: وقوله: ألا لله ولرسوله. يقول: إلا ما يحمى لحليل المسلمين وركابهم التي تُرصد للجهاد ويحمل عليها في سبيل الله وإبل الزكاة كما حمى عمر النقيع^(٣) لنعم الصدقة والحليل المعدة في سبيل الله^(٤).

(١) توجد هذه الأحاديث في صحيح البخاري: ١١٠/٢ [٨٣٠/٢ ح ٢٢٢٦ و ٢٢٢٧]، الأموال لأبي عبيد: ص ٢٩٦ [ص ٣٧٣ ح ٧٣١ و ٧٣٢]، سنن أبي داود: ١٠١/٢ [٢٧٨، ٢٧٧/٢ ح ٣٤٧٣، ٣٤٧٧]، سنن ابن ماجه: ٩٤/٢ [٨٢٨/٢ ح ٢٤٧٨].

(٢) صحيح البخاري: ١١٣/٣ [٨٣٥/٢ ح ٢٢٤١]، الأموال لأبي عبيد: ص ٢٩٤ [ص ٣٧٢ ح ٧٢٨]، كتاب الأم للشافعي: ٢٠٧/٣ [٤٧/٤] وفي الأخيرين تفصيل ضابط حول المسألة.

(٣) على عشرين فرسخاً أو نحو ذلك من المدينة. معجم البلدان [٣٠١/٥].

(٤) راجع كتاب الأم: ٢٠٨/٣ [٤٧/٤]، معجم البلدان: ٣٤٧/٣ [٣٠١/٥]، نهاية ابن الأثير: ٢٩٧/١ [٤٤٧/١]، لسان العرب: ٢١٧/١٨ [٣٤٨/٣]، تاج العروس: ٩٩/١٠.

واستعمل عمر على الحمى مولى له يقال له هني فقال له: يا هني ضمّ جناحك للناس، وأتق دعوة المظلوم فإنّ دعوة المظلوم مجابة، وأدخل ربّ الصريمة وربّ الغنيمة، وإيتاي ونعم ابن عفان^(١) ونعم ابن عوف فإنّهما إن تهلك ماشيتهما يرجعان إلى نخل وزرع.

وأصبحت فذك لمروان

عدّ ابن قتيبة في المعارف^(٢)، وأبو الفداء^(٣) ممّا نقم الناس على عثمان إقطاعه فذك لمروان وهي صدقة رسول الله، فقال أبو الفداء: وأقطع مروان بن الحكم فذك وهي صدقة رسول الله ﷺ التي طلبتها فاطمة ميراثاً، فروى أبو بكر عن رسول الله ﷺ: نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة، ولم تزل فذك في يد مروان وبنيه إلى أن تولى عمر بن عبدالعزيز فانتزعها من أهله وردّها صدقة.

وأخرج البيهقي^(٤) من طريق المغيرة حديثاً في فذك وفيه: أنّها أقطعها مروان لما مضى عمر لسبيله. فقال: قال الشيخ: إنّما أقطع مروان فذكاً في أيام عثمان بن عفان وكأنّه تأوّل في ذلك ما روي عن رسول الله ﷺ، إذا أطعم الله نبياً طعمة فهي للذي يقوم من بعده، وكان مستغنياً عنها بما له فجعلها لأقربائه ووصل بها رحمهم، وذهب آخرون إلى أنّ المراد بذلك التولية وقطع جريان الإرث فيه، ثمّ تصرف في مصالح المسلمين كما كان أبو بكر وعمر يفعلان.

(١) في لفظ أبي عبيد: ودعني من نعم ابن عفان. بدل: وإيتاي ونعم ابن عفان.

(٢) المعارف: ص ١٩٤ - ١٩٥.

(٣) تاريخ أبي الفداء: ١ / ١٦٨.

(٤) السنن الكبرى، البيهقي: ١ / ٣٦٠.

وفي العقد الفريد^(١) في عَدَّ ما نَقَم الناس على عثمان: أَنَّهُ أَقْطَعَ فِدْكَ مِروانَ وَهِيَ صَدَقَةٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَافْتَتَحَ إِفْرِيقِيَّةً وَأَخَذَ خَمْسَهَا فَوَهَبَهَا لِمِروانَ.
وقال ابن أبي الحديد في شرحه^(٢): وَأَقْطَعَ عُثْمَانُ مِروانَ فِدْكَ، وَقَدْ كَانَتْ فَاطِمَةُ ﷺ طَلَبَتْهَا بَعْدَ وَفَاةِ أَبِيعَاصِلَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ تَارَةً بِالمِيرَاثِ وَتَارَةً بِالنَّحْلَةِ فَدَفَعَتْ عَنْهَا.

قال الأُمَيِّي: أَنَا لَا أَعْرِفُ كُنْهَ هَذَا الإِقْطَاعِ وَحَقِيقَةَ هَذَا الْعَمَلِ فَإِنَّ فِدْكَ إِنْ كَانَتْ فِئْتًا لِلْمُسْلِمِينَ - كَمَا ادَّعَاهُ أَبُو بَكْرٍ - فَمَا وَجْهَ تَخْصِصِهَا بِمِروانَ؟ وَإِنْ كَانَتْ مِيرَاثًا لَأَلَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَمَا احْتَجَّتْ لَهُ الصَّدِيقَةُ الطَّاهِرَةُ فِي خُطْبَتِهَا، وَاحْتَجَّ لَهُ أُنْمَةُ الْهُدَى مِنَ الْعَتَرَةِ الطَّاهِرَةِ وَفِي مَقْدَمِهِمْ سَيِّدُهُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فَلَيْسَ مِروانَ مِنْهُمْ، وَلَا كَانَ لِلْخَلِيفَةِ فِيهَا رَفْعٌ وَوَضْعٌ، وَإِنْ كَانَتْ نَحْلَةً مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَبَضَعَتْهُ الطَّاهِرَةُ فَاطِمَةُ الْمَعْصُومَةُ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهَا - كَمَا ادَّعَاهُ وَشَهِدَ لَهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَابْنَاهَا الإِمَامَانِ السَّبْطَانِ وَأُمُّ أَيْمَنِ الْمَشْهُودِ لَهَا بِالْجَنَّةِ فَرَدَّتْ شَهَادَتَهُمْ بِمَا لَا يُرْضِي اللَّهَ وَلَا رَسُولَهُ، وَإِذَا رُدَّتْ شَهَادَةُ أَهْلِ آيَةِ التَّطْهِيرِ فَبِأَيِّ شَيْءٍ يُعْتَمَدُ^(٣)؟ وَعَلَى أَيِّ حِجَّةٍ يُعْوَلُ؟

إِنْ دَامَ هَذَا وَلَمْ يَحْدُثْ بِهِ غَيَرٌ لَمْ يُبَكِّ مِيتٌ وَلَمْ يُفْرَخْ بِمَوْلُودٍ
فَإِنْ كَانَتْ فِدْكَ نَحْلَةً فَأَيُّ مَسَاسٍ بِهَا لِمِروانَ؟ وَأَيُّ سُلْطَةٍ عَلَيْهَا لِعُثْمَانَ؟ حَتَّى يَقْطَعَهَا لِأَحَدٍ وَلَقَدْ تَضَارَبَتْ أَعْمَالُ الْخُلَفَاءِ الثَّلَاثَةِ فِي أَمْرِ فِدْكَ فَانْتَزَعَهَا أَبُو بَكْرٍ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ، وَأَقْطَعَهَا عُثْمَانُ لِمِروانَ، ثُمَّ كَانَ فِيهَا مَا كَانَ فِي أَدْوَارِ الْمُسْتَحْوِذِينَ عَلَى

(١) العقد الفريد: ٤ / ١٠٣.

(٢) شرح نهج البلاغة: ١ / ١٩٨ - ١٩٩ خطبة ٣.

(٣) ضَمَّنَ (يُعْتَمَدُ) مَعْنَى (يُوثَقُ).

الأمر منذ عهد معاوية وهلمّ جرّاً فكانت تؤخذ وتعطى، ويفعلون بها ما يفعلون بقضاء من الشهوات، ولم يعمل برواية أبي بكر في عصر من العصور، فإن صانعه الملائم الحضور على سماع ما رواه عن رسول الله ﷺ وحابوه وجاملوه، فقد أبطله من جاء بعده بأعمالهم وتقليباتهم فيها بأنحاء مختلفة.

بل إن أبا بكر نفسه أراد أن يبطل روايته بإعطاء الصكّ للزهراء فاطمة، غير أن ابن الخطّاب منعه وخرق الكتاب كما في السيرة الحلبية، وبذلك كلّه تعرف قيمة تلك الرواية ومقدار العمل عليها وقيمة هذا الإقطاع، وسيوافيك قول مولانا أمير المؤمنين في قطائع عثمان.

كانت الأموال الشعبية التي أعطاها عثمان لبني أمية دون حقّ أهمّ سبب قتل بسببه عثمان تلك القتلة النادرة.

إذ أعطى عثمان أموالهم لأعدائهم رغباً على أنوفهم كما قال، فأرغم الناس أنفه وسحقوه بأقدامهم.

وفي هذا عبرة لكلّ الحاكمين والمسيطرين على أموال المؤمنين.

الأموال والصدقات

لم تكن فذك ببدع من سائر الأموال من النية والغنائم والصدقات عند الخليفة بل كان له رأي حرّ فيها وفي مستحقّيها، كان يرى المال مال الله، ويحسب نفسه وليّ المسلمين، فيضعه حيث يشاء ويفعل فيه ما يريد، فقام كما قال مولانا أمير المؤمنين: «نافجاً حُضنيه بين نثليه ومُعتلفه، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خُضمة الإبل

نبذة الربيع»^(١).

كان يصل رحمه بجال يستوي فيه المسلمون كلهم، ولكل فرد من المئلا الديني منه حق معلوم للسائل والمحرور، لا يسوغ في شرعة الحق وناموس الإسلام المقدس حرمان أحد من نصيبه وإعطاء حقه لغيره من دون مرضاته.

جاء عن رسول الله ﷺ في الغنائم: «لله خمسة وأربعة أخماسه للجيش، وما أحد أولى به من أحد، ولا السهم تستخرجه من جنبك، ليس أنت أحق به من أخيك المسلم»^(٢).

وكان ﷺ إذا جاءه في قسمه من يومه فأعطى ذا الأهل حظين، وأعطى العزب حظاً^(٣).

والسنة الثابتة في الصدقات أن أهل كل بيئة أحق بصدقاتهم ما دام فيهم ذو حاجة، وليس الولاية على الصدقات للجباية وحملها إلى عاصمة الخلاف وإنما هي للأخذ من الأغنياء والصرف في فقراء محالماً، وقد ورد في وصية رسول الله ﷺ معاذاً حين بعثه إلى اليمن يدعوهم إلى الإسلام والصلاة أنه قال: «فإذا أقرأوا لك بذلك فقل لهم: إن الله قد فرض عليكم صدقة أموالكم تؤخذ من أغنيائكم فترد في فقرائكم»^(٤).

قال عمرو بن شعيب: إن معاذ بن جبل لم يزل بالجند إذ بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن حتى مات النبي ﷺ وأبو بكر، ثم قدم على عمر فردّه على ما كان عليه.

(١) بيج البلاغة، ١/ ٣٥ [ص ٤٩ خطبة ٣]. (المؤلف)

(٢) سنن البيهقي، ٦١/ ٣٢٤. (المؤلف)

(٣) سنن أبي داود، ٢٥/ ٢ [١٣٧/ ٢ ح ٢٩٥٣]. مسند أحمد، ٢٩/ ٦ [٤٥/ ٧ ح ٢٣٤٨٤]. سنن البيهقي، ٦١/ ٣٤٦. (المؤلف)

(٤) صحيح البخاري، ٢١٥/ ٣ [٥٥٠/ ٢ ح ١٣٣١]. الأموال لأبي عبيد، ص ٥٨٠، ٥٩٥، ٦١٢ [ص ٦٩٣ ح ١٨٥٢، ص ٧٠٩ ح ١٩٠٨، ص ٧٢٨ ح ١٩٩٠]. المل، ٦١/ ١٤٦ [مأنة ٧١٩]. (المؤلف)

القسم الخامس،

الثورة الكبرى

الباب الأول:

علل الثورة



للشغل الأهل:

الأسباب والوقائع

السبب الديني في الثورة

الموضوع الديني أهمّ المواضيع المطروحة على ساحة الكرة الأرضية فلا يؤثر إنسان في الأئمة مثل تأثير النبي ﷺ، ولا تطيع الأمم شخصاً كطاعتها للرسول ﷺ ولا تحترم الشعوب إنساناً كاحترامها للنبي ﷺ.

فلقد عاش في أوربا رجال كثيرون يعدّون بالمليارات من البشر فلم يؤثر فيهم شخص كعيسى عليه السلام، وعاش في العالم الإسلامي مليارات الناس ولم يؤثر فيهم إنسان كمحمد ﷺ، فهو المصلح الأعظم الذي هدى الأئمة إلى طريق الخير والصلاح، وكان وما زال الدين هو المؤثر الأول في بني الإنسان وكلّ من حاول الاعتداء على الدين ألقى به الدين في مزالج التاريخ وعلى رأس هؤلاء أئمة الزندقة والإلحاد في الدنيا، في حين بقيت آيات الأنبياء مرفوعة وأسماؤهم لامعة وسيرتهم حيّة رغم إرادة الطغاة والفراعنة.

فالدين يؤثر في روح الإنسان ونفسه وجسده فيصلحها في طريق الخير

ويقوّيها ويعطيها المقاومة اللازمة لدفع الأخطار الخارجية. وأيّ ابتعاد عن الدين يعني الضعف الروحي والتشرذم النفسي والمرض الجسدي. ولأجل ذلك اضطرت بعض مستشفيات العالم لاستخدام رجال الدين في هذا الطريق.

وما زال الناس يركنون إلى الدين لإصلاح أنفسهم ومجتمعاتهم فكم من أمة ضبّطت نفسها وانتصرت على أعدائها ومشكلاتها بسلاح الدين. وكم من أمة راقية هوت في مجاهل التاريخ بابتعادها عن الله تعالى.

وما زال الدين الأسّ الأساس في حضارة الشعوب ورقبها وازدهار الأمم وانحطاطها. وكم من سلطان علا شأنه وارتقت منزلته باسم الدين، وكم من زعيم ذبحه الناس لانحرافه عن الشريعة.

وعثمان بن عفان أحد هؤلاء الرؤساء الذين قُتلوا بابتعادهم عن الدين. فلقد قالت عائشة: اقتلوا نعتلاً فقد كفر^(١). وقال عمار: كفر عثمان كفره صلعاء^(٢).

وقالت عائشة أيضاً: أبلى عثمان الدين وقبص رسول الله لم يبل.

وقالت أيضاً: يا غادر يا فاجر أخربت أمانتك وضيعت رعيّتك: هذا قبص رسول الله ﷺ لم يبل. وعثمان قد أبلى سنته، اقتلوا نعتلاً قتل الله نعتلاً، أشهد أن عثمان جيفة على الصراط غداً^(٣). وضرب عماراً ففتق امعاءه^(٤).

وقالت فيه عائشة: **هَيَّجْدُم قُوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْزَدَهُمُ النَّارَ وَيَبْثَسُ الْوَرْدُ**

(١) الفتوح، ابن أعثم ١ / ٦٤، نهج البلاغة ج ٣، ص ٣، الإيضاح، الفضل بن شاذان ٢٥٧.

(٢) المواعصم من القواصم ٦٥، منهاج السنة ٣ / ١٩٢، ١٩٣.

(٣) المختصر في أخبار البشر ١ / ١٧٢، الجمل، حاصر بن شدقم المدني ٢١، شرح النهج ٦ / ٢١٥، البحار ٣١ / ٢٩٦.

(٤) المواعصم من القواصم ٦٥، منهاج السنة ٣ / ١٩٢، ١٩٣.

الحَوَزُودُ^(١)

وقالت له أيضاً: يا عثمان خصصت بيت مال المسلمين لنفسك وأطلقت أيدي بني أمية على أموال المسلمين ووليتهم الميلاد وتركت أمة محمد في ضيق وعسر قطع الله عنك بركات السماء وحرملك خيرات الأرض.

وظهر كفر عثمان في قتله للصحابه فن ضمن المقتولين بأمره ويده أبو ذر الغفاري وعبدالله بن مسعود وعبدالرحمن بن عوف والمقداد بن عمر وأبي بن كعب. ومن كفره بالدين إسرافه في أموال الله وأموال الناس وإعطائها لبني أمية، ولم يسرف زعيم إسلامي مثلما أسرف عثمان في بيت مال المسلمين فاعتزل عمله عبدالله بن مسعود وزيد بن أرقم وأرجع مفاتيح بيت المال!

وأعطى رشوة لمحمد بن أبي حذيفة قفضحه في المسجد النبوي^(٢).

ومن كفره بالدين في رأي الصحابة توليته السياسة والمناصب الإدارية والعسكرية لبني أمية الفاسقين وإبعاده المؤمنين وتقريبه كعب الأحبار وعبدالله بن سلام وتقيم انداري وباقي المشركين على حساب المؤمنين.

ومن كفره بالدين في رأي الصحابة تلاعبه في الأحكام الشرعية والفقهية. مثل الصلاة والوضوء، وعدم تطبيقه الأحكام الشرعية بحق الوليد بن عقبة الفاسق الذي صلى بالناس سكراناً، وأدخل ساحراً يهودياً في مسجد الكوفة ولم يقتص من أصحابه الذين قتلوا مسلماً أثناء الحصار المضروب على بيته.

السبب الاجتماعي للثورة

بالرغم من أن سعيد بن المسيب كان من أعوان عثمان إلا أنه ذكر أسباب الثورة

(١) البحار ٨ / ٣٤١، ٣١ / ٢٩٥.

(٢) أنساب الأشراف ٨٧.

كما يلي:

قال: إِنَّ عُمَانَ لَمَّا وَلِيَ كَرِهَ وَلَايَتَهُ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ لِأَنَّ عُمَانَ كَانَ يَحِبُّ قَوْمَهُ، فَوَلِيَ النَّاسَ إِثْنَيْ عَشَرَ سَنَةً، وَكَانَ كَثِيراً مَا يُولِي بَنِي أُمَيَّةَ، مِمَّنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ صَحْبَةٌ.

وَكَانَ يَجِيءُ مِنْ أَمْرَائِهِ مَا يَنْكَرُهُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَكَانَ يَسْتَعْتَبُ فِيهِمْ فَلَا يَعْزَلُهُمْ؛ فَلَمَّا كَانَ فِي الْحِجَجِ الْآخِرَةِ اسْتَأْمَرَ بَنِي عَمَتِهِ فَخَرَجُوا، فَوَلَّاهُمْ وَأَمَرَهُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَوَلَّى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَرْحٍ مِصْرَ، فَكَتَبَ عَلَيْهَا هِنَاةً إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَأَبِي ذَرٍّ، وَعِمَارِ بْنِ يَاسِرٍ؛ فَكَانَتْ هَذِيلٌ وَبَنُو زُهْرَةَ فِي قُلُوبِهِمْ مَا فِيهَا لَا بِنَ مَسْعُودٍ الْمَقْتُولِ بِيَدِ عُمَانَ، وَكَانَتْ بَنُو غِفَارٍ وَأَحْلَافُهَا وَمَنْ غَضِبَ لِأَبِي ذَرٍّ فِي قُلُوبِهِمْ مَا فِيهَا^(١)، وَكَانَتْ بَنُو مَخْزُومٍ قَدْ حَنَقَتْ عَلَى عُمَانَ بِمَا نَالَ مِنْ عِمَارِ بْنِ يَاسِرٍ. وَجَاءَ أَهْلُ مِصْرَ يَشْكُونَ مِنْ ابْنِ أَبِي سَرْحٍ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَانُ كِتَاباً يَسْتَهْدِدُهُ، فَأَبَى ابْنُ أَبِي سَرْحٍ أَنْ يَقْبَلَ مَا نَهَاهُ عُمَانُ عَنْهُ، وَضَرَبَ رَجُلًا مِمَّنْ أَتَى عُمَانَ فَقَتَلَهُ، فَخَرَجَ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ سَبْعَانَةً^(٢) رَجُلًا إِلَى الْمَدِينَةِ، فَنَزَلُوا الْمَسْجِدَ، وَشَكُوا إِلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي مَوَاقِيتِ الصَّلَاةِ مَا صَنَعَ ابْنُ أَبِي سَرْحٍ، فَقَامَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ فَكَلَّمَ عُمَانَ بِكَلَامٍ شَدِيدٍ. وَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ عَائِشَةُ: قَدْ تَقَدَّمَ إِلَيْكَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَسَأَلُوكَ عَزَلَ هَذَا الرَّجُلِ فَأَبَيْتَ أَنْ تَعَزْلَهُ، فَهَذَا قَدْ قَتَلَ مِنْهُمْ رَجُلًا، فَأَنْصَفْهُمْ مِنْ عَامِلِكَ^(٣).

وَدَخَلَ عَلَيْهِ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَانَ مَتَكَلِّمَ الْقَوْمِ. فَقَالَ: إِنَّمَا سَأَلُوكَ رَجُلًا مَكَانَ رَجُلٍ،

(١) لَقَتْلَهُ لَهُ، الْمُقَدِّ الْفَرِيدُ ٤ / ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢.

(٢) فِي الطَّبْرِيِّ ١٠٩ / ٥ «خَمْسَةَ رَجُلٍ» وَفِي رِوَايَةِ أُخْرَى «سِتْمَنَةً».

(٣) الْمَصْدَرُ السَّابِقُ.

وقد ادَّعوا قبله دماً فاعزله عنهم، واقض بينهم، وإن وجب عليه حقٌّ فأنصفهم منه. فقال لهم: اختاروا رجلاً أولَّه عليكم مكانه. فأشار الناس عليه بمحمَّد بن أبي بكر فقالوا: استعمل علينا محمَّد بن أبي بكر. فكتب عهده وولَّاه وأخرج معهم عدَّة من المهاجرين والأنصار ينظرون فيما بين أهل مصر وابن أبي سرح.

فخرج محمَّد ومن معه، فلمَّا كان على مسيرة ثلاثة أيَّام من المدينة، إذا هم بغلام أسود^(١) على بعير يحبط الأرض خبطاً كأنَّه رجل يطلب أو يُطلب، فقال له أصحاب محمَّد: ما قصَّتكَ وما شأنك؟ كأنَّك هارب أو طالب! فقال: أنا غلام أمير المؤمنين، وجَّهني إلى عامل مصر. فقالوا: هذا عامل مصر معنا.

قال: ليس هذا أريد. وأخبرَ بأمره محمَّد بن أبي بكر، فبعث في طلبه فأُتي به، فقال له: غلام من أنت؟ قال: فأقبل مرَّة يقول: غلام أمير المؤمنين؛ ومرَّة: غلام مروان، حقٌّ عرفه رجل منهم أنَّه لعثمان، فقال له محمَّد: إلى مَنْ أرسلت؟ قال: إلى عامل مصر. قال: بما؟ قال: برسالة. قال: معك كتاب؟

قال: لا. ففتشوه فلم يجدوا معه شيء، إلَّا إداوة قد يبست فيها شيء يتقلقل، فحرَّكوه ليخرج فلم يخرج، فشقُّوا الإداوة، فإذا فيها كتاب من عثمان إلى ابن أبي سرح، فجمع محمَّد من كان معه من المهاجرين والأنصار وغيرهم، ثمَّ فكَّ الكتاب بحضور منهم، فإذا فيه:

إذا جاءك محمَّد وفلان وفلان فاحتلَّ لقتلهم، وأبطل كتابهم، وقرَّ على عملك حتى يأتيك رأيي، واحتبس من جاء يتظلم منك، ليأتيك في ذلك رأيي إن شاء الله^(٢).

(١) وهو «أبو الأعور بن سفيان السلمي» كما في الطبري، وفي مروج الذهب: ورش غلام عثمان.

(٢) انظر الطبري ١١٥ / ٥ مروج الذهب ٢ / ٣٨٠.

فلما قرءوا الكتاب فزعوا وعزموا على الرجوع إلى المدينة، وختم محمد الكتاب بخواتم القوم الذين أرسلوا معه، ودفعوا الكتاب إلى رجل منهم، وقدموا المدينة، فجمعوا علياً عليه السلام وطلحة والزبير وسعداً ومن كان من أصحاب رسول الله ﷺ، ثم فكوا الكتاب بمحضر منهم وأخبروهم بقصة الغلام، وأقرءوهم الكتاب فلم يبق أحدٌ في المدينة إلا حنق على عثمان، وازداد منهم من كان غاضباً لابن مسعود وأبي ذر وعمار بن ياسر، غضباً وحنقاً، وقام أصحاب النبي ﷺ فلحقوا منازلهم، ما منهم أحدٌ إلا وهو مغتم بما قرءوا في الكتاب، وحاصر الناس عثمان، وأجلب عليه محمد بن أبي بكر بن تيم وغيرهم وأعانه طلحة بن عبيد الله على ذلك، وكانت عائشة تحرّضه كثيراً، فلما رأى ذلك عليّ بعث إلى طلحة والزبير وسعد وعمار، ونفر من أصحاب رسول الله ﷺ، كلهم بدري، ثم دخل على عثمان ومعه الكتاب والغلام والبعير، وقال له عليّ عليه السلام، هذا الغلام غلامك؟ قال: نعم. والبعير بعيرك؟ قال: نعم. والخصاتم خاتمك؟ قال: نعم. قال: فأنت كتبت الكتاب؟

قال: لا! وحلف بالله: ما كتبت الكتاب، ولا أمرتُ به، ولا وجهت الغلام إلى مصر قط. وأما الخطّ ففرءوا أنّه خطّ مروان^(١)، فشكوا في أمر عثمان، وسألوه أن يدفع إليهم مروان، فأبى، وكان مروان عنده في الدار، فخرج أصحاب محمد من عنده غضاباً، وشكوا في أمر عثمان وعلموا أنّه لا يحلف باطلاً، إلا أن قوماً قالوا: لا نبرئ عثمان، إلا أن يدفع إلينا مروان حتى نمتحنه ونعرف أمر هذا الكتاب، وكيف يأمر بقتل رجال من أصحاب محمد ﷺ بغير حق! فإن يك عثمان كتبه عزلناه، وإن

يك مروان كتبه على لسانه نظرنا في أمره. ولزموا بيوتهم، وأبى عثمان أن يُخرج إليهم مروان وخشي عليه القتل.

وحاصر الناس عثمان ومنعوه الماء، فأشرف عليهم، فقال:

أفيكم علي؟

قالوا: لا.

قال: أفيكم سعد؟

قالوا: لا.

فسكت ثم قال: ألا أحد يُبلغ علياً أن عثمان يُراد قتله.

فقال ﷺ: إنما أردنا منه مروان، فأما قتل عثمان فلا.

وبعث الامام علي ﷺ الماء لعثمان لحرمة قتل الانسان عطشا ولم يبعث ابنه

الحسن ﷺ للدفاع عنه.

ويقال: دخل الثوار داره من دار عمرو بن حزم الأنصاري، ومما يدل على ذلك

قول الأحوص:

لا تثنين لحزمي ظفوت به طراً ولو طرح الحزمي في النار

الناخسين بعروان بذي خُشب والمدخلين على عثمان في الدار^(١)

فدخلوا عليه وليس معه إلا امرأته نائلة بنت الفرافصة. ولا يعلم أحد

ممن كان معه؛ لأنهم كانوا على البيوت^(٢). وقال طلحة: لو دفع مروان

(١) ذو خشب: دار على مسيرة ليلة من المدينة، والناخسين بمروان: المطاردين له.

(٢) المصدر السابق.

لم يقتل^(١). وخرج علي عليه السلام فأتى منزله، وجاءه القوم كلهم يهرعون إليه، أصحاب محمد وغيرهم، يقولون: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: ليس ذلك إلا لأهل بدر، فمن رضي به أهل بدر فهو خليفة. فلم يبق أحد من أهل بدر إلا أتى علياً عليه السلام فقالوا: ما نرى أحداً أولى بها منك، فذ يدك نبايعك.

فقال: أين طلحة والزبير؟ فكانا أول من بايعه، طلحة بلسانه والزبير بيده. فلما رأى ذلك علي عليه السلام خرج إلى المسجد فصعد المنبر، فكان أول من صعد طلحة فبايعه بيده، وكانت اصبعه شلاء، فتطير منها علي عليه السلام، وقال ما أخلفه أن ينكت! ثم بايعه الزبير وسعد وأصحاب النبي جميعاً، ثم نزل ودعا الناس، وطلب مروان فهرب منه.

وخرجت عائشة باكية تقول: قُتل عثمان مظلوماً!

فقال لها عمار: أنتِ بالأمس تحرضين عليه، واليوم تبكين عليه! وجاء علي عليه السلام إلى امرأة عثمان فقال لها: من قتل عثمان؟

قالت: لا أدري دخل رجلان لا أعرفهما إلا أن أرى وجوههما، وكان معهما محمد بن أبي بكر. وأخبرته بما صنع محمد بن أبي بكر، فدعا علي بمحمد، فسأله عما ذكرت امرأة عثمان، فقال محمد: لم تكذب، وقد والله دخلت عليه وأنا أريد قتله، فذكر لي أبي، فقمت وأنا نائب والله ما قتلتته ولا أمسكته! فقالت امرأة عثمان: صدق ولكنه أدخلها^(٢).

ما نقم الناس على عثمان

قال ابن دأب: لما أنكر الناس على عثمان ما أنكروا، من تأمير الأحداث من

(١) الرواية في مروج الذهب ٣٨١ / ٢ والأغانى ٢٣ / ١ وانظر في مقتله روايات ذكرها الطبري ١١٣ / ٥ وما بعدها.

(٢) مروج الذهب ٣٨٢ / ٢، العقد الفريد ٢٧٤ / ٤.

أهل بيته على الجلالة الأكابر من أصحاب محمد ﷺ، قالوا لعبدالرحمن بن عوف: هذا عملك واختيارك لأمة محمد!

قال: لم أظنّ هذا به! ودخل على عثمان فقال له: إني إنما قدّمتك على أن تسير فينا بسيرة أبي بكر وعمر، وقد خالفتهما. فقال: عمر كان يقطع قرابته في الله، وأنا أصل قرابتي في الله.

فقال له عبدالرحمن: لله عليّ أن لا أكلّمك أبداً! فأت عبدالرحمن وهو لا يكلم عثمان.^(١)

ولما ردّ عثمان الحكم بن أبي العاص طريد النبي ﷺ وطريد أبي بكر وعمر إلى المدينة، تكلم الناس في ذلك، فقال عثمان: ما ينقم الناس مني؟ إني وصلت رحماً وقرّبت قرابة.

وقال حصين بن زيد بن وهب مررنا بأبي ذر بالريذة، فسألناه عن منزله، فقال: كنت بالشام فقرأت هذه الآية:

﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(٢).

فقال معاوية: إنما هي في أهل الكتاب.

فقلت: إنها لفينا وفيهم فكتب إليّ عثمان: أقبل. فلما قدمت ركبتني الناس كأنهم لم يروني قط، ثم كذب الأمويون قوله: فشكوت ذلك إلى عثمان، فقال: لو اعتزلت فكنت قريباً! فنزلت هذا المنزل، فلا أدع قولي، ولو أمروا عليّ عبداً حبشياً لأطعت.

(١) المقدم الفرید ٤ / ٢٨٦.

(٢) التوبة: ٣٤.

وعن الزبير بن العوام في هذه الآية: ﴿وَأَتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾^(١)، لقد نزلت وما ندري من يختلف لها. فقال بعضهم: يا أبا عبد الله، فلم جئت إلى البصرة؟ قال: ويحك إننا ننظر ولا نبصر! وقال أبو نضرة، عن أبي سعيد الخدري، قال: إن ناساً كانوا عند فسطاط^(٢) عائشة وأنا معهم بمكة، فرَبنا عثمان، فما بقي أحد من القوم إلا لعنه غيري؛ فكان فيهم رجل من أهل الكوفة، فكان عثمان على الكوفي أجراً منه على غيره، فقال: يا كوفي، أتشتمي؟ فلما قدم المدينة كان يتهدده؛ فقبل له: عليك بطلحة. قال: فانطلق معه حتى دخل على عثمان، فقال عثمان: والله لأجلدنه مائة سوطاً قال طلحة: والله لا تجلده مائة إلا أن يكون زانياً. قال: والله لأحرمنه عطاءه! قال: الله يرزقه.

وجاء: خرج علينا ابن مسعود ونحن في المسجد وكان على بيت مال الكوفة، وأمير الكوفة الوليد بن عقبة بن أبي معيط، فقال: يا أهل الكوفة، فقدت من بيت مالكم الليلة مائة ألف لم يأتني بها كتاب من أمير المؤمنين ولم يكتب لي بها براءة قال: فكتب الوليد بن عقبة إلى عثمان في ذلك، فزرعه عن بيت المال^(٣). أي شكأ عبد الله بن مسعود سرقة الوليد بن عقبة لبيت مال المسلمين فعزل عثمان عبد الله بن مسعود الأمين وأبقى ابن عقبة السارق!!

وكتب أصحاب عثمان عيبه وما ينقم الناس عليه في صحيفة، فقالوا: من يذهب بها إليه؟

قال عمار: أنا. فذهب بها إليه، فلما قرأها قال: أرغم الله أنفك، قال: وبأنف أبي

(١) الأنفال، ٢٥.

(٢) الفسطاط: بيت يتخذ من الشعر.

(٣) العقد الفريد ٤ / ٢٨٧.

بكر وعمر. قال: فقام إليه فوطئه حتى غشي عليه، ثم ندم عثمان، وبعث إليه طلحة والزبير يقولان له: اختر إحدى ثلاث: إما أن تعفو، وإما أن تأخذ الأرض^(١)، وإما أن تقتص.

فقال: والله لا قبلت واحدة منها^(٢).

ومرَّ عبدالله بن عمر بحذيفة، فقال: لقد اختلف الناس بعد نبيهم، فما منهم أحد إلا أعطى من دينه، ما عدا هذا الرجل^(٣).

وكتب عثمان إلى أهل الكوفة حين ولّاهم سعيد بن العاص: أمّا بعد، فإنّي كنت وليتكم الوليد بن عقبة غلاماً حين ذهب شرهه وثاب حلمه، وأوصيته بكم ولم أوصكم به، فلما أعيتكم علانيتي طعنتم في سريره، وقد وليتكم سعيد بن العاص وهو خير عشيرته، وأوصيكم به خيراً، فاستوصوا به خيراً.

وكان الوليد بن عقبة أخا عثمان لأُمّه، وكان عامله على الكوفة، فصلّى بهم الصبح ثلاث ركعات^(٤) وهو سكران، ثم التفت إليهم فقال: وإن شئتم زدتكُم! فقامت عليه البيّنة بذلك عند عثمان، فقال لطلحة: قم فاجلده. قال لم أكن من الجالدين. فقام إليه عليّ^(٥) فجلده.

وفيه يقول الحطيئة:

شهد الحطيئة يوم يلقى ربّه أنّ الوليد أحقّ بالمُدر^(٥)

(١) الأرض: الديّة.

(٢) المقد الفريد ٤ / ٢٨٧.

(٣) المصدر السابق.

(٤) في مروج الذهب ٢ / ٣٦٩ أربع.

(٥) بعده في مروج الذهب ٢ / ٣٧٠.

ليزيدهم خيراً^(١) ولو قبلوا لجمعت بين الشفع والوتر
 مكوا عنانك إذ جريت ولو تركوا عنانك لم تنزل تجري^(٢)
 ولما أنكر الناس على عثمان ما أنكروا، اجتمعوا إلى عليّ وسألوه أن يلقى لهم
 عثمان، فأقبل حتى دخل عليه فقال: إن الناس ورأيي قد كلفوني أن أكلمك؛ والله ما
 أدري ما أقول لك، ما أعرف شيئاً تنكره، ولا أعلمك شيئاً تجهله، وما ابن أبي
 قحافة بأولى بعمل الحق منك، ولا ابن الخطاب بأولى بشيء من الخير منك؛ وما
 نبضك من عمي، وما نعلمك من جهل، وإن الطريق لبين واضح، تعلم يا عثمان أن
 أفضل الناس عند الله إمام عدل هادي وهدي، فأحيا سنة معلومة، وأمات بدعة
 مجهولة، وأن شر الناس عند الله إمام ضلالة ضلّ وأضلّ، فأحيا بدعة مجهولة،
 وأمات سنة معلومة، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يؤتى بالإمام الجائر يوم
 القيامة ليس معه ناصر ولا له عاذر، فيلقى في جهنم فيدور دور الرحمن، يرتطم في
 غمرة الناس إلى آخر الأبد. وأنا أحذرك أن تكون إمام هذه الأمة المقتول، فبأنه
 يقال: يُقتل في هذه الأمة إمام يُفتح به باب القتل والقتال إلى يوم القيامة يرج بهم
 أمرهم ويمرجون. فخرج عثمان، ثم خطب خطبته التي أظهر فيها التوبة^(٣).
 وكان عليّ كلما اشتكى الناس إليه أمر عثمان أرسل ابنه الحسن ﷺ إليه، فلما
 أكثر عليه قال له: إن أباك يرى أن أحداً لا يعلم ما يعلم، ونحن أعلم بما نفعل، فكف
 عنا فلم يبعث عليّ ﷺ ابنه في شيء بعد ذلك^(٤).

(١) في مروج الذهب: ليزيدهم آخرى... للرفعت.

(٢) في مروج الذهب: حبسوا عنانك في الصلاة ولو خلوا...، العقد الفريد ٤ / ٢٨٨.

(٣) أنظر الطبري ٥ / ١١١.

(٤) العقد الفريد ٤ / ٢٨٩.

وقال عبدالله بن العباس: أرسل إليّ عثمان فقال لي: أكفيّ ابن عمك! فقلت: إنّ ابن عمي ليس بالرجل يُرى له ولكنّه يرى لنفسه، فارسلني إليه بما أحببت. قال: قل له فليخرج إلى ما له ينيّع، فلا أعتّم به ولا يفتّم بي فأنتيت عليّاً فأخبرته، فقال: ما اتّخذني عثمان إلّا ناصحاً. ثمّ أنشد يقول:

فكيف به أتّي أدواي جراحه فيدوى فلا ملّ الدواء ولا الداء

أما والله إنّّه ليختبر القوم، فأنتيت عثمان، فحدثته الحديث كلّه إلّا البيت الذي أنشده وقوله إنّّه ليختبر القوم؛ فأنشد عثمان:

فكيف به أتّي أدواي جراحه فيدوى فلا ملّ الدواء ولا الداء

وجعل يقول: يا رحيم انصرفي! يا رحيم انصرفي! قال: فخرج عليّ ﷺ إلى ينيّع، فكتب إليه عثمان حين اشتدّ الأمر:

أما بعد، فقد بلغ السيل الزبى وجاوز الحزام الطيبين^(١)، وطمع فيّ من كان يضعف عن نفسه:

وإنّك لم يفخر عليك كفاخر ضعيف ولم يغلبك مثل مُغلب^(٢)

فأقبل إليّ على أمريك أحببت، وكن لي أو عليّ، صديقاً كنت أو عدوّاً.

(١) في الكامل للسيرة ٦٢/١ أما بعد: فإنّه قد جاوز الماء الزبيّ، وبلغ الحزام الطيبين.

الزبية مصيدة الأسد، ولا تشدّ إلّا في قلّة أو رابية أو هضبة.

بلغ الحزام الطيبين واحد طهي. فإذا بلغ الحزام الطيبين فقد انتهت في المكروه (انظر أمثال أبي عبيد: ٣٤٣ جمع

الأمثال للميداني ١٦٦/١).

(٢) البيت لامرئ القيس، من قصيدة قالها منافساً علقمة بن عبدة القيس، وقد تحاكما إلى أمّ جندب زوجة امرئ.

القيس في أنها أشهر. وعندما قال امرؤ القيس قصيدته وعلقمة قصيدته فخلّت علقمة على زوجها فطلّعها امرؤ

القيس. والقصيدة في ديوانه: رقم ٦٤ مطلعها:

نقض لسانات الفؤاد المعذب

خليلي سرّاً بي على أمّ جندب

فإن كنت مأكولاً فكُن خيراً آكل وإلا فأدركني ولما أمزق^(١)

السبب الاقتصادي في الثورة

السبب الاقتصادي من الأسباب المهمة في الثورة في كل مكان، فالاحتياج إلى الخبز من دواعي الحركة الثورية عند الجماهير الغاضبة، وأشدّ الحكومات ظلماً تلك التي تلاعبت بخبز الناس وحرمتهم عيشهم.

ولأهمية الخبز في الحياة الاجتماعية أولاها الإسلام عناية خاصة وأعطاهها رعاية مكثفة. فأصدر رسول الله ﷺ قانوناً بإعطاء الناس أموالاً سنوية يعيشون بها تكفيهم إدارة شؤونهم الحياتية.

وهو أول قانون عالمي في هذا المجال فبدأت الحكومة الإسلامية بتوزيع الأموال على الناس الموالين والمعارضين للدولة على حدّ سواء. ولم يمنع النبي ﷺ المال عن أيّ معارض سياسي للنظام الإسلامي؛ لأنّ من حقوق الإنسان في الأرض القدرة على الطعام واللباس والسكن.

وشملت تلك العناية، أهل الكتاب فدعى النبي ﷺ إلى إطعامهم وكسوتهم ما داموا في البلاد الإسلامية لمنع تسوّطهم واستجدائهم قوتهم.

وهكذا فعل أمير المؤمنين علي عليه السلام في زمن خلافته إذ دهش من رؤيته نصرانياً يتصدّق الناس قائلاً: انتفعتم بشبابه في العمل ولما عجز منعتموه قوته. فأجرى عليه مرتباً مالياً كافياً له. وأصبحت النظرية الإسلامية مشروعاً عالمياً للحياة ومنهجاً إنسانياً للعدالة.

(١) البيت للمزق العبدي من أبيات قالها عمرو بن هند الكامل: ٢٥ / ١، العقد الفريد ٤ / ٢٩٠.

وفي أيامنا الحالية أخذت الكثير من الحكومات الغربية هذا القانون النبوي وطبخته على شعوبها وابتعدت الدول الإسلامية عنه غفلة منها لهذا الموضوع. وإنشاء الله تلتفت الحكومات الإسلامية إلى هذا الشرع الإلهي فتعطيهِ الأهمية والعناية المتوخاة.

وأول تزلزل حدث في النظرية الاقتصادية الإسلامية كان في زمن عمر بن الخطاب. فعمر منع المساواة المالية بين الناس وأبعد العدل الإلهي في هذا الموضوع وجعل المسلمين طبقات اقتصادية. وبعد ما وصل عثمان إلى السلطة عمل أعمالاً لم تكن معروفة عند المسلمين منها:

١ - منع معارضيهم حقوقهم المالية وعلى رأس هؤلاء أبو ذر وعبدالله بن مسعود وقتلهم على هذه الحالة المرة المخالفة للدين.

٢ - جعل بيوت المال العامة خزائن مفتوحة لبني أمية ينهبون منها ما أرادوا دون حدود ولا موانع.

٣ - وهب عثمان هبات مالية عظيمة لبني أمية وأعوان الدولة لم تعرفها الحكومات الإسلامية ولم تسمع بها رجالات العرب في تاريخها الجاهلي والإسلامي!! فتسبب ذلك في ثورة الناس على عثمان ومقتله بتلك الصورة الشنيعة.

الفصل الثاني:

القصور والأموال المنهوبة

قصور عثمان

بني عثمان بن عفان قصره طهار والزوراء^(١)، وصنع طعاماً كثيراً ودعا الناس إليه وكان فيهم عبدالرحمن بن عوف فلما نظر إلى البناء والطعام قال له عبدالرحمن: يا بن عفان لقد صدقنا عليك ما كنا نكذب فيهك وإني أستعيز بالله من بيعتك.

فغضب عثمان وقال: أخرجني يا غلام فأخرجوه، وأمر الناس أن لا يجالسوه. فلم يكن يأتيه أحد إلا ابن عباس^(٢).

ومنع الناس من محادثة المعارضة نظرية جاهلية ابتكرتها قريش في حصار بني هشام في شعب أبي طالب.

واستمر الوضع السيئ بين عثمان وعبدالرحمن إلى أن قتل عبدالرحمن بسم

عثمان.

(١) موضع بالمدينة يقف المؤذنون على سطحه، مجمع البحرين ٣ / ٣٢٠، ٣٧٧، والزوراء بالفتح والمذ.

(٢) البحار ٣١ / ٤٠٠، شرح النهج ١ / ١٩٦، الأوائل، أبو هلال العسكري.

فهذه الأعمال بعيدة عن توجهات رسول الله ﷺ إذ لم يكن قصراً ولم يهتم بالترف فسار على نهجه الصحابة المخلصون وتأشوا بسيرته.

لكن القصور بدأ بناؤها في زمن عثمان فزادت وعظمت في المدينة والشام والعراق ومصر فكثرت استياء الأمة وسخطها على رجال الحكومة المفسرين وعلى رأسهم عثمان. ومن الطبيعي تعرّض عثمان لهجمة شعبية شرسة ونقمة جماهيرية حادة على مشروعه في بناء القصور العالية. في الوقت الذي منع عثمان الراتب المالي عن المعارضين السياسيين مما زاد في الطين بلة.

فناس يفترشون القصور منتقمين وآخرون يبحثون عن لقمة الخبز لإشباع بطونهم!

ولمّا بنى عثمان داره بالمدينة أكثر الناس عليه في ذلك فبلغه فخطب في يوم الجمعة قائلاً: أما بعد فإنّ النعمة إذا حدثت لها حساد حسبها، وأعداء قدرها، وإنّ الله لم يحدث لنا نعماً ليحدث لها حساد عليها، ومتنافسون فيها، ولكنّه قد كان من بناء منزلنا هذا ما كان أراد جمع المال فيه وضّم القاصية إليه.

فأتانا عن أناس منكم أنّهم يقولون أخذ فيتنا وأنفق شيئاً واستأثر بأموالنا، يمشون حمراً وينطقون سراً، كأنّا غيب عنهم وكأنّهم يهابون مواجهتنا، معرفة منهم بدحوض حجّتهم، فإذا غابوا عنّا يروح بعضهم إلى بعضهم يذكّرنا، وقد وجدوا على ذلك أعواناً من نظرائهم ومؤازرين من شبهائهم فبعداً بعداً ورغماً ورغماً^(١).

إنّ خطبة عثمان في صلاة الجمعة العامة في المسجد النبوي التي يحضرها المسلمون من المدينة وغيرها تبين عظم الخطب وسعة المصيبة اضطرّ عثمان نفسه

(١) البحار ٣١/٤٥٣، النهاية، ابن الأثير ١/٤٥١، شرح النهج ٩/١٠، الموفقات، ابن بكّار ٦٠٦.

للجواب عنها. ولم يتمكن من الإجابة الشافية لقصوره في الناحية المالية بسيطرة بني أمية على أموال المسلمين في المدينة ومكة والشام والعراق وأفريقيا واللعب بها لعب الصبيان بالكرة. فكان أمام الناس طريقان الأول:

١- التنازل عن مبادئهم والتوجه لأخلاق بني أمية.

٢- الثورة على النظام والتضحية بأنفسهم وأموالهم في هذا الطريق.

وأما ما اقتناه الخليفة لنفسه فحدث عنه ولا حرج، كان ينضد أسنانه بالذهب ويتلبس بأثواب الملوك. فعند عثمان مطرف خزّ ثمن مائة دينار فقال: هذا لنائلة كسوتها إياه، فأنا ألبسه أسرها به. ورأوا على عثمان برداً ثمنه مائة دينار^(١).

قال البلاذري: كان في بيت المال بالمدينة سقط فيه حليّ وجواهر فأخذ منه عثمان ما حلّى به بعض أهله، فأظهر الناس الطعن عليه في ذلك وكلموه فيه بكلام شديد حتى أغضبوه فقال: هذا مال الله أعطيه من شئت وأمنعه من شئت فأرغم الله أنف من رغم. وفي لفظ: لناخذن حاجتنا من هذا الشيء وإن رغمت أنوف أقوام. فقال له الإمام علي عليه السلام: «إذا تمتع من ذلك ويحال بينك وبينه»^(٢).

وجاء إليه أبو موسى بكيلة ذهب وفضة، فقسمها بين نساته وبناته، وأنفق أكثر بيت المال في عبارة ضيعه ودوره^(٣).

وقال ابن سعد في الطبقات^(٤) كان لعثمان عند خازنه يوم قُتل ثلاثون ألف ألف درهم، وخمسون ومائة ألف دينار فانتهبت وذهبت.

(١) طبقات ابن سعد: ٣ / ٤٠، طبع ليدن، أنساب البلاذري: ص: ٣، ٤، الاستيعاب في ترجمة عثمان: ٢ / ٤٧٦، القسم

الثالث ١٠٤٢ رقم ١٧٧٨.

(٢) البحار ٣١ / ١٩٣، شرح النهج ٣ / ٤٩.

(٣) الصواعق المحرقة، ص: ٦٨، ص: ١١٣، السيرة الحلبية: ٢ / ٨٧.

(٤) الطبقات الكبرى: ٣ / ٧٦ - ٧٧، ط ليدن.

وترك ألف بعير بالريذة وصدقات براديس وخير ووادي القرى قيمته مائتي ألف دينار، وقال المسعودي في المروج^(١): 'بنى داره في المدينة وشيّد بها بالحجر والكلس وجعل أبوابها من الساج والعرعر'^(٢)، واقتنى أموالاً وجناناً وعيوناً بالمدينة، وذكر عبدالله بن عتبة: أن عثمان يوم قُتل كان عند خازنه من المال خمسون ومائة ألف دينار وألف ألف درهم، وقيمة ضياعه بوادي القرى وحُنين وغيرهما مائة ألف دينار، وخلف خيلاً كثيراً وإبلًا.

تساهل عثمان بن عفان في قضية الأموال فأعطى أفراد قومه ما لا حصر له منها لم تألفه عقول العرب ولا ثقافتهم ولم تتعود على تلك الأعداد الضخمة أغنياء المدينة ومكة. فكانوا يذكرون هذه الأرقام الخيالية مندهشين ويتسامرون بذكر هذه الحوادث الغريبة التي افتعلها الخليفة مع قومه.

وأعطى أموالاً أقل من تلك لأعوان النظام الذين يدعمونه دون تردد ولا يحتمهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مثل زيد بن ثابت وكعب بن مالك له (أحد رؤوس المنافقين) وحكيم بن حزام طاغية مكة.

هل يصبح الصحابي حرامياً؟

إقتنى جماعة من رجال سياسة الوقت، وأصحاب الفتن والثورات من جرّاء الفوضى في الأموال ضياعاً هامة، ودوراً فخمة، وقصوراً شاهقة، وثروة طائلة، ببركة تلك السيرة الأموية في الأموال، الشاذة عن الكتاب والسنة الشريفة وسيرة السلف، فجمعوا من مال المسلمين مالاً جماً، وأكلوه أكلاً لماً.

(١) مروج الذهب: ٢ / ٣٤٩ - ٣٥٠.

(٢) العرعر: شجر يقال له: الساسم ويقال له: الشيزي، ويقال: هو شجر عظيم جبلي.

منهم: الزبير بن العوام خلف كما في صحيح البخاري في كتاب الجهاد باب بركة الغازي في ماله^(١): إحدى عشرة داراً بالمدينة، ودارين بالبصرة، وداراً بالكوفة، وداراً بمصر، وكان له أربع نسوة، فأصاب كل امرأة بعد رفع الثلث ألف ألف ومائتا ألف. قال البخاري: فجميع ماله خمسون ألف ألف ومائتا ألف.

وقال ابن الهائم: بل الصواب أن جميع ماله حسباً فرض: تسعة وخمسون ألف ألف ومائتا ألف^(٢) وصرح ابن بطال والقاضي عياض وغيرهما: بأن الصواب ما قاله ابن الهائم، وأن البخاري غلط في الحساب.

كذا نجدها في صحيح البخاري وغيره من المصادر غير مقيدة بالدرهم أو الدينار، غير أن في تاريخ ابن كثير^(٣) قيدها بالدرهم.

وقال ابن سعد في الطبقات^(٤) طبع ليدن: كان للزبير بمصر خطط، وبالاسكندرية خطط، وبالكوفة خطط، وبالبصرة دور، وكانت له غلات تقدم عليه من أعراض المدينة.

وقال المسعودي في المروج^(٥): خلف ألف فرس وألف عبد وألف أمة وخططاً. ومنهم: طلحة بن عبيد الله التيمي: ابنتى داراً بالكوفة تُعرف بالكناس بدار الطلحتين، وكانت غلته من العراق كل يوم ألف دينار، وقيل أكثر من ذلك وله بناحية سراة^(٦) أكثر مما ذكر، وشيد داراً بالمدينة بناها بالآجر والجص والساج.

(١) صحيح البخاري: ١١٣٨/٣، ١١٣٩ ح ٢٩٦١.

(٢) ذكره شراح البخاري، راجع فتح الباري: [٢٣٣/٦]، إرشاد الساري [٥٠/٧]، حمة القاري [٥٣/١٥] ح ٣٧، شذرات الذهب: ٤٢/١ [٢٠٨/١] حوادث سنة ٢٣٦هـ.

(٣) البداية والنهاية: ٢٧٨/٧ حوادث سنة ٢٥هـ.

(٤) الطبقات الكبرى: ١١٠ / ٣.

(٥) مروج الذهب: ٣٥٠ / ٢.

(٦) بين تهامة ومجد أدناها الطائف وأقصاها قرب صنعاء [معجم البلدان: ٢٠٥/٣].

وعن محمد بن إبراهيم قال: كان طلحة يغفل بالعراق ما بين أربعمئة ألف إلى خمسمئة ألف، ويغفل بالسراة عشرة آلاف دينار أو أكثر أو أقل.

وقال سفيان بن عيينة: كان غلته كل يوم ألف وافٍ، والوفي وزنه وزن الدينار، وعن موسى بن طلحة: أنه ترك ألفي درهم ومائتي ألف درهم ومائتي ألف دينار، وكان ماله قد اغتيل.

وعن إبراهيم بن محمد بن طلحة قال: كان قيمة ما ترك طلحة من العقار والأموال وما ترك من الناض^(١) ثلاثين ألف ألف درهم؛ ترك من العين ألفي ألف ومائتي ألف درهم ومائتي ألف دينار والباقي عروض. وعن سعدي أم يحيى بن طلحة: قتل طلحة وفي يد خازنه ألفا ألف درهم ومائتا ألف درهم، وقومت أصوله وعقاره ثلاثين ألف ألف درهم.

وعن عمرو بن العاص: أن طلحة ترك مائة بَهار في كل بَهار ثلاثة قناطير ذهب، وسمعت أن البَهار^(٢) جلد ثور.

وفي لفظ ابن عبد ربه من حديث الخشني؛ وجدوا في تركته ثلاثمئة بَهار من ذهب وفضة. وقال ابن الجوزي: خلف طلحة ثلاثمئة جمل ذهباً^(٣).

وأخرج البلاذري من طريق موسى بن طلحة قال: أعطى عثمان طلحة في خلافته مائتي ألف دينار.

(١) الناض: الدرهم والدينار.

(٢) البَهار يساوي ثلاثمئة رطل. وقيل: هو ما يحمل على البعير بلغة أهل الشام. أنظر النهاية: ١/١٦٦.

(٣) الطبقات الكبرى: ٢٢١/٣ - ٢٢٢، مروج الذهب: ٢/٣٥٠، العقد الفريد: ٤/١٢٩، الرياض النضرة: ٣/٢٢٧ -

٢٢٨، دول الإسلام: ص ٢٢، ٢٣ حوادث سنة ٣٥ هـ خلاصة الخزرجي: ٢/١٢ رقم ٣١٩٥، طبقات ابن سعد: ٣

١٥٨/ طبع ليدن، الأنساب للبلاذري: ٥/٧، مروج الذهب: ١/٤٣٤، العقد الفريد: ٢/٢٧٩، الرياض النضرة:

٢/٢٥٨، دول الإسلام للذهبي: ١/١٨، الخلاصة للخزرجي: ص ١٥٢.

وسياًقي عن عثمان قوله: وبلي على ابن الحضرميّة - يعني طلحة - أعطيته كذا وكذا يُهاراً ذهباً، وهو يروم دمي يحرّض على نفسي.

ومنهم: عبدالرحمن بن عوف الزهري:

قال ابن سعد: ترك عبدالرحمن ألف بعير، وثلاثة آلاف شاة، ومائة فرس ترعى بالبقيع. وكان يزرع بالجرف على عشرين ناضحاً. وكان فيما خلفه ذهب قُطع بالفؤوس حتى مجلت^(١) أيدي الرجال منه، وترك أربع نسوة فأصاب كل امرأة ثمانون ألفاً.

وعن صالح بن إبراهيم بن عبدالرحمن قال: صالحنا امرأة عبدالرحمن التي طلقها في مرضه من ريع الثمن بثلاثة وثمانين ألفاً.

وقال اليعقوبي: ورّثها عثمان فصولحت عن ريع الثمن على مائة ألف دينار. وقال المسعودي: ابتقى داره ووسمها وكان على مربطه مائة فرس، وله ألف بعير، وعشرة آلاف من الفتم، وبلغ بعد وفاته ثمن ماله أربعة وثمانين ألفاً^(٢).

ومنهم: سعد بن أبي وقاص، قال ابن سعد: ترك سعد يوم مات مائتي ألف وخمسين ألف درهم، ومات في قصره بالعقيق. وقال المسعودي: بنى داره بالعقيق فرفع سمكها ووسّع فضاءها وجعل أعلاها شرفات^(٣).

ومنهم: يعلى بن أمية^(٤): خلف خمسمائة ألف دينار، وديوناً على الناس

(١) أي: صلبت وثخن جلدها من أثر الصل.

(٢) الطبقات الكبرى: ١٣٦/٣، مروج الذهب: ٣٥٠/٢، تاريخ اليعقوبي: ١٧٠/٢، صفة الصفوة: ٣٥٥/١ رقم ٨.

الرياض النضرة: ٢٧٢/٤، طبقات ابن سعد: ٩٦/٣ طبع ليدن، مروج الذهب: ٤٣٤/١، تاريخ اليعقوبي: ٢/٢.

١٤٦، صفة الصفوة لابن الجوزي: ١٣٨/١، الرياض النضرة لحب الطبري: ٢٩١/٢.

(٣) الطبقات الكبرى: ١٤٨/٣ - ١٤٩، مروج الذهب: ٣٥٠/٢.

(٤) في المصدر: يعلى بن منية.

وعقارات وغير ذلك من التركة ما قيمته مائة^(١) ألف دينار، كذا ذكره المسعودي في مروج الذهب^(٢).

ومنهم: زيد بن ثابت قال المسعودي: خلف من الذهب والفضة ما كان يكسر بالفؤوس غير ما خلف من الأموال والضياع، بقيمة مائة ألف دينار. مروج الذهب^(٣).

هذه نبذة مما وقع فيه التفريط المالي على عهد عثمان، ومن المعلوم أن التاريخ لم يُحصِ كل ما كان هناك من عظام، شأنه في أكثر الحوادث والفتن ولا سيما المتدرجة منها في الحصول.

بينما نلاحظ من الامور العقائدية التربوية في سيرة محمد واهل بيته عليهم السلام المتقين التضحيات المستمرة لهم وزهدهم وعفتهم وتركهم للدنيا.

فأصبحت هذه المسألة من الدلائل على صدق رسالة محمد عليه السلام. ولو كان رسول الله عليه السلام واهل بيته من اللاهئين خلف الدنيا والساعين نحو لذاتها وسراها لشكك الكثير من الناس بدينهم ورسالتهم. فتحمل الاذى وقال رسول الله عليه السلام ما أؤذي نبي مثل ما أؤذيت^(٤).

وقدم ارحام النبي حمزة وطالبا وجعفر ابني أبي طالب واباعبيدة وعلياً عليهم السلام وحسنا وحسينا عليهم السلام قرايين في طريق الاسلام.

(١) في المصدر: ثلاثمائة.

(٢) مروج الذهب: ٢ / ٣٥١.

(٣) مروج الذهب: ٢ / ٣٥١.

(٤) كشف الغمة، الاربلي ٣ / ٣٤٦.

ومات رسول الله ﷺ ولم يشيع من خبز بر^(١).
وقال النبي ﷺ: «الدنيا جيفة وطلاها كلاب»^(٢).

ورفض النبي ﷺ الاغراءات الدنيوية المتمثلة بتنصيبه ملكاً عليهم، وجعله أكثرهم مالاً، وأفضلهم نساءً، أرفضها النبي متمثلاً في قوله ﷺ: والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته^(٣).

وقال سعد بن أبي وقاص: يا هذا على ما تشتم عليّ بن أبي طالب؟

ألم يكن أول من أسلم؟

ألم يكن أول من صلى مع رسول الله؟

ألم يكن أزهد الناس؟

ألم يكن أعلم الناس؟

وذكر حتى قال: ألم يكن صاحب راية رسول الله في غزواته^(٤).

وقال النبي ﷺ لعلي عليه السلام: وائنت أقرأهم لكتاب الله، وأعلمهم بسنن الله، وأشجعهم قلباً، وأجودهم كفاً، وأزهدهم في الدنيا، وأشدّهم اجتهاداً، وأحسنهم خلقاً، وأصدقهم لساناً، وأحبهم إلى الله وإلىّ، وستبقى بعدي ثلاثين سنة تعبد الله، وتصبر على ظلم قريش^(٥).

وحصل هؤلاء على أموال الدولة:

(١) الطبقات الكبرى ٤٠١/١، تهذيب الكمال، المزي ٢٣٠/١.

(٢) كنز العمال ٧١٩/٣، فيض القدير ١٤٧/١، كشف الخفاء، المعجلوني ٤٠٩/١.

(٣) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب ٥٣/١، البحار ١٨٢/١٨، دلائل النبوة، الأصمباني ١٩٧.

(٤) مستدرک الحاكم ٥٠٠/٣، حياة الصحابة ٥١٤/٢.

(٥) ميزان الاعتدال، الذهبي ٢٦٢/٢، مجمع الزوائد ٢٣٩/٦، مستدرک الصحيحين ١٣٩/٣، تاريخ

بغداد ٣٤٠/٨، كنز العمال ٢٩٢/١١، البداية والنهاية ٣٣٨/٧.

الأعلام	الدرهم
آل الحكم	٢٠٢٠٠٠٠
الحكم	٣٠٠٠٠٠
الحارث	٣٠٠٠٠٠
سعيد	١٠٠٠٠٠
الوليد	١٠٠٠٠٠
عبدالله	٣٠٠٠٠٠
عبدالله	٦٠٠٠٠٠
أبو سفيان	٢٠٠٠٠٠
مروان	١٠٠٠٠٠
طلحة	٢٢٠٠٠٠٠
طلحة	٣٠٠٠٠٠٠٠
الزبير	٥٩٨٠٠٠٠٠
ابن أبي وقاص	٢٥٠٠٠٠
عثمان الخليفة	٣٠٥٠٠٠٠٠

المجموع ١٢٦/٧٧٠/٠٠٠ مائة وستة وعشرون مليوناً وسبعمائة وسبعون

ألف درهم.

بقي هنا أن نسأل الخليفة عن علّة قصر هذه الأثرة على المذكورين ومن جرى مجراهم من زبانيته؛ هل خلقت الدنيا لأجلهم؟ أو أنّ الشريعة منعت عن الصلاة وإعطاء الصدقات للصلحاء الأبرار من أمة محمد ﷺ كأبي ذرّ الغفاري، وعمار بن ياسر، وعبدالله بن مسعود إلى نظرائهم؟ فيجب عليهم أن يقاسوا الشدّة، ويعانوا

البلاء، ويشملهم المنع بين مني ومضروب ومهان، وهذا سيدهم أمير المؤمنين يقول: «إن بني أُمّةٍ ليهوِّقُوني تراث محمد ﷺ تفويقاً»^(١) أي يعطونني من المال قليلاً.

فبكي أبو ذر رضي الله عنه - وكان شيخاً كبيراً - وقال: رحمكم الله يا أهل بيت الرحمة إنا رأيتكم ذكرت بكم رسول الله ﷺ، مالي بالمدينة سكن ولا شجن غيركم، إني ثقلتُ على عثمان بالحجاز كما ثقلتُ على معاوية بالشام، وكره أن أجاور أخاه وابن خاله بالمصريين^(٢) فأفسد الناس عليها، فسيّرني إلى بلد ليس لي به ناصر ولا دافع إلا الله، والله ما أريد إلا الله صاحباً، وما أخشى مع الله وحشة.

ورجع القوم إلى المدينة فجاء عثمان إلى علي رضي الله عنه فقال له: ما حملك على ردّ رسولي وتصغير أمري؟

فقال علي رضي الله عنه: «أما رسولك فأراد أن يرّد وجهي فرددته، وأما أمرك فلم أصغره».

قال: أما بلغك نهبي عن كلام أبي ذر؟

قال علي رضي الله عنه: «أو كلّها أمرت بأمر معصية أظعنك فيه؟».

قال عثمان: أقد مروان من نفسك.

قال: «مِمّ ذاك؟» قال: من شتمه وجذب راحلته.

قال علي رضي الله عنه: «أما راحلته فراحلتني بها، وأما شتمه إيتاي فوالله لا يشتمني شتة إلا شتمتك مثلها لا أكذب عليك».

(١) نهج البلاغة: ١/ ١٢٦ [ص ١٠٤ خطبة ٧٧]. (المؤلف)

(٢) يعني مصر والبحرة، كان والي مصر عبدالله بن سعد بن أبي مروح أخا عثمان من الرضاة، وكان على البصرة:

عبدالله بن عامر ابن خاله كما مرّ: ص ٢٩٠. (المؤلف)

فغضب عثمان وقال: لِمَ لَا يشتكم؟ كأنك خير منه؟ قال عليؓ: «إبي والله ومنك». ثم قام فخرج، فأرسل عثمان إلى وجوه المهاجرين والأنصار وإلى بني أمية يشكو إليهم علياًؓ.

فقال القوم: أنت الوالي عليه وإصلاحه أجمل قال: وددت ذاك. فأتوا علياًؓ فقالوا: لو اعتذرت إلى مروان وأتيته فقال: «كلأ أما مروان فلا آتية ولا أعتذر منه، ولكن إن أحبب عثمان أتيته».

فرجعوا إلى عثمان فأخبروه، فأرسل عثمان إليه فأتاه ومعه بنو هاشم، فتكلم عليؓ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أما ما وجدت عليّ فيه من كلام أبي ذر ووداعه فوالله ما أردت مساءتك ولا الخلاف عليك ولكن أردت به قضاء حقه. وأما مروان فإنه اعترض يريد ردّي عن قضاء حق الله عز وجل فرددته، ردّ مثلي مثله، وأما ما كان مني إليك فإنه أغضبتني فأخرج الغضب مني ما لم أرد».

فتكلم عثمان فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أما ما كان منك إليّ فقد وهبته لك، وأما ما كان منك إلى مروان فقد عفا الله عنك، وأما ما حلفت عليه فأنت البرّ الصادق، فأدين يدك فأخذ يده فضمّها إلى صدره، فلما نهض قالت قريش وهنو أمية لمروان: أأنت رجل جبهك عليّ وضرب راحلتك؟ وقد تغانت وائل في ضرع ناقة، وذبيان وعيس في لطفة فرس، والأوس والخزرج في نسعة^(١) أفتحمل لعليؓ ما أتاه إليك؟

فقال مروان: والله لو أردت ذلك لما قدرت عليه.

فقال ابن أبي الحديد^(٢): واعلم أنّ الذي عليه أكثر أرباب السيرة وعلماء

(١) النسعة - بكسر النون - حبل مريض طويل تشدّ به الرجال. (المؤلف)

(٢) شرح نهج البلاغة: ٨ / ٢٥٥ خطبة ١٣٠.

الأخبار والنقل أن عثمان بن أبي ذر أولاً إلى الشام ثم استقدمه إلى المدينة لما شكاه من معاوية، ثم نفاه من المدينة إلى الربرة لما عمل بالمدينة نظير ما كان يعمل بالشام. أصل هذه الواقعة: أن عثمان لما أعطى مروان بن الحكم وغيره بيوت الأموال واختصّ زيد بن ثابت بشيء منها، جعل أبو ذر يقول بين الناس وفي الطرقات والشوارع: **بَشِّرِ الْكَافِرِينَ^(١) بِعَذَابِ أَلِيمٍ**، ويرفع بذلك صوته ويتلو قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

رفع ذلك إلى عثمان مراراً وهو ساكت. ثم إنه أرسل إليه مولى من مواليه أن انتبه عما بلغني عنك.

فقال أبو ذر: أينها في عثمان عن قراءة كتاب الله تعالى، وعيب من ترك أمر الله تعالى؟ فوالله لأن أَرْضِيَ الله بسخط عثمان أحب إليّ وخير لي من أن أسخط الله برضا عثمان، فأغضب عثمان ذلك وأحفظه فتصاير وتماسك، إلى أن قال عثمان يوماً والناس حوله: أيجوز للإمام أن يأخذ من المال شيئاً قرضاً فإذا أيسر قضى؟ فقال كعب الأحبار: لا بأس بذلك.

فقال أبو ذر: يا بن اليهوديين أتعلمنا ديننا؟

فقال عثمان: قد كثر أذاك لي وتوَلَّعت بأصحابي، إلحق بالشام، فأخرجه إليها، فكان أبو ذر ينكر على معاوية أشياء يفعلها فبعث إليه معاوية يوماً ثلاثمائة دينار، فقال أبو ذر لرسوله: إن كانت من عطائي الذي حرمتونه عامي هذا أقبلها، وإن كانت صلة فلا حاجة لي فيها، وردّها عليه.

(١) في النسخة: الكافرين. والصحيح كما مرّ من البلاذري [في الأنساب: ٥٢/٥]. (المؤلف)

ثم بقى معاوية الخضراء بدمشق فقال أبو ذر: يا معاوية إن كانت هذه من مال الله فهي الحيانة، وإن كانت من مالك فهي الإسراف.

وكان أبو ذر يقول بالشام: والله لقد حدثت أعمال ما أعرفها، والله ما هي في كتاب الله ولا سنة نبيه ﷺ، والله إنني لأرى حقاً يطفأ، وباطلاً يُحيا، وصادقاً مكذباً، وأثرةٌ بغير تقى، وصالحاً مستأثراً عليه.

فقال حبيب بن مسلمة الفهري لمعاوية: إن أبا ذر لمفسد عليكم الشام فتدارك أهله إن كان لك فيه حاجة.

وروى شيخنا أبو عثمان الجاحظ في كتاب السفيانية عن جلام بن جندل الغفاري قال: كنت غلاماً لمعاوية على قنسرين والعواصم في خلافة عثمان، فجئت إليه يوماً أسأله عن حال عملي إذ سمعت صارخاً على باب داره يقول:

أنتكم القطار تحمل النار، اللهم العن الآمرين بالمعروف التاركين له، اللهم العن الناهين عن المنكر المرتكبين له.

فازبأز^(١) معاوية وتغير لونه وقال: يا جلام أتعرف الصارخ؟

فقلت: اللهم لا.

قال: من عذيري من جندب بن جنادة يأتينا كل يوم فيصرخ على باب قصرنا بما سمعت، ثم قال: ادخلوه علي، فجيء بأبي ذر بين قوم يقودونه حتى وقف بين يديه.

فقال له معاوية: يا عدو الله وعدو رسوله تأتينا في كل يوم فتصنع ما تصنع، أما إنني لو كنت قاتل رجل من أصحاب محمد من غير إذن أمير المؤمنين عثمان لقتلتك

(١) ازبأز الرجل انفراداً: تهيأ للشز.

ولكنِّي أستاذن فيك.

قال جلام؛ وكنت أحبُّ أن أرى أبا ذر لأنَّه رجل من قومي، فالتفت إليه فإذا رجل أسمر ضرب^(١) من الرجال خفيف العارضين في ظهره حناء^(٢)، فأقبل على معاوية وقال:

ما أنا بعدو الله ولا لرسوله، بل أنت وأبوك عدوَّان لله ولرسوله، أظهرتما الإسلام وأبطنتما الكفر، ولقد لعنك رسول الله ﷺ ودعا عليك مرَّات أن لا تشيع، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا ولي الأُمَّة الأعين^(٣) الواسع البلعوم الذي يأكل ولا يشيع فلتأخذ الأُمَّة حذرًا منه»^(٤).

فقال معاوية: ما أنا ذاك الرجل.

قال أبو ذر: بل أنت ذلك الرجل أخبرني بذلك رسول الله ﷺ وسمعتة يقول وقد مررت به: «اللهمَّ العنه ولا تشيعه إلَّا بالتراب». وسمعتة ﷺ يقول: «است معاوية في النار». فضحك معاوية وأمر بحبسه، وكتب إلى عثمان فيه، فكتب عثمان إلى معاوية: أن احمل جندباً إليَّ على أغلظ مركب وأوعره، فوجَّه به مع من سار به الليل والنهار وحمله على شارف ليس عليها إلَّا قتب حتى قدم به المدينة وقد سقط لحم فخذه من الجهد.

فلما قدم بعث إليه عثمان: إلحق بأيَّ أرض شئت.

(١) الضرب: الرجل الماضي الذنب.

(٢) كذا في الطبعة التي اعتمدها المؤلف، وفي الطبعة الممتدة لدينا: في ظهره جنأ والجنأ: إشراف الكاهل على الصدر.

(٣) في لفظ الحديث سقط كما لا يخفى [والأعين هو واسع العين، ويبدو أن سياق الحديث متماثل].

(٤) وفي حديث علي عليه السلام: «لا يذهب أمر هذه الأُمَّة إلَّا على رجل واسع السرم، ضخم البلعوم».

ذكره ابن الأثير في النهاية: ١١٢/١ [٣٦٢/٢]. لسان العرب: ٣٢٢/١٤ [٢٤٨/٦]، تاج العروس:

قال: بمكة؟

قال: لا.

قال: بيت المقدس؟

قال: لا.

قال: بأحد المصريين؟

قال: لا، ولكفي مسيرك إلى الربذة، فسيّره إليها، فلم يزل بها حتى مات.

وفي رواية الواقدي: أن أبا ذر لما دخل على عثمان قال له:

لا أنعم الله بقرين عينا نعم ولا لقاء يوماً زينا

تحية السخط إذا التقينا

فقال أبو ذر: ما عرفت اسمي قهناً قط. وفي رواية أخرى: لا أنعم الله بك عينا يا

جنيدب.

فقال أبو ذر: أنا جنذب وسماي رسول الله ﷺ عبد الله، فاخترت اسم رسول

الله ﷺ الذي سماي به على اسمي.

فقال له عثمان: أنت الذي تزعم أننا نقول: يد الله مغلوله وأن الله فقير ونحن

أغنياء؟

فقال أبو ذر: لو كنتم لا تقولون هذا لأنفقتم مال الله على عباده، ولكفي أشهد

أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً جعلوا مال

الله دولاً، وعباده خولاً، ودينه دخلاً».

فقال عثمان لمن حضر: أسمعتموها من رسول الله؟

قالوا: لا.

قال عثمان: ويلك يا أبا ذر أتكذب على رسول الله؟

فقال أبو ذر لمن حضر: أما تدرون أنني صدقت؟

قالوا: لا والله ما ندري.

فقال عثمان: ادعوا لي علياً فلما جاء قال عثمان لأبي ذر: اقصص عليه حديثك

في بني أبي العاص فأعاده.

فقال عثمان لعلي عليه السلام: أسمعت هذا من رسول الله ﷺ؟ قال: «لا وقد صدق أبو

ذر» فقال: كيف عرفت صدقه؟

قال: لأنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما أظلمت الخضراء ولا أقلت الغبراء

من ذي لهجة أصدق من أبي ذر» فقال من حضر: أمّا هذا فسمعناه كلنا من رسول

الله.

فقال أبو ذر: أحدثكم أنني سمعت هذا من رسول الله ﷺ فتتهموني؟ ما كنت

أظن أني أعيش حتى أسمع هذا من أصحاب محمد ﷺ.

وروى الواقدي في خبر آخر بإسناده عن صهبان مولى الأسلميين، قال:

رأيت أبا ذر يوم دخل به على عثمان فقال له: أنت الذي فعلت وفعلت؟

فقال أبو ذر: نصحتك فاستغششتني ونصحت صاحبك فاستغشني.

قال عثمان: كذبت ولكنتك تريد الفتنة وتحبها وقد أنفقت الشام علينا.

قال له أبو ذر: اتبع سنة صاحبك لا يكن لأحد عليك كلام.

فقال عثمان: مالك وذلك لا أم لك؟

قال أبو ذر: والله ما وجدت لي عذراً إلا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فغضب عثمان وقال: أشيروا علي في هذا الشيخ الكذاب، إما أن أضربه أو

أحبسه أو أقتله، فإنه قد فرّق جماعة المسلمين، أو أنفيه من أرض الإسلام، فتكلّم عليّ عليه السلام وكان حاضراً فقال: «أشير عليك بما قال مؤمن آل فرعون: ﴿وإن يك كاذباً فعليه كذبه وإن يك صادقاً يصحبكم بعض الذي يعدّكم إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب﴾. فأجابه عثمان بجواب غليظ وأجابه عليّ عليه السلام بمثله ولم نذكر الجوابين تذكراً منها.

قال الواقدي: ثم إن عثمان حظر على الناس أن يقاعدوا أبا ذر ويكلّموه فكث كذلك أياماً ثم أتى به فوقف بين يديه، فقال أبو ذر: ويحك يا عثمان أما رأيت رسول الله ﷺ ورأيت أبا بكر وعمر؟ هل هديك كهديهم؟ أما إنك لتبطش بي بطش جبار.

فقال عثمان: أخرج عثمان من بلادنا فقال أبو ذر: ما أبغض إليّ جوارك! فإلى أين أخرج؟ قال: حيث شئت قال: أخرج إلى الشام أرض الجهاد قال: إنما جلبتك من الشام لما قد أفسدتها، فأردك إليها؟

قال: أفأخرج إلى العراق؟ قال: لا، إنك إن تخرج إليها تقدم على قوم أولي شقّة^(١) وطعن على الأئمة والولاة.

قال: أفأخرج إلى مصر؟ قال: لا.

قال: فإلى أين أخرج؟ قال: إلى البادية. قال أبو ذر: أعصير بعد الهجرة أعرابياً؟

قال: نعم.

قال أبو ذر: فأخرج إلى بادية نجد. قال عثمان: بل إلى الشرق الأبعد أقصى

(١) في شرح النهج: أولي شقّة.

فأقصى، إمض على وجهك هذا فلا تعدّون الربذة، فخرج إليها.

وروى الواقدي أيضاً عن مالك بن أبي الرجال، عن موسى بن ميسرة: أن أبا الأسود الدؤلي قال: كنت أحب لقاء أبي ذر لأسأله عن سبب خروجه إلى الربذة، فجنّته فقلت له: ألا تخبرني أخرجت من المدينة طائعاً أم أخرجت كرهاً؟ فقال: كنت في نفرٍ من ثغور المسلمين أغشي عنهم فأخرجت إلى المدينة، فقلت: دار هجرتي وأصحابي، فأخرجت من المدينة إلى ما ترى، ثم قال: بهنا أنا ذات ليلة نائم في المسجد على عهد رسول الله ﷺ إذ مرّ بي فلما فاضربني برجله وقال: «لا أراك نائماً في المسجد».

وما كان أبو ذر يمنع عن جلب الثروة من حقّها، ولا ينبغي سلب السلطة عمّن ملك شيئاً ملكاً مشروعاً، لكنه كان ينقم على أهل الأثرة على اغتصابهم حقوق المسلمين، وخضّمهم مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع، وما كان يتحرّى إلا ما أراد الله سبحانه بقوله عزّ من قائل:

﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ

أَلِيمٍ﴾، وما جاء به رسول الله ﷺ في الجهات المألّية.

أخرج أحمد في مسنده^(١) من طريق الأحنف بن قيس قال: كنت بالمدينة فإذا أنا برجل يفرّ الناس منه حين يرونه، قال: قلت: من أنت؟

قال: أنا أبو ذر صاحب رسول الله ﷺ. قال: قلت: ما يفرّ الناس منك؟

قال: إني أنهاهم عن الكنوز بالذي كان ينهاهم عنه رسول الله.

وفي لفظ مسلم في صحيحه^(٢) قال الأحنف بن قيس: كنت في نفر من قريش

(١) مسند أحمد: ٢٠٦/٦ ج ٢٠٩٤، ص ٢٢٤ ح ٢٤٠٢٤.

(٢) صحيح مسلم: ٢/٣٨٥ ح ٣٥.

فَرَأَى أَبُو ذَرٍّ عليه السلام وَهُوَ يَقُولُ: بَشَّرَ الْكَاتِرِينَ بِكَيِّْ فِي ظُهُورِهِمْ يَخْرُجُ مِنْ جَنُوبِهِمْ، وَبِكَيِّْ مِنْ أَقْفَيْتِهِمْ يَخْرُجُ مِنْ جِبَاهِهِمْ قَالَ: ثُمَّ تَنَحَّى فَقَعَدَ إِلَى سَارِيَةٍ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟

قَالُوا: هَذَا أَبُو ذَرٍّ، فَقَعَمْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ: مَا شَيْءٌ سَمِعْتُكَ تَقُولُ قُبَيْلُ؟ قَالَ: مَا قُلْتُ إِلَّا شَيْئًا سَمِعْتُهُ مِنْ نَبِيِّهِمْ عليه السلام قَالَ: قُلْتُ: مَا تَقُولُ فِي هَذَا الْعَطَاءِ؟ قَالَ: خُذْهُ فَإِنَّ فِيهِ الْيَوْمَ مَعُونَةً، فَإِذَا كَانَ ثَمْنًا لَدَيْكَ فَدَعْهُ ^(١).

وَأَخْرَجَ أَبُو نَعِيمٍ فِي الْحَلِيَّةِ ^(٢) مِنْ طَرِيقِ سَفْيَانَ بْنِ عَمِيْنَةَ بِإِسْنَادِهِ عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: إِنَّ بَنِي أُمَيَّةٍ تُهَدِّدُونِي بِالْفَقْرِ وَالْقَتْلِ، وَلَبَطْنِ الْأَرْضِ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ ظَهْرِهَا، وَلِلْفَقْرِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْغَنَى.

فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا ذَرٍّ مَا لَكَ إِذَا جُلِسْتَ إِلَى قَوْمٍ قَامُوا وَتَرَكوكَ؟ قَالَ: إِنِّي أَنُهَاهُمْ عَنِ الْكُنُوزِ.

وَفِي فَتْحِ الْبَارِي ^(٣) تَقْلًا عَنْ غَيْرِهِ: الصَّحِيحُ أَنَّ إِنْكَارَ أَبِي ذَرٍّ كَانَ عَلَى السَّلَاطِينِ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ الْمَالَ لَأَنْفُسِهِمْ وَلَا يَنْفَقُونَهُ فِي وَجْهِهِ. وَتَعَقُّبُهُ النَّوَوِيُّ بِالْإِبْطَالِ لِأَنَّ السَّلَاطِينِ حِينَئِذٍ كَانُوا مِثْلَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَهَؤُلَاءِ لَمْ يَخُونُوا. وَفِي هَذَا التَّعْقِيبِ تَدْجِيلُ ظَاهِرِهِ، فَإِنَّ يَوْمَ هَتَافِ أَبِي ذَرٍّ بِنَاوِيهِ لَمْ يَكُنِ الْعَهْدُ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ يَوْمَ عُثْمَانَ الْمُخَالَفِ لَهَا فِي السَّيْرِ مُخَالَفَةً وَاضِحَةً، وَالْمُبَائِنِ لِلسَّيْرِ النَّبَوِيِّ فِي كُلِّ مَا ذَكَرْنَاهُ؛ وَلِذَلِكَ كَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ سَاكِنًا عَنْ هَتَافِهِ فِي الْعَهْدَيْنِ وَكَانَ يَقُولُ لِعُثْمَانَ: وَيَحْكُ يَا عُثْمَانُ أَمَا رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ عليه السلام

(١) سنن البيهقي: ٣٥٩/٦.

(٢) حلية أبي نعيم: ١/١٦٢.

(٣) فتح الباري: ٣/٢٧٥.

ورأيت أبا بكر وعمر؟ هل رأيت هذا هديهم؟ إنك تبطش بي ببطش جبار، ويقول: اتبع سنة صاحبيك لا يكن لأحد عليك كلام.

ولم يكن لأبي ذر منتدح من ندائه والدعوة إلى المعروف والضائع، والنهي عن المنكر الشائع، وهو يتلو آناء الليل وأطراف النهار قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١).

قال ابن خراش: وجدت أبا ذر بالربذة في مظلة شعر فقال: ما زال بي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى لم يترك الحق لي صديقاً^(٢).

وكان ينكر مع ذلك على معاوية المتخذ شناسن الأكاسرة والقياصرة بالترقة والتوسع والاستثمار بالأموال، وكان في العهد النبوي صعلوكاً لا مال له ووصفه به رسول الله ﷺ^(٣) وفي لفظ: إن معاوية ترب خفيف الحال^(٤).

فما واجب أبي ذر عندئذ؟ وقد أمره النبي الأعظم في حديث^(٥) السبعة التي أوصاه بها، بأن يقول الحق وإن كان مرأاً، وأمره بأن لا يخاف في الله لومة لائم. وما الذي يجديه قول عثمان: مالك وذلك؟ لا أم لك؟ ولأبي ذر أن يقول له كما قال: والله

(١) آل عمران: ١٠٤.

(٢) الأنساب: ٥٥/٥، ومثله من طريق آخر: ص ٢٩٤.

(٣) صحيح مسلم: كتاب النكاح والطلاق: ١٩٥/٤ [٢٩٠/٣ ح ٣٦]، سنن النسائي: ٧٥/٦ [٢٧٤/٣ ح ٥٣٥٢]، سنن البيهقي: ١٣٥/٧.

(٤) صحيح مسلم: ١٩٩/٤ [٢٩٥/٣ ح ٤٨].

(٥) أخرجه ابن سعد في الطبقات: ص ١٦٤ [٢٢٩/٤] من طريق عبدالله بن الصامت عن أبي ذر قال: أوصاني خليلي بسبع: [أمرني] بحب المساكين والفقير منهم، وأمرني أن أنظر إلى من هو دوني ولا أنظر إلى من هو فوق، وأمرني أن لا أسأل أحداً شيئاً، وأمرني أن أصل الرحم وإن أدبرت، وأمرني أن أقول الحق وإن كان مرأاً، وأمرني أن لا أخاف في الله لومة لائم، وأمرني أن أكفر من لا حول ولا قوة إلا بالله، فإني من كنز تحت العرش.

ما وجدت لي عذراً إلا بالمعروف والنهي عن المنكر.

ولم تكن لما رفع به أبو ذر عقيرته جذّة ليس لها سلف من العهد النبويّ، فلم يهتف إلا بما تعلّمه من الكتاب والسنة، وقد أخذه من الصادق الكريم من قلقي فيه، ولم يكن عليه السلام يسلب ثروة أحد من أصحابه وكان فيهم تجّار وملاك ذوو يسار، ولم يأخذ منهم زيادة على ما عليهم من الحقوق الإلهية، وعلى حذوه هذا أبو ذر في الدعوة والتبليغ.

كان عليه السلام أخبره بما يجري عليه من البلاء والعناء وما يُصنع به من طرده من الحواضر الإسلامية: مكّة، والمدينة، والشام، والبصرة، والكوفة، ووصفه عند ذلك بالصلاح وأمره بالصبر وأنّ ما يصيبه في الله، فقال أبو ذر: مرحباً بأمر الله يأبى أن يكون ما جرّ إليه ذلك البلاء غير مشروع.

وإن كان ذلك خلاف الصالح العام ولم تكن فيه مرضاة الله ورسوله لوجب عليه عليه السلام أن ينهاء عمّا سينوء به من الإنكار وهو يعلم أنّ تلك الدعوة تجرّ عليه الأذى والبلاء الفادح، وتشوّه سمعة خليفة المسلمين، وتسود صحيفة تاريخه، وتبقّ وصمة عليه إلى الأبد.

ومن هؤلاء المستفيدين من أموال الدولة دون حقّ الزبير بن العوام الذي خلف إحدى عشرة داراً بالمدينة ودارين بالبصرة وداراً بالكوفة وداراً بمصر وكان له أربع نسوة فأصاب كلّ امرأة بعد رفع الثلث ألف ومائتا ألف. قال البخاري: فجميع ماله خمسون ألف ألف ومائتا ألف. وقال ابن الهائم: بل

الصواب أن جميع ماله حسباً فرض: تسعة وخمسون ألف ألف وثمانمائة ألف^(١) وصرح ابن بطّال والقاضي عياض وغيرهما: بأن الصواب ما قاله ابن الهائم، وأن البخاري غلط في الحساب.

كذا نجدها في البخاري وغيره من المصادر غير مقيّدة بالدرهم أو الدينار، غير أن في تاريخ ابن كثير^(٢) قيّدها بالدرهم.

وقال ابن سعد في الطبقات^(٣) كان للزبير بمصر خطط، وبالإسكندرية خطط، وبالكوفة خطط، وبالبصرة دور، وكانت له غلات تقدم عليه من أعراض المدينة. وقال المسعودي وغيره^(٤) خلف ألف فرس وألف عبد وألف أمة وخططاً. ومنهم: طلحة بن عبيد الله التيمي: ابتنى داراً بالكوفة تُعرف بالكناس بدار الطلحتين، وكانت غلّته من العراق كلّ يوم ألف دينار، وقيل أكثر من ذلك وله بناحية سراة^(٥) أكثر ممّا ذكر، وشيّد داراً بالمدينة بناها بالآجر والجصّ والساج. وكان طلحة يقلّ بالعراق ما بين أربعمائة ألف إلى خمسمائة ألف، ويقلّ بالسراة عشرة آلاف دينار.

وقال سفيان بن عيينة: كان غلّته كلّ يوم ألف وافٍ. والوافي وزنه وزن الدينار، وعن موسى بن طلحة: أنّه ترك ألفي ألف درهم ومائتي ألف درهم ومائتي ألف دينار.

(١) ذكره شراح البخاري، راجع فتح الباري ٦/ ٢٣٣، إرشاد الساري ٧/ ٥٠، حصة القاري، ١٥/ ٥٣ ح ٣٧.

شذرات الذهب: ١/ ٤٣، ١/ ٢٠٨ حوادث سنة ٣٦هـ.

(٢) البداية والنهاية: ٧/ ٢٧٨ حوادث سنة ٣٥هـ.

(٣) الطبقات الكبرى: ٣/ ١١٠ طبعة ليدن.

(٤) مروج الذهب: ٢/ ٣٥٠.

(٥) بين تهامة ونجد أدناها الطائف وأقصاها قرب صنعاء معجم البلدان: ٣/ ٢٠٥.

وكان قيمة ما ترك طلحة من العقار والأموال وما ترك من الناص^(١) ثلاثين ألف ألف درهم وترك من العين ألفي ألف ومائتي ألف درهم ومائتي ألف دينار والباقي عروض.

وقتل طلحة وفي يد خازنه ألفا ألف درهم ومائتا ألف درهم، وقومت أصوله وعقاره ثلاثين ألف ألف درهم.

وترك مائة بَهار في كلِّ بَهار ثلاثة قناطير ذهب، وسمعت أن البَهار^(٢) جلد ثور. وفي لفظ ابن عبدربه من حديث الخنثي: وجدوا في تركته ثلاثمائة بَهار من ذهب وفضة. وقال ابن الجوزي: خلف طلحة ثلاثمائة جمل ذهباً.

وأخرج البلاذري من طريق موسى بن طلحة قال: أعطى عثمان طلحة في خلافته مائتي ألف دينار^(٣).

وسأني عن عثمان قوله: وبلي على ابن الحضرمية - يعني طلحة أعطته كذا وكذا بَهاراً ذهباً، وهو يروم دمي يخرّض على نفسي.

ومنهم: عبدالرحمن بن عوف الزهري: قال ابن سعد: ترك عبدالرحمن ألف بعير، وثلاثة آلاف شاة، ومائة فرس ترعى بالبقيع، وكان يزرع بالجراف على عشرين ناضحاً.

وقال: كان فيما خلفه ذهب قُطع بالفؤوس حتى مجلت^(٤) أيدي الرجال منه،

(١) الناص: الدرهم والدينار.

(٢) البَهار يساوي ثلاثمائة رطل، وقيل: هو ما يصل على البعير بلفة أهل الشام. أنظر النهاية: ١/ ١٦٦.

(٣) الطبقات الكبرى: ٣/ ٢٢١ - ٢٢٢، مروج الذهب: ٢/ ٣٥٠، العقد الفريد: ٤/ ١٢٩، الرياض النضرة: ٣/ ٢٢٧.

- ٢٢٨، دول الإسلام: ص: ٢٢، ٢٣ حوادث سنة ٥٣٥، خلاصة الخرجي: ٢/ ١٢ رقم ٣١٩٥.

(٤) أي صلبت ولحن جلدها من أثر العمل.

وترك أربع نسوة فأصاب كل امرأة ثمانون ألفاً. وصالحوا امرأة عبدالرحمن التي طلقها في مرضه من ربع الثمن بثلاثة وثمانين ألفاً.

وقال البيهقي: ورثها عثمان فصولحت عن ربع الثمن على مائة ألف دينار. وقيل: ثمانين ألف.

وقال المسعودي: ابتنى داره ووسّعها وكان على مربطه مائة فرس، وله ألف بعير، وعشرة آلاف من الغنم، وبلغ بعد وفاته ثمن ماله أربعة وثمانين ألفاً^(١).

ومنهم: سعد بن أبي وقاص، قال ابن سعد: ترك سعد يوم مات مائتي ألف وخمسين ألف درهم، ومات في قصره بالعقيق. وقال المسعودي: بنى داره بالعقيق لرفع سمكها ووسّع فضاءها وجعل أعلاها شرفات^(٢). بيتاً أحرق عمر باب قصره في زمنه!

ومنهم يعلى بن أمية^(٣): خلف خمسمائة ألف دينار، وديوناً على الناس وعقارات وغير ذلك من التركة ما قيمته مائة^(٤) ألف دينار. كذا ذكره المسعودي في مروج الذهب^(٥).

ومنهم: زيد بن ثابت اليهودي السابق، قال المسعودي خلف من الذهب والفضة ما كان يكسر بالفؤوس غير ما خلف من الأموال والضياح، بقيمة مئة ألف

(١) الطبقات الكبرى: ٣ / ١٦٣، مروج الذهب: ٢ / ٣٥٠، تاريخ البيهقي: ٢ / ١٧٠، صفة الصفوة: ١ / ٣٥٥ رقم ٨، الرياض النضرة: ٤ / ٢٧٢.

(٢) الطبقات الكبرى: ٣ / ١٤٨ - ١٤٩، مروج الذهب: ٢ / ٣٥٠.

(٣) في المصدر: يعلى بن مئة.

(٤) في المصدر: ثلاثمائة.

(٥) مروج الذهب: ٢ / ٣٥١.

دينار^(١).

قال الأميني: هذه نبذ مما وقع فيه التفريط المالي على عهد عثمان، ومن المعلوم أن التاريخ لم يخص كل ما كان هناك من عظام، شأنه في أكثر الحوادث والفتن ولا سيما المتدرجة منها في الحصول.

عطايا عثمان

أعطى عثمان بن عفان خالد بن أسيد القرشي ستمائة ألف، قال عبدالله بن عمر كم ستين ألفاً. قال خالد بن أسيد: مائة ألف ومائة ألف وست مائة، فقال له ابن عمر: اسكت فما أسود عثمان^(٢).

وكان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يأخذ في السنة الواحدة خمسة آلاف درهم!!!

وكان عثمان قد أعطى خمس أفريقية مرة لعبدالله بن أبي سرح وفي غزوة أخرى لمروان بن الحكم، فقال: أسلم بن أوس الساعدي المانع من دفن عثمان في البقيع مع بقية المسلمين:

وأعطيت مروان خمس العباد ظلماً لهم وحميت الحمي^(٣)
وأعطى عثمان لسعيد بن العاص مائة ألف دينار فأنكر الناس عليه^(٤).

(١) مروج الذهب: ٢ / ٣٥١.

(٢) البحار: ٣١ / ٤٥٢.

(٣) تاريخ الطبري طابوربا قسم ١ ص ٢٨١٨، تاريخ الخلفاء، السيوطي ١٥٦، تاريخ ابن الأثير ٣ / ٧١، فتوح أفريقية، ابن عبدالحكم ٥٨، ٦٠، أنساب الأشراف، البلاذري ٥ / ٢٥، ٢٧، ٢٨، البداية والنهاية ٧٢ / ١٥٢، الأغاني ٦ / ٥٧.

جواهر المطالب في مناقب الإمام علي عليه السلام، ابن النمشي ٢ / ١٧٥.

(٤) الصراط المستقيم ٣ / ٣٢.

ونفى عثمان أبا ذر إلى الشام فدعا هناك إلى مساعدة الفقراء والامتناع عن كثر الأموال فأعادته معاوية إلى المدينة وحمله على قتب فسقط لحم فخذيه، ولما دخل على عثمان قال له: لا أنعم الله بك عيشاً يا جندب أنت الذي تزعم أننا نقول: يد الله مغلولة، وأن الله فقير ونحن أغنياء؟ فقال: لو كنتم لا تزعمون ذلك لأنفقتم مال الله على عباده أشهد لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول إذا بلغ بنو العاص أبي العاص ثلاثين رجلاً جعلوا مال الله دولاً وعباد الله خولاً ودين الله دخلاً. فقال عثمان للجماعة: هل سمعتم هذا من النبي ﷺ؟

فقال علي عليه السلام والجماعة سمعناه ﷺ يقول: ما أظلمت الخضراء ولا أقلت الغبراء ذا لهجة أصدق من أبي ذر فنفاه عثمان إلى الريزة وقال لعلي عليه السلام بفيك التراب فقال علي عليه السلام: بل بفيك التراب وسيكون، قال جماعة: فلقد رأينا عثمان مقتولاً وبفيه التراب^(١).

وقد أحدث عثمان بن عفان في المدينة فتنة عظيمة بأعماله في قتل المؤمنين ونفيهم وقطع مواردهم المالية وإنفاق بيت المال على بني أمية دون حق، وتعيين فسقة بني أمية على رقاب المسلمين وإدارتهم الأمور دون شريعة بعيداً عن الإسلام.

وقد قال رسول الله ﷺ: من أحدث في المدينة حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله^(٢)، وقال الواقدي: قسّم عثمان مال البصرة بين ولده وأهله بالصحاف، ووهب إبلاً من الصدقة للحارث بن الحكم بن أبي العاص، وولّى الحكم بن أبي

(١) الأربعم، القمي الشيرازي ٥٨٧، الصراط المستقيم ٣ / ٣٢.

(٢) سنن البخاري الجزء الرابع، أول الكراس الثاني، الجمع بين الصحيحين، الحميدي ١٨، الصراط المستقيم ٣ / ٣٦.

العاص على صدقات قضاة فبلغت ثلاثمائة ألف فوهبها له. وأعطى عثمان ثلاثمائة ألف لعبدالله بن أسيد بن أبي العاص بن أمية ومائة ألف لكل واحد من رفيقيه في السفر فامتنع عبدالله بن الأرقم خازن بيت المال من إعطائهم ذلك المبلغ الكبير، فقال له عثمان: إنما أنت خازن لنا فما حملك على ما فعلت؟

قال ابن الأرقم: كنت أرى أني خازن للمسلمين فاستقال من وظيفته.

فأرسل عثمان زيد بن ثابت برشوة إلى عبدالله بن الأرقم بثلاثمائة ألف درهم قائلاً له: إننا شغلناك عن التجارة ولك ذو رحم أهل حاجة ففرق هذا المال فيهم واستعن به على عيالك. فقال عبدالله بن الأرقم: ما لي إليه حاجة^(١).

وأعطى عثمان سعيد بن العاص مائة ألف درهم^(٢)، وأعطى عثمان مائة ألف درهم للأشعث بن قيس الكندي ولما ولي الإمام علي عليه السلام الحكم أمره بإحضارها فامتنع قائلاً: لم أصبها في عملك، فقال الإمام عليه السلام: والله لئن أنت لم تحضرها بيت مال المسلمين لأضربنك بسيي هذا أصاب منك ما أصاب. فأحضرها وأخذها منه وصيرها في بيت مال المسلمين وتتبع عمال عثمان فأخذ منهم كل ما أصابه قائماً في أيديهم وضمتهم ما أتلفوا، وقال علي عليه السلام في خطبته: ألا وكل قطعة أقطعها عثمان أو مال أعطاه من مال الله فهو رد على المسلمين في بيت مالهم فإن الحق لا يذهب الباطل والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو وجدته قد تزوج به النساء وتفرق في البلدان لرددته على أهله، فإن في الحق والعدل لكم سعة ومن ضاق به العدل فالجور به أضيق^(٣).

(١) الصراط المستقيم ٣/ ٣٢، الشافي، المربعين ٤/ ٢٧٣.

(٢) أنساب الأشراف، البلاذري ٥/ ٢٥، ٢٨، شرح النهج ٢/ ٣٥.

(٣) دعائم الإسلام، القاضي النعمان المغربي ١/ ٣٩٦.

وأعطى عثمان لصهره مروان بن الحكم أيضاً ٥٠٠,٠٠٠ ألف دينار ذهب و ١٠٠,٠٠٠ درهم فضة، وأعطى لعبدالله بن أبي سرح أيضاً ١٠٠,٠٠٠ دينار، وأعطى لطلحة بن عبدالله ٢٠٠,٠٠٠ مع ثلاثين مليون درهم مرةً ومليونين ومشتين ألف درهم فضة، وأعطى لعبدالرحمن بن عوف ٢,٥٦٠,٠٠٠ دينار، وأعطى عثمان ليعلي بن أمية نصف مليون دينار وأعطى زيد بن ثابت (اليهودي السابق) مائة ألف دينار، فقال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في عثمان:

قام ثالث القوم نافجاً حُضنيه بين نثليه ومعتلفه وقام معه بنو أبيه (أمية) يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع إلى أن انتكث قتله وأجهز عليه عمله وكبت به بطنته^(١). ولما أمر عثمان بنفي أبي ذر إلى الربرة دخل أبو ذر عليه يوماً عليلاً متوكئاً على عصاه وبين يدي عثمان مائة ألف درهم قد حملت إليه من بعض النواحي وأصحابه حوله ينظرون إليه ويطمعون أن يقسمها فيهم.

فقال أبو ذر لعثمان ما هذا المال؟ فقال عثمان مائة ألف درهم حملت إلي من بعض النواحي أريد أن أضرم إليها مثلها ثم أرى فيها رأيي، فقال أبو ذر: يا عثمان أيما أكثر مائة ألف درهم أو أربعة دنانير؟ فقال: بل مائة ألف درهم. فقال أبو ذر: أما تذكر إني أنا وأنت دخلنا على رسول الله ﷺ عشاءً فأرانا كئيباً حزيناً فسلمنا عليه فلم يرد علينا السلام^(٢)، فلما أصبحنا أتينا فأرانا ضاحكاً مستبشراً فقلنا له بآبائنا وأمهاتنا دخلنا عليك البارحة فأرانا كئيباً حزيناً وعدنا إليك اليوم فأرانا ضاحكاً مستبشراً فقال ﷺ: نعم كان قد بقي عندي من فيء المسلمين

(١) البحار ٣١/٢٢٣.

(٢) لا يفعل النبي هذا لانه قال رد السلام واجب.

أربعة دنانير وقد قسّمها اليوم فاسترحمت^(١).

وقال هلال بن سالم الجحدري سمعت جدّي عن جدّه قال: شهدت علي بن أبي طالب عليه السلام وقد أتى بجال عند المساء فقالوا: قد أمسينا فأخّره إلى غد، فقال عليه السلام: وما ذاك بأيدينا قال عليه السلام: فلا تؤخّروه حتى تقتسموه^(٢).

ودفع عثمان إلى أزواج بناته الأربعة أربعمئة ألف دينار^(٣).

وسيطر المسلمون على جواهر كسرى في زمن عمر فبقي في بيت المال ولمّا جاء عثمان حتّى به بناته^(٤)، ولمّا مات عثمان خلف ثلاث زوجات فأصاب كلّ واحدة منهنّ ثلاثة ومئان ألف دينار فجملة المتروك أضعافها^(٥).

نظرية عثمان في الأموال

قال النبي صلى الله عليه وآله: إن رجلاً يخوضون في مال الله بغير حقّ فلهم النار يوم القيامة^(٦).

ولكن عثمان بن عفان وهب إلى أبي سفيان مائتي ألف من بيت المال^(٧).

وأعطى صهره الحارث بن الحكم (المتزوج من ابنته عائشة بنت عثمان)

(١) مستدرک الوسائل، التوري ٩٥ / ١١، قصص الأنبياء ٣٦٨، البحار ٤٣٢ / ٢٢ ح ٤٢.

(٢) مستدرک الوسائل، التوري ٩٦ / ١١، تفسير العياشي ٩٦ / ٢ ح ٦٢ / ٥٨.

(٣) الصراط المستقيم ٣٢ / ٣.

(٤) شرح النهج، المعزلي ١٦ / ٩ - ١٧.

(٥) الصراط المستقيم ٣٢ / ٣، الاستيعاب ٣٩٦ / ٢.

(٦) صحيح البخاري ١٧ / ٥.

(٧) شرح نهج البلاغة ٦٧ / ١.

ثلاثمائة ألف درهم^(١).

ووردت إبل الصدقة فوهبها له^(٢)، وأقطعه سوقاً في يثرب يعرف بتهروز بعد أن تصدّق به رسول الله ﷺ على جميع المسلمين^(٣).

وأعطى عبدالله بن أبي سرح (أخاه من الرضاعة) جميع ما أفاء الله به من فتح أفريقية بالمغرب^(٤).

وعزل زيد بن الأرقم عن أمانة بيت المال لإنكاره على عثمان إعطائه الأموال لبني أمية دون حق^(٥).

وأعطى أبا سفيان مائتي ألف من بيت المال في اليوم الذي أمر فيه لمروان بن الحكم بمائة ألف من بيت المال بعد أن زوجه ابنته أم أبان وأعطى مروان خمس الغنيمة.

وأناه أبو موسى الأشعري بأموال جلييلة من العراق فقسمها في بني أمية، وأنكح الحرث بن الحكم ابنته عائشة فأعطاه مائة ألف من بيت المال^(٦).

وردّ الحكم بن أبي العاص وابنه مروان وأعطاه مائة ألف بعد أن نفاه رسول الله ﷺ عن المدينة، وافتتحت أرمينية في زمنه فأخذ خمسها كلّه ووهبه لصهره مروان^(٧).

(١) أنساب الأشراف ٥ / ٥٢.

(٢) المصدر السابق ٥ / ٢٨.

(٣) شرح نهج البلاغة ١ / ٦٧.

(٤) شرح النهج ١ / ١٩٩.

(٥) تقريب المعارف، المجلد ٢٣٠.

(٦) شرح النهج ١ / ٦٦.

(٧) الاستيعاب بهامش الإضافة ٢ / ٤١٤ الملل والنحل ٣٢، النهاية ٣ / ٣٨٩، شرح النهج ١ / ١٩٩.

الفصل الثالث:

عزل عثمان لبعض ولاية عمر

ومن الأعمال الخطيرة التي ارتكبها عثمان هي عزل بعض الرؤوس المهمة والمأكرة عن الولايات وهم من زعماء الحزب القرشي.

فعزل عمرو بن العاص سنة ٢٧ هجرية وعين بدله أخاه من الرضاعة عبدالله بن سعد بن أبي سرح^(١).

وعزل أبا موسى الأشعري سنة ٢٩ هجرية عن البصرة وولى بدله ابن خاله عبدالله بن عامر^(٢).

وعزل سعد بن أبي وقاص وعزل المغيرة بن شعبة.

ورغم الأعمال الفاضحة والفاسقة المرتكبة من قبل الوليد بن عقبة الأموي في الكوفة فقد عزله بأُموي أكثر فسقاً منه وهو سعيد بن العاص^(٣).

(١) تاريخ خليفة ١ / ١٦٤، البداية والنهاية ٧ / ١٧٣.

(٢) تاريخ خليفة ١ / ١٦٧، البداية والنهاية ١٧٣.

(٣) تاريخ خليفة ١ / ١٦٩.

فأضحت المشكلة عويصة ولا مخرج منها؛ لأنّ ولاية عمر من زعماء الحزب القرشي ومن أشدّ الناس مكرّاً وخداعاً ولا يتورّعون عن ارتكاب الكبائر المحرّمة في سبيل مصالحهم وأهوائهم. وعندها اهتزّت أركان الحزب القرشي الذي اعتمد عليه أبو بكر وعمر في رئاستها. ومن الجانب الآخر تنكّر عثمان للأنصار وباقي المسلمين في المناصب الحكومية وفي قضية توزيع الأموال فساءت أحوال الدولة.

المغيرة بن شعبة

كان من أهل الدنيا وأهل السلطة زائفاً عن الحقّ منحرفاً عن الشرع بائعاً دينه بأبخس الأسعار. فهو الذي دعا لترك عثمان رسول الله ﷺ والتوجّه إلى السقيفة لاغتصاب السلطة^(١).

فهو من الأشخاص المغمورين في زمن الحكم النبوي والمعروفين في زمن حكم الحزب القرشي؛ وهو الذي أيّد عمر بن الخطّاب في منعاه لقتل أبي بكر والاستئثار بالسلطة.

وهو الذي حرّض عمر على الوصية لابنه عبدالله بن عمر فقال له عمر: قاتلك الله والله ما أردت الله بهاء أستخلف رجلاً لم يحسن أن يطلق امرأته^(٢).

ولمّا بايع عبدالرحمن بن عوف عثمان قال المغيرة لعثمان: لو بايع عبدالرحمن

(١) راجع كتاب السقيفة للمؤلف موضوع أحداث السقيفة.

(٢) تاريخ ابن الأثير ٣٤ / ٢، البحار ٣٩٤ / ٣١، الشافعي ٢٠٢ / ٤ - ٢٠٣ / ٣، ١٩٧.

غيرك ما رضىنا. فقال عبدالرحمن: كذبت يا أعورا لو بايعت غير عثمان لبايعته ولقلت هذه المقالة^(١).

بقي المغيرة بن شعبة والياً على الكوفة، في سنة ٢٤، ٢٥ هجرية وفي سنة ٢٥ هجرية صدر أمر عثمان بإقالته من الولاية وتعيين الوليد بن عقبة بن أبي معيط، اليهودي الأصل^(٢)، الذي نزلت في حقّه آية: ﴿إِذَا جَاءَ كُمْ فَاسِقٌ بِنْتًا فَتَبَيَّنُوا﴾.

فأصبح المغيرة بن شعبة من المعادين لحكم عثمان بن عفان والساعين للإطاحة به.

ولما كان عمرو بن العاص من المطرودين من الولاية أيضاً في سنة ٢٧ هجرية فقد اجتمع هذان الماكران لإيجاد الفتنة في البلاد، والقضاء على عثمان. ولم يخلد في ذهن هذا الماكر الكيد العثماني الأموي به هذه الصورة المزرية لصالح أفراد بني أمية فقرر الانتقام.

فساهم المغيرة في قتل عثمان لاجل الدنيا الفانية لا لاجل المبادئ! وختم أيامه بسبب أمير المؤمنين علي عليه السلام حين كان والياً على الكوفة لمعاوية ثم استأجر المغيرة جماعة من الرجال بعثهم إلى معاوية يدعوهم إلى بيعته ابنه يزيد، فعرف معاوية مرام المغيرة وهو مثله وعلى منهجه فقال لابن المغيرة: بكم اشترى أبوك دينهم؟^(٣)

(١) البحار ٣١ / ٤٠٤.

(٢) البداية والنهاية ٧ / ١٧٣.

(٣) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٢٦٤، تاريخ الطبري ٦ / ١٦٩.

موقف محمد بن مسلمة الأنصاري

وكان وزيراً مهماً في حكومة عمر إلا أن عثمان عزله عن السلطة .

ذكر الثقيفي في تاريخه، أن محمد بن مسلمة الأنصاري قال يوم قتل عثمان: ما رأيت يوماً قط أقرّ للعيون ولا أشبهه بيوم بدرٍ من هذا اليوم^(١).

ولما قُتل عثمان كان عماله على الأمصار على مكة علي بن عدي الأموي، وعلى الطائف القاسم بن ربيعة الثقيفي، وعلى صنعاء يعلي بن منية، وعلى الجند عبدالله بن أبي ربيعة، وعلى البصرة عبدالله بن عامر بن كريز، وعلى الكوفة سعيد بن العاص، أُخرج منها فلم يدخلها، وكان يستخلف زيد بن ثابت على المدينة عند الحسج^(٢)، ويؤليه القضاء.

وعلى مصر عبدالله بن سعد بن أبي سرح قدم على عثمان وغلب محمد بن أبي حذيفة عليها، وكان عبدالله بن سعد استخلف على مصر السائب بن هشام بن عمرو العامري فأخرجه محمد بن أبي حذيفة، وعلى الشام معاوية بن أبي سفيان. وكتب السري: مات عثمان وعلى الكوفة على صلاتها أبو موسى وعلى خراج السواد جابر بن فلان المزني، وعلى آذر بيجان الأشعث بن قيس وعلى همدان النسير، وعلى الري سعيد بن قيس وعلى إصبهان السائب بن الأقرع وعلى قضاء عثمان زيد بن ثابت^(٣).

وكان عمر قد طلب منه إبقاء ولايته سنة في أماكنهم واستخدام سعد بن أبي

(١) البحار ٣١ / ٢٩١.

(٢) تاريخ خليفة المصري ١٠٦.

(٣) تاريخ ابن جرير الطبري ٣ / ٤٤٥، ٤٤٦ حوادث سنة ٣٥ هجرية الكامل في التاريخ، بن الأثير ٣ / ١٨٦، ١٨٧.

وقاص^(١).

وطلب عمر من الخليفة القادم تولية سعد بن أبي وقاص يعني تواطؤ عمر وعثمان وسعد على تولية عثمان الخلافة؛ لأن الإمام علي عليه السلام لا يولي سعد على مصر من الأمصار وعثمان يوليه، وهذا دافع لسعد لمبايعة عثمان.

وهذا الشرط العمري يخلّ بحريّة البيعة وشعبيّتها ويجعلها مؤامرة مثل مؤامرة السقيفة!

ولكن عثمان عزل سعد بن أبي وقاص في سنة ٢٥ هجرية وعيّن بدله الوليد بن عقبة، ثم عزل عثمان عمرو بن العاص في سنة ٢٧ هجرية وعيّن بدله عبدالله بن أبي سرح وكان أخا عثمان من الرضاعة^(٢).

وفي سنة ٢٩ هجرية عزل عثمان أبا موسى الأشعري^(٣) عن البصرة واستعمل عبدالله بن عامر وهو ابن خال عثمان^(٤).

وفي سنة ٣٠ هجرية عزل عثمان الوليد بن عقبة ووّلى بدله سعيد بن العاص الأموي.

وكان عمر قد قال في عثمان: والله لو فعلت (أي خلّفت عثمان) لجعل بني أبي معيط على رقاب الناس، يعملون فيهم بمعصية الله^(٥).

وقال عمر مرّة أخرى عن عثمان: كلّف بأقاربه^(٦)، ورغم ذلك عيّنه خليفة على

(١) الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٣ / ٧٩.

(٢) الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٣ / ٨٨.

(٣) الأثير ٣ / ٨٨.

(٤) المصدر السابق.

(٥) الاستيعاب ٣ / ٢١٦.

(٦) المبسوط، السرخسي ١١ / ٥٢، كنز العمال ٥ / ٧٣٨.

المسلمين!

وكان الوليد بن عقبة أخا عثمان لأُمّه، وكان عامله على الكوفة فصلّى بهم الصبح أربع ركعات وهو سكران ثمّ التفت إليهم فقال: وإن شئتم زدتكم! فقامت عليه البيّنة بذلك عند عثمان، فقال لطلحة: قم فاجلده.

قال: لم أكن من الجالدين، فقام إليه عليّ عليه السلام فجلده ^(١).

قال ابن حجر: وخبر صلاته بهم وهو سكران، وقوله: أأزيدكم بعد أن صلّى الصبح أربعاً مشهور من حديث الثقات ^(٢).

فكان من الطلقاء المستهزين بالإسلام ومن أصل يهودي ومصرياً على شرب الخمر علناً ونزلت فيه الآية القرآنية ﴿إِذَا جَاءَ كُمْ فَاسْقُ يَتِيًّا فَتَيِّبُوا﴾ ^(٣).

وكان الأشعث بن قيس والياً لعثمان على آذر بيجان ^(٤).

وقد أعطاه آذر بيجان طعمة له ولذريّته وأهبط ذلك أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ^(٥).

وولاه عثمان بعدما زوج ابنه من بنت الأشعث، وكانت ولايته من الأشياء التي عتب الناس فيها على عثمان ^(٦).

وعزل عثمان بن عفان عمير بن سعد عن حمص وجمع الشام لمعاوية الأموي ونزع عمرو بن العاص عن مصر وأمر عليها عبدالله بن أبي سرح الذي كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أفتى بقتله في فتح مكّة وإن كان متعلّقاً في أستار الكعبة، وعيّن مروان

(١) العقد الفريد، ابن عبد ربه ٢٨٨ / ٤، مروج الذهب، السعدي ٣٦٩ / ٢.

(٢) تهذيب التهذيب ١٦٠ / ٨.

(٣) الحجرات ٦.

(٤) العقد الفريد، ٣٠٧ / ٤.

(٥) البداية والنهاية ٢٥٤ / ٧.

(٦) الأخبار الطوال ١٥٦.

بن الحكم وزيراً له مطلق الصلاحيات، فأصبح النظام الحاكم بيد الأمويين يديرونه مثلما تشتهي أهواؤهم وتدعوا له نزواتهم، فعاثوا في الأرض فساداً، وأكثروا في الناس قتلاً وظلماً فعادت إلى الأذهان أفعال أمية وأبي سفيان وأبي جهل وبعد ما فشل أبو سفيان الأموي في قتل المقداد بن عمرو وأبي ذر وابن مسعود في مكة تمكّن عثمان من قتلهم في العصر الإسلامي.

فكثرت الشكوى وازداد البلاء وانتشرت المصائب الواردة بهد الأمويين، وضاعت حقوق المؤمنين، وأخلت خزينة المسلمين وخرّب الولاة الأمويون الأمصار الإسلامية فثار الناس في المدينة والكوفة، ومصر وحاصر الثوار قصر عثمان بن عفان.

وكلما ازداد الثوار في مطالبيهم أصّر عثمان على عناده، فلم يعزل لهم والياً أمياً ولم يُنح مروان عن وزارته، ولم يعاقبهم، فغطمت الفتنة بأيدي الأمويين، وحاول معاوية استغلال الفتنة ورغب في مقتل عثمان ليكون ولي الدم.

فشجّع معاوية الداهية عثمان على رفض مطالب الثوار وفاتت على عثمان مكائد معاوية فلم يبق عند الثوار إلا طريقاً واحداً، فأقدموا عليه وهو قتل عثمان، ولما قتلوا عثمان هاج معاوية ومروان وابن عقبة وسعيد بن العاص مطالبين بالثأر وهم الذين تسبّوا في مقتله في الواقع.

وقد اتهم عبدالله بن أبي سرح والوليد بن عقبة معاوية بالتآمر لقتل عثمان. والمرء يُعرف بأصحابه وهي قضية عقلية منطقية، فلا يمكن للرئيس التحلي بالعدل والأخلاق وولاته يهضمون مال الله، ويقتلون عباد الله، ويخربون بلاد الله، وينسفون شريعة الله، بل يعتبر ذلك منه مكرّاً وخداعاً.

ومعظم السلاطين يتصفون بهذه الصفات المتلونة والمنبوذة فالمسلمون لم يصبروا على قبائح ابن أبي سرح ومعاوية والوليد بن عقبة وسعيد بن العاص وعبدالله بن عامر ومروان وحمامات الدم التي أجروها وعثمان مصرّ على ترثع هؤلاء على رقاب المؤمنين.

ولم يتحمّل الصحابة قيادة عبدالله بن أبي سرح لأفريقيا كلّها وهو المدّعي لتحريف القرآن، والسارق لخمسة المسلمين والظالم لحقوقهم، والمهارب لدينهم. وبعد ثورة المسلمين عليه في مصر ومجيئهم إلى المدينة بقيادة محمد بن أبي بكر تعهد لهم عثمان بعزل ابن أبي سرح عن أفريقيا وفي السرّ كتب له رسالة بإبقائه في عمله ودعوته إياه لقتل محمد بن أبي بكر وأصحابه.

ووقع تلك الرسالة بيد الثوّار واعتراف حاملها غلام عثمان بذلك كان اسفيناً في نعش الدولة العثمانية.

فبنوا تيم يطالبون عثمان بدم أبي بكر وينتظرون منه التعويض عن ذلك، وإذا به يدبر مؤامرة أخرى لقتل ابنه محمد بن أبي بكر، فطار صواب طلحة بن عبيدالله وعائشة وعبدالرحمن ومحمد أولاد أبي بكر من أثر الصدمة.

فأفتت عائشة بقتله وذاعت الأحاديث النبوية في حقّه مثل تسمية الرسول ﷺ له بنعثل اليهودي، وقاد طلحة الحصار عليه وختم أعماله بإرساله غلاميه إلى عثمان فذبحاه.

وأدرك مروان بن الحكم (صهر عثمان ووزيره) مؤامرة طلحة فصمّم على الثأر منه وفي معركة الجمل كان الإثنين في جيش الجمل يطالبان بدم عثمان! فسنحت

فرصة لمروان في المعركة فقتل طلحة^(١).

وكان عمر بن الخطاب قد قرّب زيد بن ثابت بصورة خطيرة فلما ذهب إلى الشام استخلفه على المدينة وكتب له من هناك رسالة مخالفة للعرف الإداري إذ قدّم اسم زيد بن ثابت على اسمه جاء فيها:

إلى زيد بن ثابت من عمر بن الخطاب^(٢).

أبو موسى الأشعري

أسلم أبو موسى الأشعري متأخراً في السنة الثامنة الهجرية، وأصله من اليمن^(٣).

ويعتبر الأشعري من أعمدة الحزب القرشي الذين نجحوا في الوصول إلى الحكم في السقيفة، ولأنه من غير قريش فلم يطمع في الخلافة وكان عنصراً فعلياً في حكومة عمر بن الخطاب إذ بقي والياً على البصرة طيلة مدة حكم عمر ثم عزله عثمان فأصبح معارضاً للنظام ثم أعاده إلى ولاية الكوفة.

والأشعري أحد رجال العقبة الساعين لقتل رسول الله ﷺ في حملة تبوك^(٤). وقد فضحه بذلك عمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان.

ولأجل أعمال الأشعري المشهودة في دعم الحزب القرشي وقهر أعدائه المتمثلين في أهل البيت ﷺ والأنصار فقد ولّاه عمر على البصرة.

(١) تاريخ خليفة الصفرى ١٠٨، تهذيب التهذيب ٢١ / ٥، تاريخ الطبري ٥١٩ / ٣.

(٢) تاريخ خليفة ١ / ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥.

(٣) تاريخ دمشق، ٨٣ / ٣٣.

(٤) كنز العمال ٨٦ / ١٤ طمؤسسة الرسالة - بيروت.

وكانت البصرة تشمل خوزستان وفارس والمناطق الجنوبية من إيران. وأظهرت قضية العقبة تضلّع الأشعري في عمليات الاغتيال وعدم خوفه من ارتكاب الأفعال المنكرة.

وقال حذيفة نفسه: عندي أسرار لو قلتها لقتلوني قبل وصول يدي إلى في. ولما فضح حذيفة بن اليمان أبا موسى الأشعري وأصحابه في قضية العقبة فقد عرّض نفسه للقتل وقد قال رسول الله ﷺ: يا حذيفة إنك مقتول^(١).
وفعلأ حدث ما قاله رسول الله ﷺ: إذ قتل والي الكوفة أبو موسى الأشعري حذيفة بن اليمان.

وقال ابن عبد البر: روى حذيفة في الأشعري كلاماً كرهت ذكره والله يغفر له، والكلام فيه أنه عدو لله ورسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار وكان حذيفة عارفاً بالمنافقين أعلمه النبي ﷺ أساءهم^(٢).

وروى الأشعري حديث الرسول ﷺ: لا ينفعك امرأمتي حتى يبعثوا حكيين يضلّان ويضلّان^(٣).

وكان علي بن أبي طالب عليه السلام يلعنهم اللهم العن معاوية أولاً وعمراً وأبا الأعور السلمي ثالثاً وأبا موسى الأشعري رابعاً^(٤).

وهو عند المعتزلة من أرباب الكبائر وحكمه حكم من واقع كبيرة ومات

(١) رجال الكشي ٧٧.

(٢) شرح النهج، المعتزلي: ١٣/٣١٥.

(٣) شرح النهج ١٣/٣١٥.

(٤) شرح النهج: ١٣/٣١٥.

عليها^(١).

كان أبو موسى قد قدم مكة في الجاهلية، وحالف سعيد بن العاص بن أمية، وجاء مع قومه إلى المدينة أثناء وجود الرسول ﷺ في خيبر ليعلمن إسلامه. وكان من المقرّبين إلى عمر لذلك عبّته والياً على البصرة ثمّ أوصى إلى خليفته بإبقاء أبي موسى والياً على البصرة، ولكنّ عثمان لم يعمل بوصيّة عمر. إذ جاء: «وعزله عن البصرة، وولاهها عبدالله بن عامر بن كريز، فنزل أبو موسى حينئذٍ بالكوفة وسكنها، فلمّا دفع أهل الكوفة سعيد بن العاص، ولّوا أبا موسى، وكتبوا إلى عثمان يسألونه أن يولّيه، فأقرّه عثمان على الكوفة إلى أن مات، وعزله عليّ عنها فلم يزل واجداً منها على عليّ»^(٢).

وكان أبو موسى قد جاء بأموال جليمة من العراق، فقسمها كلّها عثمان في بني أمية^(٣) ولم يعترض أبو موسى على ذلك، في حين استعفى زيد بن أرقم من عمله كأمين بيت المال احتجاجاً على إعطاء عثمان أموال كثيرة لأفراد بني أمية. هذا في المدينة، وفي الكوفة استقال عبدالله بن مسعود لنفس السبب^(٤). وقد أفتى أبو موسى الأشعري (عبدالله بن قيس) عمره للعمل لصالح الحزب القرشي.

ووصفه معاوية بن أبي سفيان: بأنّه دعي الأشعريين^(٥). وقال عقيل بن أبي

(١) المصدر السابق.

(٢) الاستيعاب جوامع الإصابة، ابن عبد البر: ٣٧٢.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١ / ١٩٩.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١ / ٦٦، طبع مصر، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١ / ٩٧.

(٥) السلفية، سليم بن قيس: ١٧٦. العمال: ١٤ / ٨٦، المتقي الهندي طبع مؤسسة الرسالة - بيروت، والدعي هو اللقيط

والمتقي إلى قبيلة ليس منها.

طالب عنه: ابن السراققة^(١).

وقد قال الإمام علي عليه السلام عنه: صُبَّغَ في العلم صبغة ثم خرج منه، وكان أبو موسى الأشعري من المنحرفين عن الإمام علي عليه السلام وقد جاء في مبغض علي عليه السلام من الحديث ما جاء^(٢).

ولما جاء نبأ مقتل عثمان إلى أهل الكوفة قال هاشم (بن عتبة بن أبي وقاص) لأبي موسى الأشعري: تعال يا أبا موسى بايع لخير هذه الأمة علي فقال: لا تعجل. فوضع هاشم يده على الأخرى فقال: هذه لعلي وهذه لي. وقد بايعت الناس علياً عليه السلام وأنشده:

أبائع غير مكترث علياً ولا أخشى أميراً أشعرياً
أبائعه واعلم أن سأرضي بذاك الله حقاً والنبيا^(٣)

وفي موضوع حذيفة بن اليمان ومعرفته بأسماء المنافقين وأحوالهم، ذكر حذيفة اسمه وأحواله فيهم، إذ ذكر العالم الأندلسي ابن عبد البر في الاستيعاب قائلاً: «فقد روي فيه (الأشعري) لحذيفة كلام كرهت ذكره، والله يغفر له»^(٤).

واستمر أبو موسى معادياً لعلي عليه السلام فقد تبط الناس عن الحرب مع علي عليه السلام في معركة الجمل، ودعا إلى خلعه عليه السلام في قضية الحكمين^(٥).

وقد خلعه الإمام علي عليه السلام عن ولاية الكوفة لنفاقه، وقال له الأشتر: وكتب إليه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أيضاً: «فإنك امرؤ ضللك الهوى، واستدرجك

(١) البحار: ١١٣ / ٣٨. وقد كانت أمه معروفة بالسرقة.

(٢) يا علي لا يملك إلا مؤمن ولا يهضك إلا منافق، صحيح مسلم، كتاب الايمان: ١ / ١٢٠.

(٣) الإصابة، ابن حجر الصقلي: ٣ / ٥٩٢.

(٤) الاستيعاب بهامش الإصابة، ابن عبد البر: ٣٧٢.

(٥) تاريخ الطبري: ٤٩ / ٥٠.

الغرور»^(١). فوالله إنك لمن المناققين قديماً^(٢)

وقال الأشعث بن قيس ومن ارتد بعد ذلك إلى رأي الخوارج: رضينا نحن بأبي موسى الأشعري.

فقال علي عليه السلام: قد عصيتموني في أول هذا الأمر فلا تعصوني الآن، إني لا أرى أولي أبا موسى الأشعري.

فقال الأشعث ومن معه: لا نرضى إلا بأبي موسى الأشعري.

قال عليه السلام: ويحكم هو ليس بثقة، قد فارقتني وخذّل الناس منّي وفعل كذا وكذا وذكر أشياء فعلها أبو موسى، ثمّ إنه هرب شهوراً حتى أمتته^(٣). وكان يعمر يحبه رغم هذا.

عن الشعبي: كتب عمر في وصيته لا يقرّ لي عامل أكثر من سنة، واقرّ الأشعري على البصرة أربع سنين^(٤).

وقال ابن الكلبي: ولّاه عمر على صدقات جهينة، وقال غيره: كان عند عمر معد لكشف الأمور المعضلة في البلاد وعندما أبطأ خبر عمر على أبي موسى الأشعري، ذهب الأشعري إلى امرأة في بطنها شيطان ليسأها عن عمر^(٥).

عمرو بن العاص

كان ابن العاص من أعمدة الحزب القرشي في الجاهلية وسفيرهم إلى ملك

(١) المقد الفريد، ابن عبد ربه الاتنلسي: ٣٢٥ / ٤.

(٢) تاريخ الطبري: ٥٠١ / ٣.

(٣) مروج الذهب، المعهودي: ٣٩١ / ٢.

(٤) الاصابة: ٣٦٠ / ٢، الطبقات ابن سعد: ٤٥ / ٥.

(٥) تاريخ السيوطي: ص ١٢١.

الحبشة وهو من الجناح العمري الأموي في الحزب القرشي.
 وكان ابن العاص وأبوه من أشدّ المحاربين لله ورسوله في الجاهلية والإسلام.
 وكان قائداً لأحد جيوش الشام.
 ولم يحصل على وظيفة أعلى من ذلك في زمن حكومة أبي بكر فكان من
 المترقبين والمنظرين وفاة أبي بكر لترتفع منزلته في الدولة.
 ولما نجح الحزب العمري في اغتيال أبي بكر في سنة ١٣ هجرية وصل ابن
 العاص إلى مرتبة حكومية عالية تمثلت في ولايته لأفريقيا!
 ولو وصل أبو سفيان وأبو جهل إلى زعامة الدولة لما أعطي ابن العاص منزلة
 أعلى من تلك الوظيفة الراقية وقد فتحت مصر في سنة ٢٠ هجرية^(١).
 وبقي حاكماً على أفريقيا طيلة بقاء عمر بن الخطاب في السلطة مما تسبّب في
 زيادة تعلّقه بتلك القارة!
 واستمراراً لوصية عمر بن الخطاب فقد أبقاه عثمان والياً على أفريقيا في
 سنوات ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧ هجرية^(٢).
 ولما استتبّ الحكم لعثمان قرّر عزل ولاية الحزب القرشي لصالح الأمويين، وفعلاً
 صدر القرار العثماني بعزل ابن العاص وتولية عبدالله بن سعد بن أبي سرح والياً على
 أفريقيا.
 ولا يختلف ابن سرح وابن العاص في محاربتها السابقة للنبي ﷺ ودخولهما
 المزيّف في الإسلام.
 واشترك عمرو بن العاص في إجهاض زينب ربيعة رسول الله ﷺ أثناء

(١) إعانة الطالبين، الدماطي ٣/ ٣١٣.

(٢) شذرات الذهب ١/ ١٨٨.

هجرتها إلى المدينة^(١).

ثم ساهم ابن العاص في الهجوم على فاطمة بنت محمد ﷺ بعد حادثة السقيفة متسبباً في مصرعها وإجهاض ابنها محسن^(٢).

وهاجم ابن العاص الأنصار بعد حادثة السقيفة فكرر مواقفه السابقة في معاداته أهل البيت ﷺ والأنصار واستمر في مواقفه المنكرة إلى نهاية عمره الطويل^(٣).

ولما طرد عثمان عمرو بن العاص من ولاية أفريقيا استشاط عمرو غضباً وانضم إلى صفوف المعارضة الداعين إلى عزل عثمان وقتله!

ومن الطبيعي إقدام ابن العاص على هذه الأفعال التي اعتادت عليها نفسه والعتب ليس عليه بل على عمر وعثمان الذين عملا سنوات طويلة معه في مكة والمدينة وولياؤه وظيفته رفيعة المستوى.

فشل ابن العاص لا يعمل الأفعال الطيبة ولا يفي لأصحابه بل اعتادت سريرته على الغدر والخيانة بحق أقرب مقربيه.

وكانت نفوس رجال الحزب القرشي مجبولة على معاداة الإسلام وبغض محمد وآل محمد ﷺ والحقده على الأنصار وزعيمهم سعد بن عبادة ومتعوذة على كرهه المخلصين مثل أبي ذر، وعمار، والمقداد، وسلمان الفارسي، وعبدالله بن مسعود، وحذيفة، وخالد بن سعيد، وأبي بن كعب.

وسوف نقرأ في صفحات هذا الكتاب إقدام عثمان على قتل هؤلاء بعد اغتيال

(١) شرح النهج ٦ / ٢٨٢.

(٢) وقعة صفين، المنقري ١٦٣.

(٣) المعارف، ابن قتيبة ١٢٥.

عمر لأبي بكر.

ولما عزل عثمان عمرو بن العاص سكن الأخير في المدينة وفيها بدأ تخطيطه لعزل عثمان وقتله بالتعاون مع رموز الحزب القرشي المعارضين لعثمان مثل المغيرة بن شعبة وعائشة وطلحة بن عبيد الله.

ولما أفلحوا في اغتيال عثمان في بيته قال عمرو بن العاص: إني إذا نكأت قرحة أدميتها^(١).

وذكر التقي في تاريخه: جاء عمرو بن العاص فقال لعثمان: إنك ركبت من هذه الأمة التهاير وركبوها بك، فأتق الله وتب إليه.

فقال: يا بن النابغة قد تبت إلى الله وأنا أتوب إليه، أما إنك ممن يؤلب علي ويسعى في الساعين، قد لعمرى أضرمتها، فأسر وأضرم ما بدا لك، فخرج عمرو حتى نزل في أدنى الشام^(٢).

وقال ابن العاص عن عثمان: إنّه استأثر بالنيء فأساء الإثرة، واستعمل أقواماً لم يكونوا بأهل العمل من قرابته وآثرهم على غيرهم، فكان في ذلك سفك في دمه وانتهاك حرمة.

ومن معاجز سيد الرسل ﷺ أنه فضح عثمان وآله المستمين إلى أبي العاص وبين طغيانهم الخطير على الأمة وفتنتهم المدهشة.

قال خاتم الرسل ﷺ: لو بلغ آل أبي العاص (عائلة عثمان) ثلاثين رجلاً اتَّخذوا مال الله دولةً وعباده خولاً ودينه دخلاً^(٣).

(١) تقريب المعارف ٢٤٣.

(٢) تقريب المعارف ٢٨٢، البحار ٣١ / ٢٩٠.

(٣) دولة أي يكون للناس دون ناس. والمحول المخدم والعميد، والدخل العيب والفشي والفساد والمراد هنا إدخالهم في

وذكر الواقدي في تاريخه: إنَّ عثمان عزل عمرو بن العاص عن مصر واستعمل عليها عبدالله بن سعد بن أبي سرح، فقدم عمرو المدينة، فجعل يأتي علياً عليه السلام فيؤلبه على عثمان، ويأتي الزبير ويأتي طلحة، وإذا لقي الركبان يخبرهم بأحداث عثمان، فلما حصر عثمان المحصار الأول خرج إلى أرض فلسطين، فلم يزل بها حتى جاءه خبر قتله، فقال: أنا أبو عبدالله، إنِّي إذا أحلَّ قرحةً نكأتها، إنِّي كنتُ لأحرِّض عليه، حتى أنِّي لأحرِّض عليه الراعي في غنمه، فلما بلغهبيعة الناس علياً عليه السلام كره ذلك وتربص حتى قُتل طلحة والزبير، ثم لحق بمعاوية^(١).

اعتراض ابن العاص وابن مسلمة

قال ابن مسعود لعبدالرحمن في أحداث عثمان: هذا مما عملت.

فقال عبدالرحمن: قد أخذت إليكم بالوثيقة فأمركم إليكم.

وقال علي عليه السلام لعبدالرحمن بن عوف: هذا عملك. فقال عبدالرحمن: فإذا شئت فخذ سيفك وأخذ سيفي^(٢)، وجاء عمرو بن العاص فقال لعثمان: إنك ركبت من هذه الأمة النهاير^(٣). وركبوها بك، فأتق الله وتب إليه.

فقال: يا ابن النابغة! قد تبت إلى الله وأنا أتوب إليه، أمّا إنك ممن يؤلب علياً

→ الدين أموراً لم تجزها السنة. النهاية ابن الأثير. مسند أحمد بن حنبل ٨/٣، من مسند أبي سعيد الخدري، كنز العمال ١١/١٦٥، البحار ٢٢/٤٢٧، المسند، بن بطريق ٤٧٢ ح ٩٩٣، الفائق ١/٤٢٠.

(١) تهريب المعارف ٢٨٣، البحار ٣١/٢٩١.

(٢) أخرجه البلاذري في الأنساب ٥/٥٧، وقريب منه ما ذكره أبو الفداء في تاريخه ١/١٦٦، وابن عبد البر الصمد

الفريد ٢/٢٥٨، ٢٦١، ٢٧٢، وانظر ما أورده الطبري ٥/١١٣، وابن الأثير، الكامل ٣/٧٠، وابن كثير في تاريخه

٧/٢٠٦ وابن أبي الحديد في شرحه ١/٣٥، ٦٣، ١٦٦، وابن تقيّة في المعارف: ٢٣٩.

(٣) النهاير: المهالك، الواحدة نهيرة ونهبورة. قاله في القاموس ٢/١٥١.

ويسمى في الساعين، قد - لعمرى - أضرمتها فاسمر وأضرمت ما بدا لك.

فخرج عمرو حتى نزل في أداني الشام^(١).

وإن عمرو بن العاص ذكر عثمان، فقال: إنه استأثر بالنبيء فأساء الإثارة واستعمل أقواماً لم يكونوا بأهل العمل من قرابته وءاثرهم على غيرهم، فكان في ذلك سفك دمه وانتهاك حرمة. وقام عمرو إلى عثمان، فقال: اتق الله يا عثمان! إنما تعدل وإنما أن تعتزل!.. فلما أن تشب الناس في أمر عثمان تنحى عن المدينة وخلف ثلاثة غلمة له ليأتوه بالخبر، فجاء إثنان بمحصر عثمان، فقال: إني إذا نكأت قرحة أدميتها، وجاء الثالث بقتل عثمان وولاية علي عليه السلام، فقال: واعثماناه! ولحق بالشام.

وذكر الواقدي في تاريخه أن عثمان عزل عمرو بن العاص عن مصر واستعمل عليها عبدالله بن سعد بن أبي سرح، فقدم عمرو المدينة فجعل يأتي علياً عليه السلام فيؤلبه على عثمان، ويأتي الزبير ويأتي طلحة ويلقي الركبان يخبرهم بإحداث عثمان، فلما حصر عثمان الحصر الأول خرج إلى أرض فلسطين، فلم يزل بها حتى جاءه خبر قتله، فقال: أنا أبو عبدالله أني إذا أحل قرحة نكأتها، إني كنت لأحرص عليه حتى أني لأحرص عليه من الراعي في غنمه، فلما بلغهبيعة الناس علياً عليه السلام كره ذلك وتربص حتى قتل طلحة والزبير ثم لحق بمعاوية.

(١) وقد أوردته باختلاف في التعبير الطبري في تاريخه ٥ / ١١٠، ١١٤، والبلاذري في الأنساب ٥ / ٧٤، وابن عبد البر في الاستيعاب في ترجمة عثمان، وابن الأثير في الكامل ٣ / ٦٨، وابن أبي الحديد في شرحه ٢ / ١١٣، والزنجشري في الفائق ٢ / ٢٩٦، وابن الأثير في النهاية ٤ / ١٩٦، وابن كثير في التاريخ ٧ / ١٥٧، وابن خلدون في تاريخه ٣ / ٣٩٦، والزبيدي في تاج العروس ٣ / ٥٩٢، وابن منظور في لسان العرب ٧ / ٩٨.

الباب الثاني،

وقائع الثورة



الفصل الأول:

المواقف والرسائل

رسالة الصحابة الخطيرة لعثمان

كتب المقداد بن عمرو وعمار بن ياسر وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وآخرون من صحابة رسول الله ﷺ رسالة إلى عثمان بن عفان يبتئوا فيها أخطاءه وخوفوه ربه وأعلموه أنهم موثبوه إن لم يقلع عن أفعاله، ويبتئوا مخالفاته لرسول الله ﷺ، فأخذ عمار الكتاب وأتاه به فقرأ صدراً منه، فقال له عثمان: أعلني تقدم من بينهم؟ فضربه عثمان بنفسه وفتق بطنه!^(١)

وكتابة هذه الرسالة الحادة والمهذرة من قبل جماعة مختلفة الأفكار والأهداف يبين عظم الخطب الذي عاشته الأمة الإسلامية آنذاك وفداحة الأمر الذي لولاه ما اجتمع صحابة رسول الله. ويظهر هذا نضج الحالة السياسية عند الصحابة الدافع لهم نحو نصيح الرئيس وتحذيره من خطورة الواقع.

(١) أنساب الأشراف، البلاذري ٤٩/٥، شرح النهج ٢٣٩/١، الإمامة والسياسة ٢٩/١، المعقد الفريد ٢/٢٧٢.

لكنَّ عثمان لم يأبه بإنذارهم ولم يهتم لمشروعهم وتصرف معهم تصرف قيادات مكة مع المسلمين الجدد.

فقتل أولئك الرؤساء وقتل عثمان بأيدي واحدة في قرن زمني واحداً!!
ومنهم: أبو أيوب الأنصاري البدري، فقد ذكر له أصحاب السير^(١) خطبة شريفة أشاد فيها بأبي الحسن سلام الله عليه وذم فيها من سبقه.

ومنهم: قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري البدري. فقد أورد له الطبري^(٢)، خطبة بمصر في أخذ البيعة لأمر المؤمنين عليه السلام، وفيها: الحمد لله الذي جاء بالحق وأمات الباطل، وكبت الظالمين. أيها الناس! إننا قد بايعنا خير من نعلم بعد محمد نبيِّنا عليه السلام.. وله رسائل مع معاوية، ومحاورات مع صحبه، وخطب في صفين كلها صريحة في هذا^(٣).

ومنهم: فروة بن عمرو بن ودقة البياضي الأنصاري البدري، وكان بمن أعان على قتل عثمان، وقد أخرج له مالك في الموطأ حديثاً في باب العمل في القراءة باسم البياضي^(٤).

ومنهم: محمد بن عمرو بن حزم أبو سليمان الأنصاري، قال أبو عمرو في الاستيعاب في ترجمته: يقال: إنه كان أشد الناس على عثمان المحمدون؛ محمد بن أبي بكر، محمد بن أبي حذيفة، محمد بن عمرو بن حزم.

ومنهم: عبدالله بن عباس حبر الأمة، وقد كان في واقعة الدار أميراً للحجاج في

(١) كتب في جهرة الخطب ٢٣٦/١، والإمامة والسياسة ١١٢/١.

(٢) تاريخ الطبري ٢٢٨/٥، وابن الأثير في الكامل ١١٥/٣، وابن أبي الحديد في الشرح ٢٣/٢.

(٣) كتاب صفين لابن مزاحم: ٥١١، الإمامة والسياسة ١١٩٤/١، جهرة الخطب ١٩٠/١، شرح ابن أبي الحديد ٢٣/٢، ٢٩٨، ٢٥٠، تاريخ الطبري ٢٢٧/٥، ٢٣١، الكامل لابن الأثير ١١٦/٣، النجوم الزاهرة ٩٩/١.

(٤) وترجمه في أسد الغابة ١٧٩/٤، والإصابة ٢٠٤/٣، وشرح الموطأ للزرقاني ١٥٢/١.

سنته تلك، ومع ذلك فهو مَحْنٌ قال فيه معاوية - كما في شرح النهج لابن أبي الحديد ٥٨ / ٤: لعمرى لو قتلتك بعثمان رجوت أن يكون ذلك لله رضا، وأن يكون رأياً صواباً، فإنك من الساعين عليه، والخاذلين له، والسافكين دمه.. وانظر جوابه له، وما ذكره أبو عمر في الاستيعاب في ترجمة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في عثمان عندما سئل عنه قال: ألهته نومته عن يقظته، بل لم يحرض الحاج على نصرة الخليفة عندما حوَّص في الدار واستنجد بهم واستغاث في كتاب قرأه عليهم نافع بن طريف، وكأن عائشة شعرت منه ذلك فقالت يوم مرَّ بها ابن عباس في منزل من منازل الحج: يا ابن عباس! إن الله قد آتاك عقلاً وبياناً، فأياك أن تردَّ الناس عن هذا الطاغية^(١).

ومنهم: عمرو بن العاص! فقد كان والياً لعثمان على مصر فعزله^(٢).
ولنختم القول فيه بما أورده الطبري في تاريخه ٢٣٤ / ٥، من طريق الواقدي قال: لما بلغ عمرو أن قتل عثمان قال: أنا أبو عبدالله قتلته وأنا بوادي السباع، من يلي هذا الأمر من بعده؟ إن يله طلحة فهو فقي العرب سيئاً، وإن يليه ابن أبي طالب فلا أراه إلا سيستنظف الحق! وهو أكره من يليه إلي.
ومنهم: أبو الطفيل عامر بن واثلة الصخاني^(٣).

(١) الطبقات، ابن سعد ٢٥ / ٥، والأنساب، البلاذري، والإمامة والسياسة، وتاريخ الطبري، وابن عساكر، وأبي الفداء، والقصد الفريد ٢٦٧ / ٢ وغيره من مصادر مرَّت في تكثيرها لعثمان.

(٢) وأخرج الطبري في تاريخه ١٠٨ / ٥، ٢٠٣، والبلاذري في الأنساب ٧٤ / ٥، وابن قتيبة في الإمامة والسياسة ١ / ٤٢، وابن عبد البر في الاستيعاب في ترجمة عبدالله بن سعد بن أبي سرح، وابن أبي الحديد في شرحه ١ / ٦٣، والإصابة ٣ / ٣٨١، وأجله ابن كثير في تاريخه ١٧٠ / ٧، وغيرهم محاوره له مع الخليفة جديرة بالمراجعة لمعرفة بواطن الأمور وسرائر القوم. وله ترجمة مفصلة في الفدير ١١٧ / ٢ - ١٧٦.

(٣) فقد ذكر المسعودي في مروج الذهب ٢ / ٦٦، وابن قتيبة في الإمامة والسياسة ١ / ١٥٨، وابن عساكر في تاريخه ٢٠١ / ٧، والسهوطي في تاريخ الخلفاء ١٣٣ وغيره موقف رائع له مع معاوية.

ومنهم: مالك الأشتر بن الحارث.

ومنهم: عبدالرحمن بن أبي بكر.

ومنهم: المسور بن مخرمة. فقد ذكر البلاذري في الأنساب ٥ / ٤٦، ما كتبه عثمان لهؤلاء الثلاثة وأصحابهم داعيهم للطاعة وترك الفرقة، وجوابهم له بعنوان: الخليفة المبطل الخاطيء الحائد عن سنة نبيه، النابذ لحكم القرآن وراء ظهره. ومنهم: أبو القاسم محمد بن أبي حذيفة العبشمي، وكان من أشد الناس تأليباً على عثمان، وكان يقول: يا أهل مصر! إننا خلفنا الغزو وراءنا، يعني غزو عثمان.. إلى غير ذلك مما أورده البلاذري^(١).

ومنهم: كميل بن زياد بن نهمك النخعي.

ومنهم: عمرو بن زرارة النخعي فقد أورد البلاذري^(٢)، أنها أول من دعا إلى خلع عثمان، وقال الأخير: أيها الناس إن عثمان قد ترك الحق وهو يعرفه، وقد أغرى بصلحائكم يولي عليهم شراركم، وهو بمن سيرة عثمان من أهل الكوفة إلى دمشق، وصرح بذلك^(٣).

ومنهم: عبادة بن الصامت الأنصاري^(٤). في حديث طويل جاء في آخره.. فلم ينجأ عثمان إلا وهو قاعد في جنب الدار، فالتفت إليه فقال: يا عبادة بن الصامت! ما لنا ولك، فقام عبادة بين ظهري الناس، فقال: سمعت رسول الله أبا القاسم محمد ﷺ يقول: إنه سيلي أموركم بعدي رجال يعرفونكم ما تنكرون وينكرون

(١) الأنساب. البلاذري ٥ / ٤٩ - ٥١، وابن كثير في تاريخه ٧ / ١٥٧، والطبري في تاريخه ٥ / ١٠٦، وابن عبد البر في الاستيعاب ١ / ٢٣٣، وابن الأثير في الكامل ٢ / ٦٧، وابن حجر في الإصابة ٣ / ٣٧٣، وغيرهم.

(٢) الأنساب. البلاذري ٥ / ٣٠.

(٣) أسد الغابة ٤ / ١٠٤، والإصابة ١ / ٥٤٨ و ٢ / ٥٣٩ وغيرهم.

(٤) روى أحمد بن حنبل في مسنده ٥ / ٣٢٥.

عليكم ما تعرفون، فلا طاعة لمن عصى الله تبارك وتعالى. ويكون عبادة كأبي ذر رحمهما الله من القوالين بالحق الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ولم تأخذهم في الله لومة لائم أبداً. وقد أودوا في سبيل الله وظلموا ظلماً شديداً.

ومنهم: صعصعة بن صوحان. فقد روى ابن عساكر في تاريخه ٦ / ٤٢٤ اعتراضه على عثمان، وأنه مال عن الحق.

ومنهم: حكيم بن جبلة العبدي. كان أحد زعماء الثائرين على عثمان من أهل البصرة، وتمن يعيب على عثمان^(١).

ومنهم: هشام بن الوليد المخزومي. صرح ابن حجر في الإصابة ٣ / ٦٠٦ ببناءؤه للسلطة الحاكمة، وإنشاده الشعر في الخليفة، ودفاعه عن عمار عند ضربه. ومنهم: حجر بن عدي الكوفي وصحبه رضوان الله عليهم. وهم القاتلون عن عثمان أنه هو أول من جاز في الحكم وعمل بغير الحق، كما جاء في واقعة طويلة^(٢). ومنهم: جهجاه بن سعيد الغفاري الصحابي ممن بايع تحت الشجرة، وقد خاطبه في المسجد بأشنع القول وأقذع الكلام، وسأه: نعتلاً^(٣).

ومنهم: قيس بن قهذان، وهو القاتل:

أقسم بالله رب البيت مجتهداً أرجو الشواب به سراً وإعلناً

(١) مروج الذهب ٢ / ٧، ودول الإسلام للذهبي ١ / ٧، وكتاب صفين: ٨٢، والاستيعاب ١ / ١٢١، وشرح ابن أبي الحديد ١ / ٢٥٩.

(٢) ذكرها الطبري في تاريخه ٦ / ١٤١ - ١٦٠، وابن عساكر في تاريخه ٢ / ٣٧٠ - ٣٨١، وابن الأثير في الكامل ٣ / ٢٠٢ - ٢١٠، وابن كثير في تاريخه ٨ / ٤٩ - ٥٥، وأبو الفرج في الأغاني ٢١٦ وغيرهم.

(٣) كما صرح بذلك البلاذري في الأنساب ٥ / ٤٧، وذكر ذلك في ترجمته في الاستيعاب، والإصابة ١ / ٢٥٣، وتاريخ الخميس ٢ / ٢٦٠، والرياض النضرة ٢ / ١٢٣، ونص عليه أهل السير والتاريخ كابن الأثير في الكامل ٣ / ٧٠، والطبري في التاريخ ٥ / ١١٤، وابن كثير في كتابه ٧ / ١٧٥.

لأخلمن أباه وصب صاحبه كهف الضلالة عثمان بن عفان^(١)

ثم أطبق أهل الأمصار وقطان المدينة من المهاجرين والأنصار - إلا النفر الذين اختصهم عثمان لنفسه وآثرهم بالأموال كزيد بن ثابت وحسان بن ثابت وسعيد بن العاص وعبدالله بن الزبير ومروان وعبدالله بن عمر - على حصره في الدار ومطالبته بخلع نفسه من الخلافة أو قتله إلى أن قتلوه على الإصرار إلى ما أنكروا عليه ومن ظفروا به في الحال من أعيانه، وأقام ثلاثاً لا يتجاسر أحد من ذويه أن يصلي عليه ولا يدفنه خوفاً من المسلمين إلى أن شفعوا إلى علي عليه السلام في دفنه، فأذن في ذلك على شرط أن لا يدفنوه في مقابر المسلمين، فحمل إلى حش كوكب مقبرة اليهود، ولما أراد النفر الذين حملوه الصلاة عليه منعهم من ذلك المسلمون ورجعهم بالأحجار، فدفن بغير صلاة، ولم يزل قبره منفرداً من مقابر المسلمين إلى أن ولي معاوية فأمر بأن يدفن الناس من حوله حتى اتصل المدفن بمقابر المسلمين، ولم يسأل عنه أحد من بعد القتل من وجوه المهاجرين والأنصار كعلي عليه السلام وعمار ومحمد بن أبي بكر وغيرهم وأمائل التابعين إلا قال: قتلناه كافراً.

وهذا الذي ذكرناه من اعتراض الصحابة والتابعين على عثمان موجود في جميع التواريخ وكتب الأخبار، ولا يختلف في صحة مخالط الأهل والسير والآثار، وإن أحسن الناس كان فيه رأياً من أمسك عن نصرته ومعونة المطالبين له بالخلع، وكف عن التكبر عنه وعنهم كما ذكرناه من مواليه وبني أمية، ومن عداهم بين قاتل ومعاون بلسانه أو بيده أو بهما، ومعلوم تخصص قاتليه بولاية علي عليه السلام وكونهم بطانة له وخواصاً كمحمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر والأشتر وغيرهم من

(١) أسد الغابة ٤ / ١٠٤، والإصابة ١ / ٥٤٨، والأنساب ٥ / ٣٠.

المهاجرين والأنصار وأهل الأمصار، وتولّى الكافة لهم تولّى الصالحين والمنع منهم بالأنفس والأموال وإراقة الدماء في نصرتهم والذب عنهم ورضاهم بعلي عليه السلام مع علمهم برأيه في عثمان والتأليب عليه وتولّى الصلاة - وهو محصور - بغير أمره، واتّخذه مفاتيح لبيوت الأموال، واتّخذه قتلته أولياء خاصة أصفياء، وإطباقتهم على اختياره وقتالهم معه والدفاع عنه وعنهم، واستفراغ الوسع في ذلك، وعدم نكير من أحد من الصحابة أو التابعين يعتدّ بنكيره، ثمّ اشتهر التدينّ بتكفير عثمان بعد قتله وكفر من تولّاه من علي عليه السلام وذريته وشيعته ووجوه الصحابة والتابعين إلى يومنا هذا، وحفظ عنهم التصريح بذلك بحيث لا يحتاج إلى ذكره، غير أنّ في ذكره إيناساً للبعيد عن سماع العلم، وتنبيهاً للغافل من سنة الجهل.

فمن ذلك ما رواه من طرقهم^(١). أنّ علياً عليه السلام خطب الناس بعد قتل عثمان فذكر أشياء قد مضى بيانها، من جملتها قوله عليه السلام سبق الرجلان وقام الثالث كالغراب همتة بطنه وفرجه، وله! لو قصّ جناحاه وقطع رأسه كان خيراً له، شغل عن الجنة والنار أمامه.

وسأل رجل علياً عليه السلام عن عثمان، فقال: وما سؤالك عن عثمان؟ إنّ لعثمان ثلاث كفرات، وثلاث غدرات، ومحلّ ثلاث لعنات، وصاحب بليّات، لم يكن بتقديم الإيمان ولا ثابت الهجرة، وما زال النفاق في قلبه، وهو الذي صدّ الناس يوم أحد.. وذكر الثقي في تاريخه، قال: أتيت علياً عليه السلام في الرحبة، فقلت: يا أمير المؤمنين! حدّثنا عن عثمان؟

قال: أدن. فدنوت، قال: ارفع صوتك. فرفعت صوتي، قال: كان ذا ثلاث

كفرات، وثلاث غدرات، وفعل ثلاث لعنات، وصاحب بليّات، ما كان بقديم الإيمان ولا حديث النفاق، يجزي بالحسنة السيئة^(١).

وذكر في تاريخه، عن حكيم بن جبير، عن أبيه، عن أبي إسحاق - وكان قد أدرك علياً عليه السلام -، قال: ما يزن عثمان عند الله ذهاباً. فقال: ذهاباً؟! فقال: ولا جناح ذهاب، ثم قال: ﴿وَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾^(٢).

قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: أنا يعسوب المؤمنين وعثمان يعسوب الكافرين. وقال هبيرة بن مريم، كنتا جلوساً عند علي عليه السلام، فدعا ابنه عثمان، فقال له: يا عثمان اثم قال: إني لم أسمه باسم عثمان الشيخ الكافر، إنما سمّيته باسم عثمان بن مظعون. وذكر في تاريخه، من عدة طرق، أن علياً عليه السلام كان يستنفر الناس ويقول: انفروا إلى أئمة الكفر وبقيّة الأحزاب وأولياء الشيطان، انفروا إلى من يقول كذب الله ورسوله ﷺ، انفروا إلى من يقاتل على دم حمّال الخطايا، والله إنه ليحمل خطاياهم إلى يوم القيامة لا ينقص من أوزارهم شيء^(٣).

وعن عمر بن هند عن علي عليه السلام، أنه قال: لا يجتمع حبيّ وحبّ عثمان في قلب رجل إلّا اقتتل أحدهما صاحبه.

وروى فيه من طرق: أن جيفة عثمان بقيت ثلاثة أيّام لا يدفن، فسأل علياً عليه السلام رجال من قریش في دفنه فأذن لهم على أن لا يدفن مع المسلمين في مقابرهم ولا يصلّي عليه، فلمّا علم الناس بذلك قعدوا له في الطريق بالحجارة، فخرجوا به

(١) هذا استمرار كلام أبي الصلاح الحلبي في تهريب المعارف (في الكلام) من القسم الذي لم يطبع.

(٢) الكهف: ١٠٥.

(٣) قريب ممّا ذكره أبو الصلاح في التهريب عن الثقي ما أورده ابن أبي الحديد في شرحه للشيخ ١/ ١٧٩، أربع مجلّدات.

يريدون به حشّ كوكب مقبرة اليهود، فلما انتهوا به إليهم رجحوا سريره.

وروى فيه من طرق، عن علي عليه السلام، أنّه قال: من كان سائلاً عن دم عثمان فإنّ الله قتله وأنا معه.

وقال: كان الحسن بن علي عليه السلام يقول: معشر الشيعة! علّموا أولادكم بغض عثمان، فإنّه من كان في قلبه حبّ لعثمان فأدرك الدجال آمن به، فإن لم يدركه آمن به في قبره.

وروا عن الحسين بن علي عليه السلام، قال: إنّنا وبني أمية تعادينا في الله فنحن وهم كذلك إلى يوم القيامة، فجاء جبرئيل عليه السلام براية الحقّ فركّزها بين أظهرنا وجاء إبليس براية الباطل فركّزها بين أظهرهم، وإنّ أوّل قطرة سقطت على وجه الأرض من دم المنافقين دم عثمان بن عفّان.

وروى فيه عن الحسين عليه السلام: أنّ عثمان جيفة على الصرط من أقام عليها أقام على أهل النار، ومن جاوزه جاوز إلى الجنة.

وروى فيه عن حكيم بن جبير، يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وآله: أنّ عثمان جيفة على الصراط يعطف عليه من أحبّه ومجاوزه عدوّه.

وعن محمّد بن بشر، سمعت محمّد بن الحنفية يلعن عثمان ويقول: كانت أبواب الضلالة مغلقة حتّى فتحها عثمان.

وقال لا تكون حرب سالمة حتّى يُبعث قائمتا ثلاثة أراكيب في الأرض تمون محاليك أهل الذمّة، وركب يردّون المظالم، وركب يلعنون عثمان.

وقال: سمعت عمار بن ياسر يقول: ثلاث يشهدان على عثمان بالكفر وأنا

الرابع.

وقال: قلت لزيد بن أرقم: بأي شيء كفرتم عثمان؟ قال: بثلاث، جعل المال دولة بين الأغنياء، وجعل المهاجرين بمنزلة من حارب الله ورسوله ﷺ، وعمل بغير كتاب الله.

ومن طريق آخر، قال: كفرناه بثلاث: فزق كتاب الله ونبذ في الحشوش^(١)، وإنزال المهاجرين بمنزلة من حارب الله ورسوله ﷺ، وجعل المال دولة بين الأغنياء، فمن ثم كفرناه وقتلناه.

وجاء أن أبا صادق قال: والله ما يسرني أن في قلبي مثقال حبة خردل حباً لعثمان، ولو أن لي أحداً ذهباً، وهو شرّ عندي من حمار مجدّع لطحان، فقال زبيد: صدق أبو صادق.

وقال مصرف الإمامي: يأبى قلبي إلا حبّ عثمان، فحكيت ذلك لإبراهيم النخعي، فقال: لعن الله قلبه.

وروا عن إبراهيم أنه قال: إن عثمان عندي شرّ من قارون. وقال الحسن البصري، سألته فقلت: أيهما أفضل، عثمان. عرم بن عبدالعزيز؟ قال: ولا سواء من جاء إلى أمر فاسد فأصلحه خيراً ومن جاء إلى أمر صالح فأسده.

وعن الضحّاك، قال: قال لي: يا جوبير! اعلم إن شرّ هذه الأمة الأشياخ الثلاثة، قلت: من هم؟

قال: عثمان وطلحة والزبير.

(١) قال ابن الأثير في نهايته ١ / ٣٩٠: إن هذه الحشوش محضرة، يعني الكنف ومواضع قضاء الحاجة، الواحد حشّ بالفتح -، وأصله من الحشّ، البستان، لأنهم كانوا كثيراً ما يتفرّطون في البساتين، ومنه حديث عثمان أنه دفن في حشّ كوكب، وهو بستان بظاهر المدينة خارج البقيع.

وجاء أتما عجل هذه الأمة فعثان، وفرعونها معاوية، وسامرهما أبو موسى الأشعري، وذو الندية وأصحاب النهر ملعونون.

وقال الأعمش: والله لوددت أني كنت وجأت عثمان بمخنجر في بطنه فقتلته.

وقال سعيد بن جبير، يرفع عثمان وأصحابه يوم القيامة حتى يبلغ بهم الثريا، ثم يطرحون على وجوههم.

وجاء والله لا تكون الأرض سلماً مسلماً حتى يلعن عثمان ما بين المشرق والمغرب لا ينكر ذلك أحد.

وقال عبدالرحمن بن حنبل الجمحي - وكان بدرياً -.

ذق يا أبا عمرو بسوء الفعل وذق صنع كافر ذي جهل

لما سدت باب كل عدل ورمت نقص حقنا بالبطل^(١)

غداً عليك أهل كل فضل بالمشرقيات^(٢) القضا^(٣) الفصل

فذقت قتلاً لك أي قتل كذاك نجزي كل عاب وغل^(٤)

في أمثال هذه الأقوال المحفوظة عن الصحابة والتابعين ذكر جميعها يخرج عن الغرض، وفي بعض ما ذكرناه كفاية في المقصود، والمثمة لله.

(١) قال التبريزي آبادي في القاموس ٣/ ٣٣٥، بطل بطلاً ويطولاً وبطلاتاً - بضته -: ذهب ضباعاً وخسراً.

(٢) جاء في الصحاح ٤/ ١٣٨٠، والمشرقية: سيوف. قال أبو عبيدة: نسبت إلى مشارف. وهي قرى من أرض العرب تدنو من الشريف. يقال سيف مشرف.

(٣) سيف قاضب وقضيب... أي قطاع والجمع قواضب وقضب. كما في الصحاح ١/ ٢٠٣. أقول: القضا^(٣) الفصل القضيب - ككرام وكريم - أو جميع قاضب - كطالاب وطلاّب.

(٤) ومرت له قصيدته التي أولها:

إن تقتلوني فأنا ابن حنبل أنا الذي قد قلت فيكم نعتل

وقد جاءت في تاريخ الطبري ٦/ ٢٥، وتاريخ يعقوبي ٢/ ١٠٥، والاستيعاب ٢/ ٤١٠، والإصابة ٢/

٣٩٥، وشرح ابن أبي الحديد ١/ ٦٦.

وقال ﷺ في موضع آخر^(١): تناصر الخبر من طريق الشيعة وأصحاب الحديث بأن عثمان وطلحة والزبير وسعداً وعبدالرحمن من جملة أصحاب العقبة الذين نَفَرُوا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وأما عثمان وطلحة القائلان: أينكح محمد نساءنا ولا ننكح نساءه؟!.. والله لو قد مات لأجلنا على نسائه بالسهام، وقول عثمان: لأتزوجن أم سلمة، فأنزل الله سبحانه^(٢).

﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا﴾^(٣). وقول عثمان يوم أحد: لألحقن بالشام، فإن لي بها صديقاً يهودياً. وقول طلحة: لألحقن بالشام فإن لي بها صديقاً نصرانياً، ومن الثوار عبدالله بن حسان العنزي الكوفي القائل في عثمان: هو أول من فتح أبواب الظلم وأرجأ أبواب الحق^(٤).

ومن الثوار هاشم المرقال القائل في عثمان في صفين: إنما قتله أصحاب محمد وقرآه الناس حين أحدث أحداثاً وخالف حكم الكتاب والعجيب أن السلفية تكفر قتلة عثمان أي الصحابة وتبرأ ساحة عثمان من الخطأ والظلم والانحراف.

ثم تدافع عن الصحابة تحت عنوان نظرية الصحابة العدول. فكيف يجتمع هذا التضاد بين عثمان وقاتليه الصحابة، فواحد من الإثنين على باطل ولا يجتمعان على الحق أبداً.

(١) لا زال الكلام لأبي الصلاح ﷺ في تريب المعارف - القسم الذي لم يطبع منه مع الأسف -، فراجع.

(٢) انظر مثلاً: تفسير القرطبي ٢٢٨/١٤، وفيض القدير ٢٩٠/٤، وتفسير ابن كثير ٥٠٦/٣، وتفسير البهوي ٥/

٢٢٥، وتفسير الخازن ٢٢٥/٥، وتفسير الأكوبي ٧٤/٢٢.

(٣) الأحزاب: ٥٣.

(٤) الأغاني ١٠/١٦، تاريخ الطبري ١٥٥/٦، تاريخ ابن عساكر ٣٧٩/٢، تاريخ ابن الأثير ٢٠٩/٣.

رسالة عثمان إلى معاوية وابن عامر

فكتب نسخة واحدة إلى معاوية وعبدالله بن عامر، أما بعد: فإن أهل السفه والبنى والعدوان من أهل العراق ومصر والمدينة أحاطوا بداري ولن يرضيهم مني دون خلعي أو قتلي، وأنا ملاقي الله قبل أن أتابعهم على شيء من ذلك فأعينوني. فلما بلغ كتابه ابن عامر، قام وقال: أيها الناس! إن أمير المؤمنين عثمان ذكر أن شر ذمة من أهل مصر والعراق نزلوا بساحته فدعاهم إلى الحق فلم يجيبوا، فكتب إلي أن أبعث إليه منكم ذوي الرأي والدين والصلاح لعل الله أن يدفع عنه ظلم الظالم وعدوان المعتدي.

فلم يجيبوه إلى الخروج.

ثم إنه قيل لعلي عليه السلام أن عثمان قد منع الماء فأمر بالرواية^(١)، فعُكِّت^(٢) وجاء الناس علي عليه السلام فصاح بهم صيحة انفرجوا.. فدخلت الرواية، فلما رأى علي عليه السلام اجتماع الناس دخل على طلحة بن عبيدالله - وهو متكئ على وسائد - فقال: إن الرجل مقتول فامنعوه. فقال: أم والله دون أن تعطي بنو أمية الحق من أنفسها.

من كلام للإمام علي عليه السلام لما اجتمع الناس عليه وشكوا ما نقموه على عثمان، وسألوه مخاطبته عنهم واستعتابه لهم، دخل عليه، فقال: إن الناس ورائي وقد استسفروني بينك وبينهم، والله ما أدري ما أقول لك؟، ما أعرف شيئاً تجهله ولا أدلك على أمر لا تعرفه، إنك لتعلم ما نعلم ما سبقناك إلى شيء فنخبرك عنه ولا

(١) الرواية من الإبل: الحوامل للماء، واحدها: راوية قاله في النهاية ٢ / ٢٧٩، وفي الأمالي: الرواية بدون باء.

(٢) قال في القاموس ٤ / ١٥٣: عكم المتاع يمككه: شدّه، بتراب.

خلونا بشيء فنبلفكه، وقد رأيت كما رأينا، وسمعت كما سمعنا، وصحبت رسول الله ﷺ كما صحبنا، وما ابن أبي قحافة ولا ابن الخطاب بأولى بعمل الحق منك، فالله الله في نفسك فإنك والله ما تبصر من عمى ولا تعلم من جهل، وإن الطرق لواضحة وإن أعلام الدين لقائمة، فاعلم أن أفضل عباد الله عند الله إمام عادل هدي وهدي فأقام سنة معلومة وأمات بدعة مجهولة، وإن السنن لنيرة لها أعلام، وإن البدع لظاهرة لها أعلام، وإن شر الناس عند الله إمام جائر ضلّ وضلّ به، فأمات سنة مأخوذة وأحيى بدعة متروكة، وأتى سمعت رسول الله ﷺ يقول: يؤتى يوم القيامة بالإمام الجائر وليس معه نصير ولا عاذر فيلقى في جهنم فيدور فيها كما تدور الرحى، ثم يرتبط في قعرها، وإني أنشدك الله أن تكون إمام هذه الأمة المقتول، فإنه كان يقال يقتل في هذه الأمة إمام يفتح عليها القتل والقتال إلى يوم القيامة، وتلبس أمورها عليها ويبث الفتن فيها فلا يبصرون الحق من الباطل يوجون فيها موجاً ويرجون فيها مرجاً، فلا تكونن لمروان سيئة يسوقك حيث شاء بعد جلال السن وقضاء العمر.

فقال له عثمان: كَلَّمَ الناس في أن يؤجّلوني حتى أخرج إليهم من مظالمهم.
فقال علي عليه السلام: ما كان بالمدينة فلا أجل فيه، وما غاب فأجله وصول أمرك إليه^(١).

وعن عبدالله بن جعفر، قال: كنت مع عثمان وهو محصور، فلما عرف أنه مقتول بعثني وعبدالرحمن بن أزهر إلى أمير المؤمنين عليه السلام - وقد استولى طلحة بن عبيدالله

(١) وانظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٩ / ٢٦١، وشرح ابن ميثم البجلي ٣ / ٣٠٢، ومنهاج البراءة ٢ /

على الأمر -، فقال: انطلقا فقولا له: أما إِنَّكَ أُولَى بالأمر من ابن الحضرمية^(١) فلا يغلبنك على أمة ابن عمك.

وعن ميسرة بن جدير^(٢)، قال: كنت عند الزبير عند أحجار الزيت وهو آخذ بيدي، فأتاه رجل يشتدّ، فقال: يا أبا عبد الله! إن أهل الدار قد حيل بينهم وبين الماء، فسمعتة يقول: دبروا بها دبروا!

﴿وَجِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُيِّلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلِ إِنْهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ﴾^(٣).

وقيل لطلحة: هذا عثمان قد منع الطعام والشراب، فقال: إمّا تعطيني بنو أمية الحق من أنفسها، وإلا فلا^(٤).

وقال عبدالرحمن بن أبي ليلى، رأيت طلحة يرامى في أهل الدار وهو في خرقة^(٥)، وعليه الدرع وقد كُفّر عليها بقاء فهم يرامونه فيخرجونه من الدار ثم يخرج فيراميهم حتى دخل عليه من قبل دار ابن حزم فقتل.

وعن مسروق، قال: دخلت المدينة فبدأنا بطلحة، فخرج مشتملاً بقطيفة له حمراء، فذكرنا له أمر عثمان فصيح القوم^(٦)، فقال: قد كاد سفهاؤكم أن يغلّبوا حلباءكم على المنطق، قال: أجمتم معكم بحطب وإلا فخذوا هاتين الحزمتين فاذهبوا بهما إلى بابه، فخرجنا من عنده وأتينا الزبير، فقال مثل قوله، فخرجنا حتى أتينا

(١) الكافية للشيخ المفيد: ٧-٨ الرسالة الثانية من المجلد السادس من طبعة المؤتمر العالمي.

(٢) الكافية: ١١ حديث ٦.

(٣) سبأ: ٥٤.

(٤) الكافية في توبة الخاطئة للشيخ المفيد: ٨ حديث ٢.

(٥) الكافية: ٩ / ٨ حديث ٣.

(٦) الكافية للشيخ المفيد: ٩ / ١٠ حديث ٤.

عليّاً عليه السلام عند أحجار الزيت فذكرنا أمره، فقال: استتيبوا الرجل ولا تعجلوا، فإن رجع مما هو عليه وثاب فأقبلوا منه^(١).

واستولى طلحة بن عبيد الله على أمر عثمان وصارت المفاتيح بيده^(٢)، وأخذ لقاحاً^(٣) كانت لعثمان، وأخذ ما كان في داره، فكث بذلك ثلاثة أيام.

موقف معاوية من عثمان

كان معاوية بن أبي سفيان من دهاة العرب لا يتورع عن فعل شيء في سبيل نبيل أهدافه الدنيوية.

وقد دخل في الإسلام قهراً في فتح مكة ولم يدخل فيه رغبة ومحبة مثل باقي طلقاء مكة وبقي حاقداً على الإسلام والمسلمين.

وقد فضحه رسول الله ﷺ وبين فساد الأخلاق وانحرافه الديني ولعنه النبي ﷺ في سبعة مواطن^(٤)، وكان معاوية يصبوا لنيل الخلافة الإسلامية العظمى خصوصاً بعد حصوله على ولاية الشام في زمن حكومتي عمر وعثمان.

ولما كان المسلمون لا يسمحون لرجل طليق في الوصول إلى الخلافة ذهب

(١) أقول: قال البلاذري في الأنساب ٥ / ٣٠: إن أول من دعا إلى خلع عثمان والبيعة لعليّ عمرو بن زرارة بن قيس النخعي وكامل بن زياد بن نسيك النخعي، فقام عمرو بن زرارة، فقال: أيها الناس إن عثمان قد توله الحق وهو يعرفه، وقد أغرى بصلحتكم يولي عليهم شراركم.. إلى آخره، وقد جاء في أسد الغابة ٤ / ١٠٤، والإصابة ١ / ٥٤٨، و٢ / ٥٣٦، وغيرها.

(٢) الكافية في توبة الخاطئة للشيخ المفيد: ١٠ حديث ٥.

(٣) قال في النهاية: ٤ / ٢٦٢: اللقحة - بالكسر والفتح - الناقة القريبة العهد بالنجاح، والجمع لقص، ونساقه لقروح؛ إذا كانت غزيرة اللبن.. واللقاح: ذوات الألبان.

(٤) شرح النهج، المعتزلي ٢ / ١٠٢، أسد الغابة ٢ / ١١٦.

معاوية للتخطيط للوصول إلى الحكم بالطرق الغير طبيعية.

ولما حاصر المسلمون عثمان سارع الأخير لطلب النجدة من معاوية، وغالبية الجيوش معه فوجد عثمان الفرصة سانحة أمامه للوصول إلى أغراضه الجاهلية. فلو أرسل معاوية قواته إلى المدينة وقضى على الثورة لاستتب الأمن وهدأت الأوضاع تحت حراب جنوده، وهذا ما يريده عثمان، وهو في غير صالح معاوية. لذا أرسل معاوية أربعة آلاف مقاتل مع يزيد بن أسد بن كرز البجلي على أن يستقروا في نقطة على الطريق بين مكة والمدينة بانتظار أوامر معاوية!

رغبة معاوية بقتل عثمان

أرسل عثمان رسالة إلى معاوية يستمده، فبعث معاوية يزيد بن أسد جد خالد القسري وقال له: إذا أتيت ذا خشب فأقم بها ولا تتجاوزها ولا تقل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب. قال معاوية أنا الشاهد وأنت الغائب، فأقام بذي خشب حتى قُتل عثمان فقالوا: للجويرة؟ لم صنع هذا؟ قال: صنعه عمداً ليقتل عثمان فيدعو إلى نفسه^(١).

وقدم المسور بن مخرمة على معاوية يوماً فقال معاوية وعنده أهل الشام: هذا من قتلة عثمان. فقال المسور: إني والله ما قتلت عثمان ولكن قتلته سيرة أبي بكر وعمر، وكتب يستمدك بالجنود فحبستهم عنه حتى قتل وهم بالزرقاء^(٢). وقال محمد بن أبي حذيفة الأموي لمعاوية: أنت قتلت عثمان^(٣).

(١) تاريخ المدينة، ابن شبه ٤ / ٢٨٩.

(٢) تاريخ المدينة ٤ / ٢٨٩، والزرقاء موضع بالشام بناحية معان (ياقوت).

(٣) الاستيعاب، ابن عبد البر ٢٣٣، الفارات، الثغني. أنساب الأشراف ٨٧.

ولو لم يقتل عثمان لوصل الحكم إلى مروان بن الحكم؛ لأن مروان صهر عثمان على ابنته.

وثانياً: إنَّ عثمان ومروان من عائلة أبي العاص الأموية بينما معاوية بن أبي سفيان بن حرب. فحقَّق معاوية في قضية وصوله إلى السلطة فلم يجد منفذاً لها إلاَّ مقتل عثمان ومطالبته بالخلافة في الشام فلم يرسل جنده إلى المدينة للدفاع عن عثمان، وتحقَّق مشروعه السياسي.

الفصل الثاني:

عثمان - الصحابة

موقف الصحابة من عثمان

معظم الصحابة كانوا معارضين لعثمان بن عفان سواء كانوا من المهاجرين أم من الأنصار إلا النزر القليل المستفيد مادياً وسياسياً من عثمان والذين كانوا مع عثمان هم حسان بن ثابت واليهود السابقون مثل عبدالله بن سلام وابن عقبة وزيد بن ثابت وكعب الأحبار اليهودي وكعب بن مالك.

وكان معه أيضاً أبو موسى الأشعري والأمويون وعلى رأسهم أبو سفيان وعارضه معظم الصحابة مثل أبي ذر وعمار والمقداد وعبدالله بن مسعود وأبي بن كعب والزبير وطلحة وعبدالرحمن بن أبي بكر وعبدالرحمن بن عوف وزيد بن الأرقم وعموم الأنصار والمهاجرين وعبدالله بن بديل الخزاعي وخلعه عمار بن ياسر وباقي الصحابة ، وخلعه عبدالرحمن بن عوف وهو الذي عيّنه^(١).

(١) تهريب المعارف، الحلبي ٢٨١.

القيادات الجماهيرية المخالفة لعثمان

القيادات الثائرة على عثمان والقادمة للمدينة المنورة هم محمد بن أبي بكر قائد جيش مصر وعبدالرحمن بن عديس البلوي وحكيم بن جبلة العبدي وكنانة بن بشر والأشتر النخعي قائد جيش الكوفة وعبدالله بن بديل زعيم قبيلة خزاعة. وشارك جيش البصرة في الثورة الجماهيرية الكبرى على عثمان. ومن زعماء الثورة في المدينة الزبير بن العوام وطلحة بن عبيدالله وعبدالرحمن بن أبي بكر وعائشة بنت أبي بكر.

الغلط الفاحش الذي وقع فيه عثمان بن عفان هو استهائته بالمعارضة واستكباره عليها وهم زعماء البلدان ورؤساء الأمصار ورؤوس القبائل. وهي نفس سياسة طغاة قريش في الجاهلية، وقد فشلوا فيها وخابت ظنونهم، فكيف تنجح هذه السياسة في الإسلام بعدما تتشقق الناس بالثقافة الإسلامية وتعودوا على السباحة المحمدية.

وكان أعوان عثمان في السلطة من الطلقاء المحاربين الله ورسوله والمعارضين لسياسة الحكم الإسلامية.

عداء عثمان لعمار

لما وصل رسول الله ﷺ المدينة، استقبله الناس وقالت النساء والولدان شعراً جاء فيه:

من ثنيات الوداع

طلع البدر علينا

وجب الشكر علينا ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع^(١)

ورويت روايات في رقص وغناء المستقبلين للنبي ﷺ في المدينة^(٢) لا تصح مخالفة لعفة وحياء رسول الله ﷺ، بل هي مخالفة لخلق أشراف عرب الجاهلية. وكان رسول الله ﷺ حرم الرقص والقناء^(٣).

لقد سار الأنصار مسافة طويلة للقاء منقذهم وزعيمهم، واستقبال الناس لحاتم الأنبياء ﷺ المدينة بين الآمال المعقودة على مجيئه المشرق إليهم، والحب الصادق منهم إليه والاستعداد الكامل للتضحية في سبيله. وتركوا وراء ظهورهم رئيسهم المتروك والمنبوذ عبد الله بن أبي يتعثر بأخطائه وقتنه.

ولما وصل رسول الله ﷺ المدينة ركب ناقته وأرخص لها الزمام فجعلت لا تمر بدار من دور الأنصار إلا دعاه أهلها إلى النزول عندهم، وقالوا له: هلم يا رسول الله إلى العدد والغدة والمنعة فيقول النبي ﷺ لهم: خلوا زمامها فإنها مأمورة، حتى انتهت إلى موضع مسجده اليوم فبركت على باب المسجد^(٤). فعوضه الله تعالى بحبة الأنصار بدل بغض قريش.

(١) دلائل النبوة، البيهقي ٢/ ٢٣٣، فتح الباري ٧/ ٢٠٤، السيرة الحلبية ٢/ ٥٤، تاريخ الخميس ١/ ٣٤١، ٣٤٢.

(٢) تاريخ الخميس ١/ ٣٤١، البداية والنهاية ٣/ ٢٠٠، فتح الباري ٧/ ٢٠٤، دلائل النبوة، البيهقي ٢/ ٢٣٤، ٢٣٥. السيرة الحلبية ٢/ ٦١.

(٣) تفسير الآكوسي ٢١/ ٧٦، سنن البيهقي ١٠/ ٢٢١، الدر المنثور ٢/ ٣٢٤، إرشاد الساري ٩/ ١٦٣، نيل الأوطار ٨/ ٢٦٤، السيرة الحلبية ٢/ ٦٣، تفسير الطبري ٢١/ ٣٩، تفسير ابن كثير ٣/ ٤٤٢، سنن الترمذي كتاب ١٢/ باب ٥٦، تفسير الخازن ٣/ ٣٦، تفسير القرطبي ١٤/ ٥١، المستدرک، الحاكم ٢/ ٤١١، تاريخ البخاري ٤/ قسم ١ ص ٢٣٤.

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ١٤٠.

وكان موضع مسجد النبي ﷺ لبني النجار وكان فيه نخل وحرث وقبور من قبور الجاهلية فقال لهم رسول الله ﷺ: ثامنوني به.

فقالوا: لا نبتغي به ثمناً إلا ما عند الله، فأمر رسول الله ﷺ بالنخل فقطع، وبالحرث فأفسد وبالقبور فنبتت. وتولى بناء مسجده ﷺ هو بنفسه وأصحابه من المهاجرين والأنصار^(١) وكانت القبور دارسة.

ولما أقبلوا عمار بن ياسر باللبن لبناء المسجد قال: يا رسول الله قتلوني يحملون علي ما لا يحملون.

فنفض النبي ﷺ وفرته بيده وهو يقول: ويح ابن سمية ليسوا بالذين يقتلونك، إنما تقتلك الفئة الباغية^(٢).

وكانت مشادة حدثت بين عمار بن ياسر وعثمان بن عفان في غبار نال عثمان من بناء المسجد بعد ما مرّ وهو واضح كتمه على أنفه.

فقال علي بن أبي طالب:

لا يستوي من يبتني المساجدا يظلّ فيها راكعاً وساجداً
كمن يمرّ بالغبار حائداً يعرض عنه جاهداً معانداً
وارتجز بالشعر عمار بن ياسر.

فقال عثمان بن عفان: قد سمعت ما قلت اليوم يا ابن السوداء إيتاي تعني؟
والله إني لأراني سأعرض هذه العصا لأنفك وفي يده عصا.

فغضب رسول الله ﷺ ثم قال: ما لهم ولعمار يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى

(١) تاريخ الطبري ٢/ ١١٦، ١١٧.

(٢) الأروض الأنف ٤/ ٢٣٥، سيرة ابن هشام ٢/ ١٤٢.

النار إنَّ عماراً جلدة ما بين عيني وأني^(١).

كفَّ الناس عن ذلك ثم قالوا لعمار: إنَّ النبي ﷺ قد غضب فيك، ونخاف أن ينزل فينا القرآن.

فأخذ رسول الله ﷺ بيده ومسح وفرته^(٢) وطاف به في المسجد.

ثم أتى عثمانُ رسولَ الله ﷺ فقال له: لم تدخل معك لتُسبَّ أعراضنا.

فقال له رسول الله ﷺ: قد أقلتك إسلامك فاذهب، فأنزل الله تعالى:

﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُ عَلَيْكُمْ أَنْ هَذَا كُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٣).

وكان أول من بنى مسجداً عمار بن ياسر^(٤).

وهذه الحادثة بين عثمان وعمار تُبيِّن قِدَم الصراع بين أتباع أهل البيت ﷺ وأفراد الحزب القرشي العائد إلى أيام مكة، والمنفجر بعد وصول المسلمين إلى المدينة انفجاراً حاداً.

وقد وقف النبي ﷺ إلى جانب عمار ووصفه بإمام من أئمة الجنة ووصف عدوه بإمام من أئمة جهنم.

ووقوف النبي ﷺ إلى جانب أتباعه المعروفين مثل عمار وأبي ذر وسلمان والمقداد وحذيفة ظاهرة معروفة للجميع.

(١) تاريخ الخميس ١ / ٣٤٥، السيرة الحلبية ٢ / ٧٢، وفاة الوفاء ١ / ٣٢٩، الروض الأنف ٤ / ٢٣٥، ٢٣٦، سيرة ابن هشام ٢ / ١٤٢، وقد ذكر ابن إسحاق اسم الرجل عثمان بن عفان وسماه ابن هشام رجلاً خَوْفاً من افتضاح أمره منذ الأيام الأولى لوصول المسلمين إلى المدينة.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المعبرات ١٧، البحار ٢٠ / ٢٤٣، تفسير القمي ٢ / ٣٢٢.

(٤) البحار ٢٠ / ٢٤٣، تفسير القمي ٢ / ٣٢٣.

واستمرت هذه الحالة من الخصام إلى أيام رئاسة عثمان بن عفان الذي أعاد الكثرة على عمار رغم إنذار رسول الله ﷺ له فوطأ عماراً بنفسه وفتق بطنه^(١) وبعد بناء المسجد والصلاة والوعظ الديني فيه انتشر الإسلام في المدينة المنورة بصورة سريعة في السنة الأولى من وصول رسول الله ﷺ إليها فأسلم أهلها إلا ما كان من خطمة وواقف وائل وأمّية وتلك أوس الله وهم حي من الأوس فإنهم أقاموا على شركهم^(٢)، ثم أسلموا.

وبعدما حارب القرشيون الإسلام وأذوا رسول الله ﷺ فتح الله تعالى عليه بابين من أبواب رحمته:

الباب الأول هو الحبشة التي عاش فيها المسلمون في رغد وأمان يتعلمون فيها طقوس دينهم من القرآن والحديث ويتعبّدون بنصوصه ويعبدون الله عزّ وجل في أرضه.

والباب الثاني يثرب التي تنوّرت بنور الإسلام فأصبحت المدينة المنورة مصداق من مصدايق الوعود الإلهية بالنصر.

﴿فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣).

فعاصرت قريش حدثين مهمّين في الهجرة إلى الحبشة ويثرب، أصبح فيها ملك الحبشة وأهل يثرب في صفّ رسول الله ﷺ في صراعه مع جبهة الكفر. وتحول ملك الحبشة وأهالي يثرب إلى جبهة المسلمين دليلاً على عظمة الدين الإسلامي وكماله. فهؤلاء نظروا إلى هذا الدين من باب خال من التعصّب فوجدوه

(١) نصح الحق، العلامة الحلي ٢٩٧، وهاتان الحادثتان تبيّن إقدام عثمان على قتل أعدائه بعصاه وقدمه ويده.

(٢) الروض الأنف ٤ / ٢٣٩.

(٣) الروم ٤٧.

مشروعاً متكاملاً وشاملاً فاعتنقه ملك الحبشة وأهالي يثرب.
 أما القرشيون فكانوا يزدادون تعصباً وجهلاً مع كل معجزة إلهية تشاهدها
 أعينهم وتصحبها نفوسهم! مستمرين في طريق الكفر والفساد.
 ومن العبر العجيبة في رحلة قريش مع الإسلام مخالفة معظمهم له رغم
 معاشتهم له على مدى ثلاث وعشرين سنة، ولم تنفعهم مبايعتهم رسول الله ﷺ
 في فتح مكة فارتدّوا بعد شهادة النبي ﷺ فأمرهم سهيل بن عمرو باتّباع سبيل
 الرشاد وهدّدهم بجيش المدينة فعادوا إلى الدين!
 إنّ نظرة أهالي يثرب الصحيحة للإسلام أرشدتهم للهداية واليقين، ونظرة
 أهالي قريش الباطلة له منعتهم من ذلك ودفعتهم إلى الكفر.

البيعة

وقد بينّ الإمام علي عليه السلام قواعد البيعة الإسلامية الصحيحة نظرياً وعملياً بأنّها
 لا تكون خلصة وسريّة، بل تكون عامّة وعلنية، لا يتوسّل فيها بالقهر والقوّة
 والبطش والإغراء، بل تتمتع بالحرية والاختيار التام، وأن لا تتبعها صفقات
 سياسيّة ولا مؤامرات قائمة على الاحتيال.

وبينما قتلت الحكومتان السابقتان لعثمان المعارضين لبيعتهما مثل فاطمة رضي الله عنها
 وسعد بن عباد وخالد بن سعيد الأموي ونفت أبا هريرة والبراء بن عازب ترك
 علي عليه السلام الممتنعين عن بيعته مثل عبدالله بن عمر وسعد بن أبي وقاص وعبدالله بن
 سلام ومحمد بن مسلمة وغيرهم، وأعطى الحرية السياسية لمعارضيه مثل الزبير
 وطلحة وابن ملجم وغيرهم.

وبينما طرحت دولة السقيفة صفتين سياسيتين على العباس بن عبدالمطلب وأبي سفيان لم يفعل علي بن أبي طالب ﷺ ذلك، وكان معاوية مستعداً لإجراء صفقة سياسية، وكذلك الزبير وطلحة أي لإعطاء بيعتهم وإخلاصهم مقابل مناصب حكومية.

وبينما كانت بيعة السقيفة بيعة سرّية لا تعلم بها جماهير الأنصار والمهاجرين رفض علي ﷺ هكذا بيعة من قبل العباس، ولورضي لكانت أقوى حجة من بيعة السقيفة.

وبعد ما جرّب المسلمون البيعات المختلفة القائمة على الانقلاب العسكري (إنقلاب السقيفة) والوصية المزورة والعلنية (من أبي بكر لعمر) جاءت الوصية السرية من عمر إلى ابن عوف والمتمثلة ببيعة عثمان ثم عاد المسلمون إلى البيعة الحرة والجماهيرية في سنة ٣٥ هجرية، فبايعوا علياً ﷺ مثلما بايعوه سنة ١٠ هجرية في الغدير^(١).

نداءات أبي ذر الخالد وشهادته

أسلم أبو ذر الغفاري في مكة قبل أبي بكر وعمر وعثمان بسنوات عديدة، ثم ذهب إلى قبيلته لنشر الإسلام فيها.

وكان من المقربين لرسول الله ﷺ في مكة والمدينة، وقد مدحه النبي ﷺ بأحاديث كثيرة.

لكن أبا ذر عارض السياسة العثمانية في جمع الأموال وبذلها للمقربين من

(١) تاريخ الإسلام، الخطيب البغدادي ٢٣٢، مسند أحمد ٤ / ٢٨١، التمهيد في أصول الدين، الباقلاني ١٧١.

النظام وللعائلة الأموية.

كان أبو ذر الغفاري (جندب بن جنادة) في الشام ينكر على معاوية جمع المال ويتلو قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(١).

فكتب معاوية يشكوه، فكتب إليه عثمان أن اقدم المدينة، فقدم المدينة، واجتمع الناس عليه، فصار يذكر ذلك ويكثر الشناعة على من كنز الذهب والفضة، فنفاه عثمان إلى الريزة، فكانت وفاته هناك سنة إحدى وثلاثين^(٢).

وكان عثمان قد أمر معاوية بحمل أبي ذر الغفاري من الشام إلى المدينة بغير وطاء ونفاه من المدينة إلى الريزة على الوجه الشنيع^(٣)، متسبباً في موته.

وحمل الإنسان العجوز من الشام إلى المدينة بغير وطاء ولا رعاية لحاله بالاستراحة والطعام كالمية لقتله وهذا ما يريد عثمان ومعاوية.

وقد قال رسول الله ﷺ في أبي ذر: ما أظلمت الخضراء ولا أقلت الفبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر^(٤).

وأعجب العجب ما نقله ابن الأثير في الدفاع عن عثمان في تعذيبه وقتله لأبي ذر قائلاً: ولو صح لكان ينبغي أن يعتذر عن عثمان، فإن للإمام أن يؤدب رعيته^(٥).

وأين هذه الأقوال المبنية على الأهواء من قول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَقَسِّنْ

(١) التوبة ٣.

(٢) تاريخ أبي الفداء، عماد الدين أبي الفداء ١ / ٣٣٣.

(٣) الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٣ / ١١٤.

(٤) سنن الترمذي ٥ / ٣٣٤، أنساب الأشراف ٥ / ٥٤.

(٥) المصدر السابق.

يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ»^(١).

وقوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ»^(٢).

فابن الأثير يعتبر أقوال أبي ذر في دعوته للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مهيجة لمشاعر السلطان وحاشيته اللثام.

وكيف تسول نفس عثمان له قتل امرء مسلم يحارب كنز الأموال من قبل معاوية وأمثاله؛ وقد قال الله تعالى في قتل النفس المسلمة.

(مَنْ قَتَلَ نَفْسًا يَقْتُلُ نَفْسًا فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا)^(٣).

وكان كفار مكة ومنهم معاوية يضربون أبا ذر في الكعبة بعد نداءاته لعبادة الرحمن وترك عبادة الأوثان إلى حد الموت، فبعيد أبو ذر الكرة ثانية ويعيدون. وعندما تربع عثمان ومعاوية على الزعامة والولاية أرادوا الانتقام من أبي ذر لأفعاله السابقة واستهانته بالحزب القرشي فصمّا على قتله فقتلاه! فكانت عمليات القتل التي نفذها عثمان بحق المؤمنين إكمالاً لعمليات القتل التي ارتكبها زعماء مكة.

فعثمان أرجع الحكم بن أبي العاص طريد رسول الله ﷺ وعدوه إلى المدينة. وأغناه بأموال المسلمين وهو العدو للدود للنبي ﷺ في مكة، وطرد أبا ذر عن المدينة وهو حبيب رسول الله ﷺ وناصره!

فحصل الحكم وأبو ذر من قبل عثمان على نفس المعاملة التي كانا يتلقاها من

(١) الزلزلة ٨.

(٢) المائدة ٥١.

(٣) المائدة ٣٢.

قبل أبي سفيان وأبي جهل في مكة

وقد صدق رسول الله ﷺ في قوله لأبي ذر: تعيش وحدك وتموت وحدك وتدخل الجنة وحدك يسعد بك قوم من أهل العراق يتولون غسلك وتجهيزك ودفنك^(١).

وفعلًا مات أبو ذر شهيداً بيد عثمان وقد قال قبل موته لامرأته وغلامه في وسط الصحراء: أن اغسلا في وكفنا في وضعا في على قارعة الطريق فأول ركب يمر بكم فقولوا: هذا أبو ذر صاحب رسول الله ﷺ فأعينونا على دفنه، فلما مات فعلا ذلك به ثم وضعاه على قارعة الطريق وأقبل عبدالله بن مسعود في نفر من أهل العراق عُمَاراً فقال الغلام: هذا أبو ذر صاحب رسول الله ﷺ فأعينونا على دفنه فاستهل عبدالله بن مسعود يبكي ويقول صدق رسول الله ﷺ في قوله لأبي ذر: تمشي وحدك وتموت وحدك وتبعث وحدك ثم نزل هو وأصحابه فواروه^(٢).

وفجر موت أبي ذر بهذه الطريقة المفجعة الأوضاع على عثمان فحكم الصحابة بخروجه من الدين وقالت عائشة: اقتلوا نعتلاً فقد كفر.

وبينما طرحت جنازة عثمان على مزابل المسلمين ودفنت في مقبرة اليهود نادى الأحرار في كل مكان بقيادة أبي ذر وزهده وعفته، وكل جمعية حرّة الآن تدعي السير على نهجه واستقامته وتقدي أرواحها لإحياء ذكره وتخليد اسمه.

صمود عبدالله بن مسعود وشهادته

وهو من المسلمين الأوائل في مكة المكرمة وكان يقرأ القرآن في جوف الكعبة

(١) شرح النهج ٢ / ٣٧٥ ط ١: مصر.

(٢) سيرة الصحابة، الكاندهلوي ٣ / ٤٦٤.

فيضربه الكافرون حتى يغمى عليه فيعيد الكرة ثانية فيضربونه مرة أخرى وهكذا.

وهو من المهاجرين إلى المدينة المنورة والمشاركين في المارك الإسلامية وهو الذي جلس على صدر أبي جهل ليحتز رأسه فقال له أبو جهل: لقد جلست مجلساً عالياً يا رويحي الغنم ثم احتز رأسه^(١).

ثم بايع في بيعة الرضوان لذا كان ينكر على عثمان فراره عن بدر وأحد وبيعة الرضوان!

وكان عبدالله بن مسعود أميناً لبيت مال المسلمين ولما أمره عثمان بإعطاء الأموال لأفراد بني أمية رفض العمل له وأعاد إليه مفاتيح بيت المال قائلاً للوليد: من غير غير الله ما به، ومن بدّل أسخط الله عليه وما أرى صاحبكم إلا غير وبدّل^(٢).

ثم فضح أعمال عثمان وذكر سوابقه المرة في زمن خاتم الأنبياء ﷺ، فردّ عليه عثمان بالقول والفعل، وقطع رزقه من بيت مال المسلمين فحرم بناته من العيش مثل باقي الناس.

وضربه ضرباً مبرحاً حتى كسر أضلاعه ومات من ذلك. وقبل موته من الضرب زاره عثمان وأخبره بقرب إعطائه من بيت المال فرفض ابن مسعود ذلك وقال: إني علّمت بناتي سورة الواقعة فلا حاجة لنا في بيت المال وهو لك.

وقال عبدالله بن مسعود عن عثمان:

(١) فتح الباري ٧ / ٢٣٠، الفائق في غريب الحديث، الزمخشري ١ / ٤٠٥، الفائق، ابن حبان ١ / ١٧٣.

(٢) أنساب الأشراف ٥ / ٣٦، شرح النهج ٣ / ٤٢.

أهلكه الشحّ، وبطانة السوء^(١).

وقال عبدالله بن مسعود: لوددتُ أَنِّي وعثمان برمّل عاجل، فنتحائي التراب حتى يموت الأعرج.

وقال: لا يعدل عثمان عند الله جناح بعوضة^(٢).

وسمع عبيدة السلماني عبدالله بن مسعود يلعن عثمان، قال: فقلت له في ذلك، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يشهد له بالنار^(٣).

وقال عبدالله بن مسعود: بينا نحن في بيت - ونحن إثنا عشر رجلاً - نتذاكر أمر الدجال وفتنته، إذ دخل رسول الله ﷺ فقال:

ما تتذاكرون من أمر الدجال، والذي نفسي بيده إنّ في البيت لَن هو أشدّ على أمّتي من الدجال، وقد مضى من كان في البيت يومئذٍ غيري وغير عثمان^(٤).

وعن علقمة: دخلت على عبدالله بن مسعود فقال: صلى هؤلاء جمعهم؟ قلت: لا.

قال: إنّما هؤلاء حُمُر، إنّما يصلي مع هؤلاء المضطرّ ومَن لا صلاة له، فقام بيننا فصلى بغير أذان ولا إقامة^(٥).

اغتيال حذيفة بن اليمان

لقد فتح الله تعالى باب علوم الغيب لنبيّه على مصراعيه فأخبر رسول

(١) تقريب المعارف ٢٧٥، الإيضاح، ابن شاذان ٥٦، البحار ١٨٧/٣١، تاريخ البقوي ١٤٧/٢.

(٢) تقريب المعارف ٢٧٥.

(٣) المصدر السابق.

(٤) تقريب المعارف ٢٧٥، البحار ٣٨٤/٣١.

(٥) تقريب المعارف ٢٧٥.

الله ﷺ بعض أصحابه بمقتلهم إذ قال لعلي بن أبي طالب عليه السلام: أتدري من أشق الآخرين؟

قال علي عليه السلام: لا.

قال عليه السلام: قاتلك الذي يضربك على هذه وأشار إلى جبينه ورأسه^(١).

وقال النبي ﷺ عن الحسين بن فاطمة عليه السلام: يقتل ابني الحسين في أرض تسمى كرب وبلا^(٢).

وقال النبي ﷺ أيضاً لعمار بن ياسر: يا عمار تقتلك الفئة الباغية وآخر شربة لك من الدنيا اللبن^(٣).

وقال عليه السلام لحذيفة بن اليمان صاحب أسرار النبي ﷺ: يا حذيفة إنك مقتول^(٤).

وكانت أسرار حذيفة خطيرة وكبيرة يقتل في العادة من يحملها فهو عارف بأسماء الجماعة المهاجرة لرسول الله ﷺ في العقبة لقتله وهم أبو بكر وعمر وعثمان ومعاوية وعمر بن العاص وأبو موسى الأشعري وأبو سفيان وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح والمغيرة بن شعبة^(٥).

فكان من مصلحة عثمان قتل حذيفة في أي فرصة ممكنة، فنقح حذيفة إلى المدائن^(٦)، وهي تابعة للكوفة إدارياً ووالي الكوفة أبو موسى الأشعري أحذر رجال

(١) جواهر المطالب، ابن الدمشقي ٨٦/٢، تاريخ مدينة دمشق ٥٤٦/٤٢، شواهد التنزيل، الحسكاني ٤٣٦/٢.

(٢) البحار ٢٦٧/٣٣.

(٣) المحلى: ابن حزم ٩٧/١١، سهل السلام، ابن حجر ٩٥/١، نيل الأوطار، الشوكاني ٢٠٠/٧.

(٤) فهرست رجال الكشي ٧٧.

(٥) المحلى: ابن حزم الأندلسي ٢٢٥/١١.

(٦) تهريب المعارف، الحلبي ٢٣٢.

العقبة، ومن مصلحة الأشعري أيضاً القضاء على حياة حذيفة لطمس الأسرار التي يحملها عن العقبة!

وكانت الأخبار قد انتشرت في الآفاق عن اشتراك عثمان والأشعري في هجوم العقبة من لسان حذيفة وعمار بن ياسر.

وكان حذيفة قد قال: عندي أسرار لو قلتها لقتلوني قبل أن أضع يدي في في. وكان حقد عثمان على حذيفة طائشاً وخارجاً عن الحد لمكانته من النبي ﷺ ومعرفته أسرارهِ إلى درجة إقدام عثمان على قتل ابنه عبدالله بن حذيفة لإنكاره عليه أفعاله^(١). فيكون عثمان قد قتل حذيفة وابنه عبدالله رغبة في إخفاء أعماله الشنيعة والحقائق المرة.

اغتيال المقداد بن عمرو

وهو من المسلمين الأوائل في مكة وقد أسلم قبل أبي بكر وعمر وعثمان وكان من أصحاب سيد الرسل ﷺ وبلغت محبة النبي ﷺ له تزويجه ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب، وكان حليفاً للأسود فسمي المقداد بن الأسود تبعاً لعرف الجاهلية وهو الذي قاتل في بدر على فرس يوم فر عثمان وطلحة وسعيد بن العاص وأسيد بن حضير عن حضورها.

وكان من أنصار أهل البيت ﷺ والسائرين على نهجهم فعارض السقيفة وبيعته وعارض بيعة عثمان بن عفان في مجلس الستة قائلاً: إني والله أحبهم لحب رسول الله ﷺ وإني أعجب من قریش وتطاوهم على الناس بفضل رسول

(١) تقريب المعارف، المجلد ٢٣١.

الله ﷺ ثم انتزعهم سلطانه من أهله.

قال عبدالرحمن: أما والله لقد أجهزت نفسي لكم.

قال المقداد: أما والله لقد تركت رجلاً من الذين يأمرون بالحق وبه يعدلون.

أما والله لو أن لي على قريش أعواناً لقاتلتهم قتالي إيتاهم ببدر وأحد^(١).

وفي زمن حكم عثمان لم يصل المقداد وعمار خلفه^(٢).

ولما عارض المقداد بن عمرو بيعة عثمان بن عفان توعدّه عثمان بالقتل وفعلاً

وفي عثمان بوعدّه وقتل المقداد^(٣).

اغتيال أبي بن كعب الانصاري

لقد اعتمد أبو بكر وعمر وعثمان ومعاوية في سياستهم على الشدة والمكيدة في

التعامل مع الناس لاعتقادهم بهذا المبدأ المرفوض إسلامياً، فقتلوا الكثير من

المعارضين لنظامهم دون مبرر قانوني وشرعي ولم يسيروا على نظرية

رسول الله ﷺ في التعامل مع المعارضين له.

فلقد أعطى سيد الرسل ﷺ الزكاة لإرضاء معارضيه وحينما جابهه أعرابي

بجابهة جاهلية عنيفة جاذباً إياه من رذائه يأمر النبي ﷺ بقتله.

وكذلك فعل علي عليه السلام رافضاً رغبة أنصاره في قتله قائلاً لهم:

إنه قول بقول.

(١) كتاب الأربعين، القسبي الشيرازي، البحار ٣١ / ٤٠٣.

(٢) تهذيب المعارف ٢٧٨.

(٣) الكالي ٨ / ٣٣١، البحار ٢٢ / ٤٣٨، ٣١ / ٢٨٥، وراجع تاريخ الطبري ٥ / ٣٧، تاريخ ابن الأثير ٣ / ٢٩، شرح

النهج ١ / ٦٥، مروج الذهب ١ / ٤٤٠.

والقسوة إذا كانت في أماكنها في القانون فهي جيدة للمحافظة على الأمن وإذا لم تكن في محلها في القانون توجد الهرج والمرج كما حدث ذلك في زمن عثمان بن عفان.

قال رسول الله ﷺ: أمراء يكونون من بعدي لا يمتدون بهديي ولا يستنون بسنّي فمن صدّقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فأولئك ليسوا مني ولست منهم، ولا يردّون عليّ حوضي، ومن لم يصدّقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فأولئك مني وأنا منهم^(١).

وبدأت نظرية البطش في زمن أبي بكر في قتل كلّ فرد أو قبيلة معارضة لدعوة بعض تلك القبائل لبيعة علي عليه السلام صاحب نصّ الغدير، واشتدّت حالة البطش في زمن عمر إذ وصفها عثمان نفسه قائلاً:

لكنّه (عمر) وطأكم برجله وخرّبكم بيده وقعكم بلسانه فدنتم له على ما أحببتهم أو كرهتم^(٢).

وفي زمن عثمان تفاقمت حالة القتل وسفك الدماء حتّى خرجت عن المعقول وطفعت على المقبول فقتل بها عثمان نفسه.

وكان أبيّ بن كعب الخزرجي (أبو المنذر) قد شهد العقبة ويدراً وما بعدهما من المشاهد.

وهو من الأنصار المخلصين للإسلام والمضحين في سبيله وهو أحد أنصار أهل البيت عليه السلام؛ لذلك لم يبايع أباً بكر أولاً وخالف بيعته ومال إلى علي عليه السلام^(٣).

(١) المستدرک علی الصحیحین ١ / ٧٩. طمکتب المطبوعات، حلب.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير ٧ / ١٨٩.

(٣) تاريخ ابن الوردي ١ / ١٣٤.

وبالرغم من تاريخه المشرق لم يستعمله أبو بكر في الدولة واستعمل بدلاً عنه
الطلقاء من أمثال عكرمة بن أبي جهل ويزيد بن أبي سفيان.

وفي زمن خلافة عمر بن الخطاب لم تستعمل الدولة أبي بن كعب أيضاً فقال
أبي بن كعب لعمر بن الخطاب: ما لك لا تستعملني؟

قال عمر: أكره أن يدنس دينك^(١).

وكان لأبي بن كعب مع عمر حوادث كثيرة منها سؤال عمر من أبي عن كيفية
تعلّم القرآن قال أبي: كان يلهمني القرآن ويلهمك الصق في الأسواق^(٢).

وكان عمر يعمل في السوق سمساراً للحمير^(٣).

ولما منع عمر الناس من الحديث استمرّ أبي في ذكر الحديث النبوي إذ قال فتى
من قريش له: أما هناك أمير المؤمنين عن الفتيا؟

قال: أرقب أنت علي؟ فوالذي نفسي بيده لو وضعت الصمصامة (سيف) على
هذه (وأشار إلى قفاه) ثم ظننت أنّي منفذ كلمة سمعتها من رسول الله ﷺ قبل أن
تجهزوا عليّ لأنفذتها^(٤).

وتنازع أبي وعمر في جداد نخل، فبكى أبي ثم قال: أفي سلطانك يا عمر؟
قال: اجعل بيني وبينك رجلاً.
قال أبي: زيد (بن ثابت).

(١) تاريخ ابن عساکر ٢٠٣/٤، صفة الصفوة ١/٢٤٦، البحار.

(٢) كنز العمال ٥٦٩/٢، المصنّف، عبدالرزاق ١٠/١٨١، تفسير القرطبي ١٤/١٢٦، الدر المنثور، السيوطي ٥/

١٨٣، فتح القدير، الشوكاني ٤/٣٦٣، تاريخ دمشق ٧/٣٣٩.

(٣) العقد الفريد ١/٦٤، شرح النهج ١٢/١٤، النهاية، ابن الأثير ٢/٨، الصراط المستقيم ٣/١٢/٢٨.

(٤) تذكرة الحفاظ، الذهبي ١٨/١.

فانطلقا، حتى دخلا عليه فتحاكما إليه. فقال بيّنتك يا أبي؟
قال: ما لي بيّنة.

قال زيد: فاعف أمير المؤمنين من اليمين.

فقال عمر: لا تُعفِ أمير المؤمنين إني رأيتها عليه^(١).

بينما ورد: كان عمر يستخلف زيد بن ثابت لما رجع إلّا أقطعه حديقه من
نخل^(٢).

أي كان عمر يحاكم أبي بن كعب في شيء قليل من النخل، ويمنع زيد بن ثابت
اليهودي الأصل هستاناً كاملاً من النخل!!

وقال ابن سعد: وكان أبي بمنّ شارك في جمع القرآن في زمن عثمان.

واستمرت علاقة أبي بن كعب سيئة مع عمر وعثمان، فقطع عثمان عنه
عطاءه^(٣). وكان عثمان يتلاعب بأرزاق الناس فيقطعها عمّن كره ويفتح بيت المال
على مصراعيه لمن أحبّ فأحدث ضجة في المجتمع الإسلامي كانت عواقبها
وخيمة. فالحكم بن أبي العاص وابنه مروان حصلا على خمس أفريقيا البالغ
١٢/٠٠٠/٠٠٠ مليون ديناراً وأبي بن كعب وابن مسعود وعمار وابن عوف وام
سلمة تُقطع أرزاقهم^(٤).

وقال أبي لعثمان: يا ابن الهاوية يا بن النار الحامية أكتب لبعض آل أبي معيط
إلى بيت مال المسلمين بصك بمخمسين ألف درهم.

(١) أخبار القضاة ١/١٠٨، ١٠٩، وتهذيب ابن عساكر ٥/٤٥، أعلام النبلاء ٢/٤٣٥.

(٢) أعلام النبلاء ٢/٤٣٤، أخبار القضاة ١/١٠٨، تهذيب ابن عساكر ٥/٤٥٥.

(٣) السيرة الحلبية ٢/٨٧.

(٤) النجوم الزاهرة، الاتابكي ١/٤٦، المواصم من القواصم، ابن عرى ٦١.

فغضب عثمان فقال: لولا أنني قد نفيتك لفعلت بك كذا وكذا.
وقد مدح رسول الله ﷺ جندب قائلاً: جندب وما جندب؟ والأقطع الخير
زيد^(١).

وجعل يعيد ذلك ليلته.

فقال له القوم: يا رسول الله، ما زال هذا قولك منذ الليلة.
قال ﷺ: رجلان من أمتي يقال لأحدهما جندب يضرب ضربة يفرق بين
الحق والباطل والآخر يقال له زيد يسبقه عضو من أعضائه إلى الجنة، ثم يتبعه
سائر جسده.

قال علي عليه السلام: أما جندب فإنه أتى بساحر عند الوليد بن عقبة وهو يريهم أنه
يسحر، فضربه بالسيف فقتله، وأما زيد فقطعت يده في بعض مشاهد المسلمين، ثم
شهدا جميعاً مع علي عليه السلام، فقتل زيد يوم الجمل مع علي عليه السلام^(٢).

وكان جندب بن كعب وجندب بن زهير من المنفيين من الكوفة إلى دمشق في
زمن خلافة عثمان.

«ولما قتل جندب بن كعب الساحر اليهودي أمر الوليد بن عقبة بقتله.
فدافع عنه رجال الأزد من قبيلته، وعندها دعا مضر فقال شبيب بن ربيعة
للوليد: لم تدعو مضر، تريد أن تستعين بمضر على قوم منعوا أخاهم منك أن تقتله
بعلج ساحر كافر من أهل السواد، لا تحببك والله مضر إلى الباطل ولا إلى ما لا
يحل!

قال الوليد: انطلقوا به إلى السجن حتى أكتب فيه إلى عثمان.

(١) هو زيد بن صوحان.

(٢) تاريخ ابن عساکر ٦/ ١٢٣.

قالوا: أما السجن فإننا لا نمنعك أن تحبسه، فلما حبس جندب أقبل ليس له عمل إلا الصلاة الليل كله وعامة النهار، فنظر إليه رجل يدعى دينار ويكنى أبا سنان، وكان صالحاً مسلماً، وكان على سجن الوليد.

فقال له: يا أبا عبدالله ما رأيت رجلاً قط خيراً منك، فاذهب رحمك الله حيث أحببت فقد أدنت لك.

قال: فإنّي أخاف عليك هذا الطاغية أن يقتلك.

قال أبو سنان: ما أسعدني إن قتلتني، انطلق أنت راشداً.

فخرج فانطلق إلى المدينة. وبعث الوليد إلى أبي سنان، فأمر به فأخرج إلى السبخة فقتل، وانطلق جندب بن كعب فلحق بالحجاز فأقام بها سنين.

ثم إن مخنفاً وجندب بن زهير قدما على عثمان فأتيا علياً فقصا عليه قصة جندب بن كعب^(١).

إذا كان جندب هو الذي تحدّث مع أبي في المدينة للدفاع عن الحقّ بوجه الظلم الحاصل وبوجه طغيان الأمويين الذين قتلوا ديناراً المسلم دون ذنب.

وعندها صمّم أبي بن كعب على الدفاع عن الحقّ والجهد في سبيل العدل وصمّم على أن يكون الموعد في صلاة الجمعة.

وفي يوم الخميس أي قبل الموعد بيوم واحد مات أبي فجأة ممّا يبيّن اغتيال الأمويين له مثلما اغتالوا أبا ذر وابن مسعود ودينار وطلحة بن عبيدالله.

ولم يطالب عثمان بن عفان الوليد بن عقبة بدماء دينار بن دينار.

والظاهر أن جندب بن كعب تفاقت مشكلته في المدينة إذ وصل إلى الحجاز

بصعوبة بالغة ثمنها مصرع دينار بن دينار لإيصال صوته إلى خليفة المسلمين، ولكن الأحوال لم تكن كما تصوّر إذ وقف عثمان بن عفان إلى جانب الوليد بن عقبة (أخيه من أمه) وأصدر أمراً بني جندب بن كعب إلى جبل الدخان لقتله الساحر اليهودي^(١).

وكان جندب بن كعب قد تكلم مع أبي بن كعب في تلك الفترة المرحجة فتأثر أبي من نفي جندب بن كعب وجندب بن زهير ومالك الأشتر وأخوانهم المؤمنين إلى الشام.

وكان من أعمال الوليد بن عقبة في الكوفة إمامته صلاة الجماعة سكرانا، وإدخاله الكفار إلى المسجد الجامع في الكوفة للسحر والشعوذة.

وبسبب قرار عثمان بن جندب إلى جبل الدخان، وإبقاء الوليد في منصبه قرّر أبي بن كعب الدفاع عن الحق في صلاة الجمعة ولقد تسببت حركة المؤمنين المعارضين شرب الخمر وعمل السحر والفساد في مصرع دينار في الكوفة وأبي في المدينة، وبقي الوليد بن عقبة اليهودي الأصل^(٢). على وضعه ووظيفته والياً للكوفة بالرغم من أفعاله القبيحة وكان قد نزل قرآن في حقه:

﴿إِذَا جَاءَ كُمْ قَاسِقٌ يُنَبِّئُ فَتَّبِعُوهُ﴾.

﴿أَفَقَدْ كَانَ مُؤْمِنًا كَتَمَنَ كَانَ قَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾^(٣).

وقال جندب: أتيت المدينة ابتغاء العلم، وإذا الناس في مسجد رسول الله ﷺ يتحدثون، فجعلت أمضي الحلقى حتى أتيت حلقة فيها رجل شاحب، عليه ثوبان

(١) تاريخ ابن عساکر ٦/ ١٢٣.

(٢) المعارف، ابن قتيبة ٣١٦.

(٣) السجدة ١٨.

كأنما قدم من سفر، فسمعته يقول: هلك أصحاب العقدة ورب الكعبة، ولا آسا عليهم، قالها ثلاث مرّات؛ قال: فجلست إليه يتحدث بما قُضي له، ثمّ قام، فلمّا قام سألت عنه، قلت: من هذا؟

قالوا: هذا أبيّ بن كعب سيد المسلمين، فتبعته حتى أتى منزله، فإذا هو ورث المنزل، ورث الكسوة يشبه بعضه بعضاً، فسلمت عليه.

فردّ عليّ السلام، ثمّ سألتني: من أنت؟

قلت: من أهل العراق.

قال: أكثر شيء سؤالا؟

قال: فلمّا قال ذلك غضبت، فجثوت على ركبتي، واستقبلت القبلة، ورفعت يديّ، فقلت: اللهمّ إنّنا نشكوهم إليك، إنّنا تنفق نفقاتنا، وتنصب أهداننا، ونرحل مطايانا ابتغاء العلم، فإذا لقيناهم تجهّمونا وقالوا: لنا.

قال: فبكى أبيّ وجعل يترصّاني، وقال: ويحك، لم أذهب هناك.

ثمّ قال: إنّني أعاهدك لأنّ أبقيتني إلى يوم الجمعة لأتكلّم بما سيُفُت من رسول الله ﷺ ولا أخاف فيه لومة لائم، ثمّ أراه قام.

فلمّا قال ذلك انصرف عنه وجعلت أنتظر الجمعة لأسمع كلامه.

قال: فلمّا كان يوم الخميس خرجت لبعض حاجاتي فإذا السكك غاصّة من الناس، لا آخذ في سكة إلّا تلقاني الناس، قلت: ما شأن الناس؟

قالوا: نحسبك غريباً.

قلت: أجل.

قالوا: مات سيد المسلمين أبيّ بن كعب^(١).

قال الواقدي: اختلف في موت أبي بن كعب، وأثبت الأقاويل عندنا أنه مات سنة ثلاثين وقال ابن سعد: سنة ثلاثين^(١).

عن عتي بن ضمرة قال: قلت لأبي بن كعب: ما شأنكم يا صحابة رسول الله ﷺ نأتىكم من الغربة نرجو عندكم الخير أن نستفيد منكم فتهاونون بنا! فقال أبي: أما والله لئن عشتُ إلى هذه الجمعة لأقولن قولاً لا أبالي استحيتموني أو قتلتموني.

قال: فلما كان يوم الجمعة من بين الأيَّام، خرجت من منزلي، فإذا أهل المدينة يؤذنون في سككها (شوارعها)، فقلت لبعضهم: ما شأن الناس؟ قالوا: وما أنت من أهل البلد؟ قلت: لا.

قال: فإن سيد المسلمين مات اليوم.

قلت: من هو؟

قال: أبي بن كعب.

فقلت في نفسي: والله ما رأيت كالיום في الستر أشدَّ مما ستر هذا الرجل^(٢).

وذكر المجلسي أيضاً قصة اغتياله وموته المفاجيء قبل خطبته في الجمعة^(٣).

وبينا قال الواقدي وابن سعد مات سنة ٣٠ هجرية^(٤)، قال صاحب الوافي بالوفيات: إنه توفِّي في سنة ٣٣ هجرية^(٥).

(١) تاريخ ابن عساکر ٤ / ٢٠٤.

(٢) تهذيب الكمال، المزي ١ / ٤٧٠.

(٣) البحار ٣١ / ٣٦٩، البحار ٢٨ / ١١٩، ١٢٠، ٣١ / ٣٦٩.

(٤) حلة الصفوة ١ / ٢٤٦، تاريخ ابن عساکر ٤ / ٢٠٤.

(٥) الوافي بالوفيات ٦ / ١٩٩.

وسنة وفاته في ٣٣ هجرية هي الأصح في نظرنا وهي سنة مجيء جندب بن كعب إلى المدينة وهي سنة تفاعل أبي بن كعب معه ورغبته في الانتقام له من عثمان. وكان الجهاز الأموي لعثمان بن عفان وعلى رأسه مروان بن الحكم حاقداً على المسلمين السابقين ومنهم أبي بن كعب وراغباً في قتلهم واشتدت هذه الرغبة مع إعلان أبي بن كعب عن تصميمه على الإعلان في يوم الجمعة وفي المسجد النبوي عن الانتقام للمنفين إلى المدينة من أمثال جندب بن جنادة.

وانتشار هذا الخبر في أوساط الصحابة والتحاق أبي بالمعارضين السياسيين للدولة دفع الدولة إلى قتله قبل ذكره للأسرار النبوية في حق عثمان وبطانته، وكانت الدولة تملك عيوناً في كل مكان تخبرها بأسرار الناس، وازدادت أعداد الجواسيس في زمن حكم الأمويين، وكان عثمان بن عفان قاسي الأخلاق يعتمد على وزيره مروان وولاته القساة معاوية والوليد بن عقبة وسعيد بن العاص وعبدالله بن عامر وعبدالله بن أبي سرح وكلهم من الطغاة الملعونين على لسان رسول الله ﷺ وجميعاً يتكلمون على المكر والمكيدة وعلى رأسها الاغتيال في خنق الأنفاس وتحديد الحريات.

وفي وسط هذا الجو المضطرب أعلن أبي بن كعب عن كلمته الخطيرة في خطبة الجمعة فخافت الحكومة من خطبته الإلهية فلم تتمكن من الوصول إلى هدفه المنشود بالإجهاز على حياته قبل يوم الجمعة!

نفي المعارضين

نفي عثمان كل من عارض حكمه ولو بعبارة مختصرة فوسع في نظرية النفي كثيراً وقد نفي الصالحين إلى خارج المدينة المنورة ووطن المنفيين بأمر رسول الله ﷺ

مثل المحكم بن أبي العاص وابنه مروان! فكان مخالفاً لأوامر سيّد الرسل ﷺ.

والذين نفاهم عثمان بن عفان من الصحابة والتابعين هم: ١- نفي صاحب النبي ﷺ حذيفة بن اليمان إلى المدائن. ونفي كعب بن عتبة بن الصامت من الشام وغرب كعباً من المدينة إلى الري غرب حمران بن أبان إلى البصرة وغرب عبد الرحمن الجمحي إلى القموس وغرب عمرو بن زرارة إلى من الكوفة إلى الشام وغرب عبد الرحمن بن حنبل إلى خيبر بعد ضربه^(١). ٢- نفي أبا ذر إلى الشام أولاً. ثم نفاه إلى الريزة ليموت فوق رمال الصحراء الحارقة^(٢). ٣- نفي مجموعة المؤمنين في الكوفة المعارضين لأعمال الوليد بن عقبة الفاجرة في شربه الخمر علناً وصلاته بالناس سكراناً وإدخاله اليهود المسجد الجامع ومن المنفيين مالك الأشتر وجندب بن جنادة^(٣). ٤- نفي أبي بن كعب الأنصاري قبل قتله^(٤).

وكان طلحة يرغب في الزواج من عائشة وعثمان يرغب في الزواج من أم سلمة^(٥). فنزل قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنكِحُوا أَرْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾^(٦).

٥- ونفي عامر بن عبد قيس من البصرة إلى الشام ونفي أبا الدرداء^(٧).

(١) الانساب ٥ / ٥٢، طبقات ابن سعد ٤ / ١٤٨، شرح النهج ١ / ٢٤٠، فتح الباري ٢ / ٢١٣، عمدة القاري ٤ /

٢٩١، تاريخ الطبري ٥ / ١٣٧، الرياض النضرة ٢ / ١٤٠.

(٢) تقريب المعارف، الحلبي ٢٣٠.

(٣) تقريب المعارف، الحلبي ٢٣٢.

(٤) تقريب المعارف، الحلبي ٢٦٢.

(٥) تقريب المعارف، الحلبي ٣٥٧.

(٦) الصراط المستقيم، العاسلي، ٣ / ٣٢.

(٧) العقد الفريد ٤ / ٢٦٧، العواصم من القواصم، ابن عربي ٦١.

الفصل الثالث:

علاقة عثمان - عائشة

العداء الدموي بين الإثنيين

بعدما اشترك عثمان في قضية اغتيال أبي بكر ونجح في هذا المجال وزور وصيته إلى عمر ساءت العلاقة بين عائشة وعثمان بل ساءت العلاقة بين عثمان من جهة وأولاد أبي بكر وأرحامه من جهة أخرى.

قال ابن سعد صاحب كتاب الطبقات: كذبوا على عائشة في كيفية مقتل أبي بكر^(١). أي انها عرفت ذلك متأخرا.

فتحوّلت الكدورة إلى عداوات حادة بين الجانبين تسببت في سقوط رؤوس وإزهاق أرواح كثيرة، وبقيت عائشة منتظرة للانتقام لأبيها، فأفتت بقتل عثمان بعد تكفيرها له.

وكان سقوط حكومة عثمان بفتوى عائشة: اقتلوا نعتلاً فقد كفر^(٢).

(١) الطبقات ٣/ ٢٠٧.

(٢) البحار ٣٣/ ١٤٣.

وفي كل صلاة جمعة في المسجد النبوي كانت عائشة تخرج قيص رسول الله ﷺ قائلة: هذا قيص رسول الله ﷺ لم يبل وعثمان أبلى شريعته^(١). وتتهم الأحداث أم المؤمنين عائشة بمحاولتها قتل ثلاثة من زعماء المسلمين: الزعيم الأول هو رسول الله ﷺ، بالاشتراك مع حفصة، فنجحت في هذا المضمار إذ جاء عن الإمام الصادق عليه السلام: فسمّ قبل الموت أنها سمّاه^(٢). فلقد سقى النبي ﷺ سمّاً بعد أمره بمحملة أسامة وأمره لأبي بكر وعمر وعثمان بالتوجه إلى الشام وإبقائه عليّاً عليه السلام في المدينة تسهيلاً لأمر بيعته. والمحاولة الثانية مع عثمان بن عفان المذنب بقتل أبيها الذي مات بالسّم مع صاحبه عتاب بن أسيد، وطيبه ابن كلفة. وازدادت الدهشة بمقتل طبيب العرب ابن كلفة الذي شخص مقتل أبي بكر وصاحبه بالسّم وعمليات القتل هذه لا تقوى عليها غير الحكومات.

ولقد قادت أم المؤمنين عائشة الثورة على عثمان بإدارة عالية، مستغلة صفتها كأُمّ للمؤمنين وغرفتها الموجودة في مسجد النبي ﷺ، ورفدت هذا بروايتها لحديث نبوي يشبه فيه رسول الله ﷺ عثمان بنعثل اليهودي^(٣). ولما اشتعلت نار الثورة على عثمان أصدرت عائشة فتوتها الشهيرة بقتله: اقتلوا نعثلاً فقد كفر^(٤).

فنجحت في عملية قتل عثمان تماماً.

(١) شرح النهج، المعتزلي ٩/٣، الإيضاح ٥١٦، الأمالي، الطوسي ٧١٤.

(٢) تفسير العياشي ١/٢٠٠، البحار ٢٢/٥١٦، ٢٨/٢١.

(٣) الفتوح، ابن أعثم ١/٦٤، نهج البلاغة ٣/٣.

(٤) الفتوح، ابن أعثم ١/٦٤.

ومما قاله عثمان في ذم عائشة: إن هذه الزعراء عدوة الله ضرب الله مثلها ومثل صاحبها حفصة في الكتاب امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين صالحين فخانتاهما.. إلى قوله وقيل: ادخلا مع الداخلين^(١).

وخفض عثمان راتبي عائشة وحفصة وكان إثني عشر ألف درهم لكل واحدة منهما.

في حين كان راتب أهل بدر ومنهم أمير المؤمنين علي عليه السلام خمسة آلاف درهم^(٢).

وكان رسول الله ﷺ يعطي الرجال أكثر مما يعطي النساء، وسأوى بين الرجال في العطاء.

وخالف ذلك أبو بكر وعمر وعثمان إذ فضل أبو بكر ابنته عائشة وحفصة على سائر النساء والرجال، وفي النساء فاطمة بنت محمد ﷺ وفي الرجال علي بن أبي طالب عليه السلام!

وفضلها عمر على سائر النساء والرجال.

ولما أراد عثمان إزالة هذه الفضيلة الظالمة ثارتا عليه وكفرتاه.

إذ سألتاه أن يعطيهما ما فرضه لهما عمر.

فقال عثمان: لا والله ما ذاك لكما عندي.

فقلنا: فآتانا ميراثنا من رسول الله ﷺ من حيطانه وكان عثمان متكئاً فجلس وكان علي بن أبي طالب عليه السلام جالساً فقال: ألسنا اللتين شهدتما عند أبي بكر ولفقتما

(١) الترمذي ١٠، كشف الغطاء، الإبريل ١٠٧.

(٢) الإمامة والسياسة، ١١، تاريخ الخلفاء، ١٠٦/٢، الاستيعاب، ابن عبد البر ٤٧١/٣، الإصابة ١/٥٦٢.

معكما أعرابياً يتطهر ببوله مالك بن الأوس بن الحدثان فشهدتما معه أن النبي ﷺ قال: نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة فمرة تشهدون أن ما تركه رسول الله صدقة ومرة تطلبون ميراثه^(١).

المحاولة الثالثة: لما بايع الناس علياً ﷺ بالخلافة أعلنت عائشة عن انتفاضتها الثانية وسعت لقيادة الحرب من مكة، وفشلها في قيادة أهل الحجاز ضد الإمام علي ﷺ فقد اختارت أهالي البصرة ليكونوا جندها.

وتمكنت عائشة من تجنيد جيش جرار يمكنه القضاء على دولة قوية؛ لكنها فشلت في سعيها لقتل علي ﷺ بعدما نجحت في قتل رسول الله ﷺ، ولولا النصر الإلهي لجيش أمير المؤمنين علي ﷺ لانتصرت عائشة بمجيشها الأكثر عدداً، ولأصبحت أول امرأة رئيسة في العالم الإسلامي، خلافاً لقول خاتم الأنبياء: لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة^(٢).

ولما سار الخوارج على نفس المنهج في الرغبة في قتل علي ﷺ وأفلحوا في ذلك اعتبرت عائشة ذلك انتصاراً لنظريتها ففرحت وأظهرت سروراً بذلك، على أنه طاعة لأمرها، ومدحت قاتل علي ﷺ عبدالرحمن بن ملجم، فأسمت خادمها عبدالرحمن.

قائلة: فألقت عصاها واستقر بها النوى - كما قرّ عيناً بالإتياب المسافر^(٣).

احتجاج عائشة

وذكر الطبري في تاريخه والتقي في تاريخه: جاءت عائشة إلى عثمان، فقالت:

(١) الإيضاح، ابن شاذان ٢٥٨، الأمالي، المفيد ٦٧.

(٢) المغني، ابن قدامة ٣٨١/١١، كز العمال ٧٩/٦، البحر الرخا ١١٨/٦، الخلاف، الطوسي ٢١٣/٦.

(٣) مقاتل الطالبين، أبو الفرج الإصطهاني ٣٦، الجمل، المدني ٢٦، تاريخ الطبري ٥/١٥٠ ط ١، ج ٣٤٦٦.

أعطني ما كان يعطيني أبي وعمر.

قال: لا أجد له موضعاً في الكتاب ولا في السنة، ولكن كان أبوك وعمر يعطيانك عن طيبة أنفسهما وأنا لا أفعل.

قالت: فأعطني ميراثي من رسول الله ﷺ.

قال: أولم تحبي فاطمة ؓ تطلب ميراثها من رسول الله ﷺ فشهدت أنت ومالك بن أوس البصري أن النبي ﷺ لا يورث، وأبطلت حق فاطمة ؓ!! لا أفعل^(١).

وزاد الطبري قائلًا: وكان عثمان متكئاً، فاستوى جالساً وقال: ستعلم فاطمة أي ابن عم لها مني اليوم، ألس وأعرابي يتوضأ ببوله شهدت عند أبيك^(٢)

وقال الطبري والثقيفي: في تاريخهما: فكان إذا خرج عثمان إلى الصلاة أخرجت قبيص رسول الله ﷺ وتنادي: إنه قد خالف صاحب هذا القميص^(٣).

وزاد الطبري يقول: هذا قبيص رسول الله ﷺ لم يبيل وقد غير عثمان سنته، اقتلوا نعثلاً قتل الله نعثلاً^(٤).

وذكر الثقيفي في تاريخه، عن موسى التلعكبري^(٥)، عن عمه قال: دخلتُ مسجد المدينة فإذا الناس مجتمعون، وإذا كفت مرتفعة وصاحب الكف يقول: يا أيها الناس العهد حديث، هاتان نعل رسول الله ﷺ وقبيصه، إن فيكم فرعون أو مثله، فإذا هي عائشة تعني عثمان، وهو يقول: اسكتوا، إنما هذه امرأة رأيها رأي المرأة وعقلها

(١) تقريب المعارف، المحلي ٢٨٦.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

(٥) في البحار: «التلعكبري».

عقل المرأة^(١).

وذكر في تاريخه أيضاً قوله: رَفَعْتُ عائشة ورقات من ورق المصحف بين عودين من وراء حجابها وعثمان على المنبر، فقالت: يا عثمان أقم ما في كتاب الله، إن تُصَاحِبَ تُصَاحِبَ غادراً وإن تُفَارِقَ تُفَارِقَ عن قِلي.

فقال عثمان أما والله لتنتهين أو لأدخلنَّ عليكِ حمران الرجال وسودانها. قالت عائشة: أما والله إن فعلت لقد لعنك رسول الله ﷺ، ثم ما استغفر لك حتى مات^(٢).

وذكر أيضاً: أخرجت عائشة قيص رسول الله ﷺ، فقال لها عثمان: لئن لم تسكتي لأملأتها عليكِ حُبشانا.

قالت: يا غادر يا فاجر أخربت أمانتك ومزقت كتاب الله، ثم قالت: والله ما اتعمنه رجل قط إلا خانته، ولا صحبه رجل قط إلا فارقه عن قِلي.

ونظرت عائشة إلى عثمان فقالت: ﴿يَقْدِمُ قَوْمُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَيَنْفَسُ الْوَرْدَ الْمَوْرُودَ﴾^(٣). فالآية نازلة في حق عثمان.

وذكر فيه، عن عكرمة: أن عثمان صعد المنبر، فأطلعت عائشة ومعه قيص رسول الله ﷺ، ثم قالت: يا عثمان أشهد أنك بريء من صاحب هذا القميص.

فقال عثمان: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية^(٤).

وأخرجت عائشة مرة قيص رسول الله ﷺ وشعره وقالت: هذا قميصه

(١) المصدر السابق.

(٢) تقريب المعارف، الحلبي ٢٨٧.

(٣) المصدر السابق.

(٤) التحريم ٦٦، ١٠.

وشعره لم يبلّيا وقد بلى دينه^(١).

عن أبي عامر مولى ثابت قال: كنت في المسجد فرّ عثمان.

فنادته عائشة: يا غادر يا فاجر أخربت أمانتك وضيعت رعيّتك، ولولا الصلوات الخمس لمشي إهلك رجال حتى يذبحوك ذبح الشاة.

فقال لها عثمان: ﴿امْرَأَةُ نُوحٍ وَامْرَأَةُ لُوطٍ﴾^(٢).

ومرّة صعد عثمان المنبر، فنادت عائشة ورفعت القميص فقالت: لقد خالفت صاحب هذا.

فقال عثمان: إنّ هذه الزعراء عدوّ الله، ضرب الله مثلها ومثل صاحبها حفصة في الكتاب: ﴿امْرَأَةُ نُوحٍ وَامْرَأَةُ لُوطٍ﴾^(٣).

فقالت له: يا نعلن يا عدوّ الله إنّما سمّك رسول الله ﷺ باسم نعلن اليهودي الذي باليمن، ولا عنته ولا عنها^(٤).

هذه السيرة التي ذكرناها لرموز من الصحابة في تلك الأيام تبين عدم تعبدهم بالنصوص الشرعية وترجيحهم الزعامة والجاه والمال عليها، وهي أعظم فتنة سقط فيها اليهود والنصارى والمسلمون. وكان رسول الله ﷺ قد قال أقبلت الفتن. وقال ﷺ: لتحدون حدو اليهود والنصارى حدو النعل بالنعل وحدو القذة بالقذة فلو دخلوا جحر ضب دخلتموه^(٥).

(١) تاريخ الدول، أحمد بن يوسف الدمشقي، القرطبي، ٩١.

(٢) المصدر السابق، التحريم ٦٦: ١٠.

(٣) التحريم ٦٦: ١٠.

(٤) تاريخ الدول، أحمد بن يوسف الدمشقي، ٩١.

(٥) بتابع المودة، القندوزي ٢٨٣/ ٣، المستدرک، الحاكم ١٤٠/ ٣، النهاية، ابن الأثير ١/ ٣٤٤، لسان العرب ١٤/ ١٤.

قتلته غافلة عن كونها زعيمة من شارك في قتله!

فأفتت مرتين دون حق وبلا صلاحية للفتوى مرة بقتل عثمان ومرة بقتل قاتليه، في المرة الأولى نجحت في تحريك الناس لقتله فقتلوه^(١).

ومرة بقتل قاتليه فقتلت عشرين ألف مسلم في معركة الجمل^(٢).

وكتب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام رسالة إلى طلحة والزبير وعائشة قبل معركة الجمل جاء فيها:

وَأَنْتِ يَا عَائِشَةُ فَإِنَّكِ خَرَجْتَ مِنْ بَيْتِكَ عَاصِيَةً لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ تَطْلِبِينَ أَمْرًا كَانَ عَنْكَ مَوْضُوعًا ثُمَّ تَزْعُمِينَ أَنَّكَ تَرِيدِينَ الْإِصْلَاحَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فَخَبَّرَنِي مَا لِلنِّسَاءِ وَقُودَ الْجِيُوشِ وَالْبُرُوزَ لِلرِّجَالِ وَالْوُقُوعَ بَيْنَ أَهْلِ الْقِبْلَةِ وَسَفْكَ الدِّمَاءِ الْحَرَمَةِ؟ ثُمَّ إِنَّكِ طَلَبْتَ عَلَى زَعْمِكَ دَمَ عُمَانَ وَمَا أَنْتِ وَذَلِكَ؟ عُمَانُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ وَأَنْتِ مِنْ تَيْمٍ، ثُمَّ بِالْأَمْسِ تَقُولِينَ فِي مَلَأَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: اقْتُلُوا نَعْتَلًا قَتَلَهُ اللَّهُ فَقَدْ كَفَرَ، ثُمَّ تَطْلِبِينَ الْيَوْمَ بَدْمَهُ! فَاتَّقِي اللَّهَ وَارْجِعِي إِلَى بَيْتِكَ وَالسَّلَامَ^(٣).

وكان طلحة بن عبيدالله قد أعلن عن رغبته بالزواج من عائشة بعد شهادة النبي ﷺ، وأعلنت عائشة عن رغبتها في إيصال طلحة بن عبيدالله التيمي إلى الحكم بعد عثمان وفرحت باستلامه مفاتيح بيت المال وواصلت الرحيل من مكة إلى المدينة لتشارك في تنصيب طلحة خليفة وقالت: إيه ذا الإصبع^(٤).

وفي أثناء سفرها من مكة إلى المدينة كانت مستمرة في برنامجها في بيان مثالب

(١) الفتوح، ابن أعمش ٦٤ / ١.

(٢) جواهر المطالب، ابن الدمشقي ٢٢ / ٢.

(٣) القدير ٨١ / ٩.

(٤) شرح النهج ٢١٥ / ٦، أنساب الأشراف ٢١٧.

عثمان وتوجيه فتواها بقتله وإهدار دمه.

وقبل وصولها المدينة المنورة التقت بمسافر قادم من المدينة وهو عبد ابن أمّ كلاب، فأخبرها بفشل طلحة في أطروحته وانتخاب الناس لعلي بن أبي طالب عليه السلام ففضبت لطلحة، وجزعت من الحياة وقالت ردّوني إلى مكة قُتِلَ والله عثمان مظلوماً والله لأطلبنّ بدمه أ فقال لها ابن أمّ كلاب: ولم فوالله إنّ أوّل من أمال حرقه لأنّ، وقد كنتِ تقولين: اقتلوا نعثلاً فقد كفر.

قالت: إنهم استتابوه ثمّ قتلوه وقد قلت وقالوا، وقولي الأخير خير من قولي الأوّل فقال لها ابن أمّ كلاب:

فمنك البداء ومنك الغير	ومنك الرياح ومنك المطر
وأنتِ أمرتِ بقتل الإمام	وقلت لنا: إنّهُ قد كفر
فهنا أطلعناك في قتله	وقاتله عندنا من أمر
ولم يسقط السقف من فوقنا	ولم تنكسف شمسنا والقمر
بأبع الناس ذا تدر	يزيد الشبا ويقيم الصعر
ويلبس للحرب أثوابها	وما من وفي مثل من غدر

فأعلنت في الكعبة: يا أيّها الناس إنّ عثمان قُتِلَ مظلوماً والله لأطلبنّ بدمه ^(١).

وقالت لها أمّ سلمة: أبدى عثمان تطلّبين فوالله إنّ كنتِ لأشدّ الناس عليه وما كنتِ تدعيه إلا نعثلاً أم علي بن أبي طالب تنقمين وقد ببايعه المهاجرون والأنصار وقال رسول الله ﷺ لك فيه:

والله لا يبغضه أحد من أهل بيتي وغيرهم إلا خرج من الإيمان وإنّه مع الحقّ

والحقّ معه تذكّرين هذا؟

قالت عائشة: نعم^(١).

لذا من سبر غور القرشيين، وعرف أساليب المكّيين، ودرس أحوال الجاهليين يدرك مرتبة المكر والاحتيال التي كان عليها زعماء الحزب القرشي أبو سفيان ومعاوية وابن العاص وعبدالله بن أبي ربيعة والحكم بن أبي العاص وابنه مروان وأبو بكر وعمر وعثمان وعائشة وطلحة وابن الجراح وابن عوف. ولشدة دهائهم في هذا المجال فقد قتل بعضهم البعض الآخر، واقتن المسلمون بمشاريعهم وأهدافهم.

ولولا انقسام الحزب القرشي على نفسه في أيام عثمان، ومجيء أبطال الكوفة والبصرة وأفريقيا إلى المدينة ما وصل وصي المصطفى ﷺ إلى الخلافة. وكانت عائشة بدرجة من المكر والدهاء أن خاف معاوية على نفسه وولده يزيد منها فألحقها موتاً بأبيها.

وكانت عرب الجاهلية تأنف من قتل النساء وضربهن فما الذي حدّى بمعاوية إلى قتل عائشة بنت أبي بكر! وما تجرّع رسول الله ﷺ من هؤلاء لا تصفه الأقلام وتعجز عن ذكره الألسن.

وقالت أمّ سلمة لها: قال لك رسول الله ﷺ وضرب على ظهركِ: أترين يا حميراء إنّ لأمتي منك يوماً مُراً.

وستنبحك كلابُ الحوَاب، وتكونين ناكبة عن الصراط^(٢).

(١) المعيار والموازنة، الإسكافي ٢٨.

(٢) المعيار والموازنة، الإسكافي ٢٨.

وقالت أم سلمة لعائشة أتذكرين قول رسول الله ﷺ لك ولأبيك وعمر حينما سألاه عن خليفته في أمته فقال: خاصف النعل، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه جالس في بيته يخصف نعل رسول الله ﷺ.

قالت عائشة: نعم^(١).

وسار عمرو بن العاص الداهية على منهج عائشة في الفتنة إذ ادعى أولاً افتخاره بقتله لعثمان.

ولما قُتل عثمان وأعطاه معاوية مصر طعمة له ولأهله طالب بدم عثمان! فقال في فتنته في صفين:

يا أيها الجند الصليب الإيمان قوموا قياماً واستعينوا الرحمن
إنني أتاني خبر فأشجان أن علياً قتل ابن عفان
ردوا علينا شيخنا كما كان

فقال أهل العراق:

أبت سيوف مدحج وهمدان بأن ترده نعثلاً كما كان
خلقاً جديداً مثل خلق الرحمن ذلك شأن قد مضى وذا شأن^(٢)

اغتيال أم المؤمنين عائشة سنة ٥٨ هـ

السؤال المفروض هنا: هل قتل معاوية لعائشة له علاقة بقتل عائشة لعثمان؟ في زيارة معاوية للمدينة لأخذ البيعة لابنه يزيد عارضه الكثير من الصحابة لفسق يزيد وجهله، وعندها قرّر معاوية الانتقام منهم وبالأخص من قتلة عثمان

(١) المعيار والموازنة ٢٩.

(٢) وقعت صفين، المنقري ٢٢٨.

بن عفان فأمر بقتل عبدالرحمن بن أبي بكر وأخته عائشة بنت أبي بكر. وقد قُتِلَ
الإثنين غيلة.

إذ قُتِلَ معاوية عبدالرحمن بالسم كما قتل عثمان أبا بكر بالسم سابقاً!
ودفنه حياً^(١).

وقتل معاوية عائشة بحفر بئر لها، وغطى فتحة ذلك البئر عن الأنظار^(٢).
وأرسل إلى عائشة لتأتيه! ولما جاءته سقطت في ذلك البئر.

لماذا ترك عثمان عائشة وقتلها معاوية

لقد بين سيد الرسل ﷺ إقدام الصحابة من بعده على قتل بعضهم البعض
كاليهود^(٣).

وقاد هذه الاغتيالات رجال الحزب القرشي وعلى رأسهم أبو بكر وعمر
وعثمان.

فقام عثمان مع عمر باغتيال من يقف في طريق وصوله إلى السلطة وعلى
رأسهم أبو بكر ثم أبو عبيدة بن الجراح.

ولما وصل عثمان إلى السلطة كانت أسرة أبي بكر ناقة عليه ومترقة لفرصة
الإجهاز عليه.

ومن عادة رجال الاغتيال قتل أولاد وأتباع ضحاياهم لمنع حالات الانتقام
المحتملة من قبلهم.

(١) البداية والنهاية، ابن كثير ١٢٣/٨، المستدرك، الحاكم ٤٧٦/٣.

(٢) كتاب حبيب السير، غياث الدين بن همام الدين الحسيني ص ٤٢٥.

(٣) البحار ١٨٠/٩، ١٨٢/٥٢، سنن ابن ماجه ١٣٠٩/٢، سنن أبي داود ٤٣٩/١.

فهل أخطأ عثمان في عدم قتله لعائشة وعبدالرحمن ومحمد أولاد أبي بكر وطلحة ابن عمّه في بداية وصوله للسلطة؟
فعمّاشة أفتت بقتله والبقية قتلوه.

وإقدام معاوية على قتل عائشة ومحمد وعبدالرحمن هيّا الأرضية لحكومة يزيد.

فهل أدرك معاوية خطأ عثمان في هذا الجانب وغفلته عنه أم أنّه حدث صدفة؟
إنّ إقدام مروان على قتل طلحة وإسراع معاوية إلى قتل محمد وعائشة وعبدالرحمن يبيّن إدراك الأمويين لمخطئهم في قتل أبي بكر وإبقاء عائلته، لذا قتل معاوية عبدالرحمن بن أبي بكر وترك عبدالله بن الزبير!

فرغم المكر الواضح في حركات وسكنات عبدالله بن الزبير اهتمّ معاوية بعائلة أبي بكر خوفاً من عائشة وعبدالرحمن.

فلقد خاف معاوية من فتوى ثانية من عائشة في قتل يزيد هذه المرة وإقدام عبدالرحمن على إطاعتها في هذا المجال.

وكانت عائشة قد ثارت على معاوية لقتله أخيها عبدالرحمن وتخاصمت علناً مع مروان بن الحكم والي معاوية على المدينة فألحقها معاوية بأخويها عبدالرحمن ومحمد في سنة ٥٨ هجرية.

وكانت العداوة بينها وبين بني أميّة قد بلغت ذروتها. لكنّهم أضعفوها بقتلهم لأخويها محمد وعبدالرحمن واغتيالهم لابن عمّها طلحة.

فقال ابن كثير في البداية والنهاية إنّ عائشة وعبدالرحمن بن أبي بكر ماتا في

سنة واحدة^(١).

وماتت عائشة وعمرها ٦٧ سنة^(٢).

وقال صاحب المصالت: كان (معاوية) على المنبر يأخذ البيعة ليزيد (في المدينة) فقالت عائشة: هل استدعى الشيوخ لبيهم البيعة^(٣)؟ قال: لا.

قالت: فبمن تقتدي؟

فخجل، وهياً لها حفرة فوقعت فيها وماتت^(٤).

فقال عبدالله بن الزبير يعرض بمعاوية:

لقد ذهب الحمار بأنم عمرو فلا رجعت ولا رجع الحمار^(٥)

وللتنظية على اغتيالها أشاع الأمويون بأنها أمرت أن تُدفن ليلاً^(٦)!

فدفنوها ليلاً، والدفن ليلاً مكروه في الشريعة الإسلامية لكن رجال الحزب القرشي دفنوا الكثير ليلاً وعلى رأسهم أبي بكر، وكان معاوية عارفاً بأهداف عائشة وغاياتها في إرجاع الحكم من بني أمية إلى بني تيم لذا قتلها وقتل أخيها عبدالرحمن، ولولا ذلك لقادت عائشة حركة كبيرة لصالح أخيها عبدالرحمن بعد موت معاوية.

وقتلوا الأمويون كل شخص شارك في إراقة دماء عثمان فقتلوا محمداً

(١) البداية والنهاية، ابن كثير ٩٦ / ٨ طبعة دار إحياء التراث العربي.

(٢) المصدر السابق ١٠١ / ٨.

(٣) أي هل أوصى أبو بكر وعمر لأبنائهم.

(٤) الصراط المستقيم ٣ / باب ١٢ / ٤٥

(٥) الصراط المستقيم ٣ / باب ١٢ / ٤٦

(٦) تهذيب الكمال ٣٥ / ٢٣٥، الطبقات الكبرى ٧٧ / ٨.

وعبدالرحمن ابني أبي بكر وأزهقوا روح طلحة بن عبيدالله، وبقيت عائشة.
فختم معاوية حياته السياسية بقطع أنفاسها تشفيماً وانتقاماً لعثمان.

ردع معاوية الناس من البكاء على عائشة

وكان حقد الأمويين على عائشة كبيراً؛ لأنها صاحبة فتوى إهدار دم عثمان
فتمنوا البكاء عليها.
قال ابن خلكان:

«ماتت في خلافة معاوية سنة ثمان وخمسين ولها سبع وستون سنة ودفنت
بالبعيق، ولما مات بكى عليها ابن عمر، فبلغ ذلك معاوية (الموجود يومها في
المدينة) فقال له: أتبكي على امرأة؟

فقال: إنما يبكي على أم المؤمنين بنوها، وأما من ليس لها باين فلا»^(١).

نلاحظ في هذا الحديث الدائر بين معاوية وبين ابن عمر بينهما: تهكم معاوية
من بكاء ابن عمر عليها، وإجابة عبدالله بن عمر القوية.
وجواب عبدالله بن عمر يستشف منه اتهاماً منه لمعاوية بالخروج عن الدين
لقتله عائشة أم المؤمنين.

ونظرية معاوية هي ذات نظرية معلمه عمر بن الخطاب في جواز البكاء على
الموتى ومنع البكاء على المخالفين لها.

دفن عائشة ليلاً

ودفنت عائشة ليلاً^(٢) دون تشييع جماهيري مثلما دفن أبوها ليلاً^(٣) ودون

(١) وفات ابن خلكان ١٦/٣.

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٧٧/٨ طبعة دار صادر - بيروت.

(٣) الطبقات الكبرى ٢٠٧/٣.

تشجيع جماهيري.

وهذه فاجعة لعائلة أبي بكر أن لا يتم تشجيع جماهيري لكل أفراد عائلة أبي بكر! إذ دفنوا أبا بكر وعائشة ليلاً.

وأحرقوا جثة محمد بن أبي بكر^(١).

ودفنوا عبدالرحمن بن أبي بكر حياً^(٢).

وقتلوا طلحة بن عبدالله في وسط أرض المعركة غدرًا^(٣).

وبع هذا القدر والقتل مجده الأمويون أبا بكر بعد مماته حقداً منهم لأمر

المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام مما يبين كراهيتهم لأبي بكر وعلي عليه السلام لكنهم يلعبون على حبال السياسة والدين! وتغطية لعملهم الشنيع بقتل أبي بكر وأفراد عائلته.

(١) مختصر تاريخ دمشق، ترجمة محمد بن أبي بكر.

(٢) المستدرك، الحاكم ٤٧٦ / ٣.

(٣) المعارف ابن قتيبة ص ٢٢٩.

الفصل الرابع:

طمس معالم الثورة

طمس الثورة الإسلامية ضياع لثراث المسلمين

السؤال الأول هنا: هل شارك الإمام علي عليه السلام في الثورة الإسلامية الكبرى؟

الجواب في هذا الباب.

قال الله تعالى في محكم كتابه الشريف:

﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾^(١).

فالوليد الفاسق أخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين أخباراً زائفة عن كفر القبيلة

العربية التي بُعث إليها (بني المصطلق) فنزلت فيه هذه الآية، فالفسق ينطبق على كل

شخص يكفر المسلمين ويشوه صورتهم وحقيقتهم^(٢).

وفي زمن عثمان بن عفان حدثت أعظم ثورة إسلامية في تاريخ المسلمين شارك

فيها المهاجرون والأنصار ومسلمو الكوفة والبصرة ومصر.

(١) المجمرات: ٦.

(٢) تاريخ الحقوقي ٢ / ٤٠، مجمع البیان، الطبرسي ٩ / ١٣٢.

وهي أول ثورة إسلامية عارمة يشارك فيها الرجال والنساء والعجزة والصبيان فهي ثورة الدين والحبز وانتفاضة الحق والعدل. ساهم فيها أولاد الرؤساء وإخوانهم ورجال بدر وأحد وحنين. فمن أراد تصويب رأي عثمان وتخطئة الأمة الإسلامية فليترث وعليه أن يعلم أن رأيه مخالف لإجماع المسلمين وحقوق المؤمنين ونواميس السماء وعدالة البشرية، وجاء في القول: الساكت عن الحق شيطان أخرس.

ومن علامات المنافقين عند خاتم الأنبياء ﷺ الكذب فكانوا يعرفون المنافق بافترائه وخيائته العهد وخيانة الأمانة، فمن أراد الحشر مع المنافقين في أسفل الجحيم فليدخل في جملتهم وليكتب أرجافات الملوك وارهاسات وعَظَاهم وتخَرَصَات كتابهم.

لقد شارك معظم أهالي العاصمة الإسلامية في الثورة على عثمان: فمن الجماعة المحسوبة على النظام شارك في الثورة عائشة بنت أبي بكر وحفصة.

وشارك في الثورة على عثمان ونظامه الفاسد رجال مجلس الشورى وهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ؑ وعبدالرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيدالله والزبير بن العوام. وشارك في الثورة محمد بن أبي بكر وعبدالرحمن بن أبي بكر. وعبدالله بن عمر وعبدالله بن عباس وأم سلمة.

وساهم في تلك الثورة الإسلامية العظمى الصحابة الأوائل المقداد بن عمرو وأبو ذر الغفاري وعمار بن ياسر وعبدالله بن مسعود ومحمد بن أبي حذيفة الأموي.

وساهم فيها الولاة السابقون مثل عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وأنس بن مالك. وشارك فيها زعماء الأنصار قيس بن سعد بن عبادة وسهل بن حنيف

وعثمان بن حنيف وجابر بن عبدالله الأنصاري ورفاعة بن رافع أبو معاذ الأنصاري والحجاج بن غزية الأنصاري القاتل: والله لو لم يبق من عمر عثمان إلا بين الظهر والعصر لتقرّبنا إلى الله بدمه.

ومنهم أبو أيوب الأنصاري البدري الذي خطب مشيداً بالإمام علي عليه السلام وذاتاً لمن سبقه. وانظّم إلى الثوار زعيم الكوفة مالك الأشتر، فلم يبق من جموع أهل المدينة المنورة إلا كعب بن مالك وحكيم بن حزام وزيد بن ثابت وعبدالله بن سلام اليهودي^(١).

نمّا يعني مساهمة شعبية في الثورة تساوي أكثر من ٩٩ بالمائة من جموع المسلمين وهي نسبة عظيمة في مساهمة الناس في الثورات العالمية.

فهل يعقل تكفير الأنصار والمهاجرين وباقي المسلمين لإتقاد عثمان من أعماله وأفعاله. وإذا كفرنا هذه السيول البشرية وهذه الجموع الجباهيرية وهي الأئمة الحاملة للإسلام والسابقة إليه والمشاركة في الحروب الحاسمة وبسعة العقبة والرضوان والغدير فهل يبقى للإسلام منزلة؟

لقد أراد معاوية تشويه الدين وإسقاط القيم وتحطيم التراث المحمّدي بتكفيره أهالي المدينة وتجسّد دوره في هجوم جيش ابنه يزيد على المدينة وقتله للصحابه وأطفالهم وسرقته ممتلكاتهم وإحراقه الكعبة وقتله الإمام الحسين عليه السلام.

وشوّه معاوية تراث الثورة وقتل الأمويون رجالها من أمثال طلحة بن عبيدالله ومحمّد بن أبي بكر، ومحمّد بن أبي حذيفة وعمار بن ياسر ومالك الأشتر وعائشة بنت أبي بكر وعبدالرحمن بن أبي بكر وحجر بن عدي الكندي وأصحابه

(١) شرح النهج ١/ ٢٣٩، الإمامة والسياسة ١/ ٢٩، العقد الفرید ٢/ ٢٧٢.

وعمر بن الحمق الخزاعي، وعبدالله بن مسعود وأبي ذر الغفاري.

وبذل ملوك الدولة الأموية الأموال الطائلة في سبيل إثبات خطأ الثوار وفسقهم ومظلومية عثمان بن عفان. وسار المؤرخون المنحرفون على هذا النهج الباطل العقيم من أمثال الذهبي وابن كثير. فبرّروا مقتل أبي ذر وعبدالله بن مسعود وبرّروا استحواذ عثمان على أموال المسلمين بحجج واهية لا أساس لها قائمة على الكذب والبهتان.

إنّ ترجيح كفة عثمان على كفة المسلمين نابع من الزيغ والكفر إذ أفقّ بانحرافه عبدالرحمن بن عوف الذي عيّنه خليفة قائلاً: إنه خان ما تعهد به في السير على سنّة النبي ﷺ ومنهج الشيخين.

وأقتت عائشة بتبديله دين المصطفى ﷺ واستحقاقه للقتل قائلة: اقتلوا نعتلاً فقد كفر^(١).

وقتل عثمان أبا ذر الغفاري وعبدالله بن مسعود والمقداد بن عمرو وعبدالرحمن بن عوف والقصاص الإسلامي يحكم عليه بالموت. ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٢).

وهؤلاء المقتولون بيده أسبق منه في الإسلام وأكثر تضحية للدين بمشاركتهم في حروب المسلمين وفراره منها ومبايعتهم في الرضوان وانضمامه عنها. وقد وصف النبي ﷺ أبا ذر قائلاً: ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء، أصدق لهجة من أبي

(١) الفتوح، ابن أعمش ١ / ٦٤، نهج البلاغة ٣ / ٣، الإيضاح، ابن شاذان ٢٥٧، الجمل، المدني ٢٤، شرح النهج ٦ /

٢٦٥، البحار ٢١ / ٢٩٦.

(٢) البقرة: ١٧٩.

(١) ذر.

بينما نقلت عائشة وحفصة قول النبي ﷺ في عثمان: إنه نعل اليهودي^(٢). وبينما شوّه المرتزقة والمنافقون أحداث الثورة ورجالها ذكر المخلصون الأسباب الحقيقية لها ورجالها ورموزها وأخطاء عثمان القاتلة في الجوانب السياسية والدينية والمالية.

وذكروا مناقب عثمان المزيّقة في العهد الأموي وبينوا الأقوال الأموية في تشويه الحديث والسيرة. فاعترفوا بانحراف عثمان عن سيرة المصطفى ﷺ وشريعة الرحمن سبحانه وتعالى واغتصابه أموال المسلمين لصالح بني أمية، وخيائته لليهود وبالأخصّ عهده للوفد المصري ثمّ محاولته قتلهم ونقض عقده معهم^(٣).

وعثمان متخصص في نقض العهود وتزوير الكتب على لسان الناس فأراد الله سبحانه وتعالى فضحه على أعين الناس جميعاً.

فهو الذي قتل أبا بكر وزور وصيته لعمر، ولما سأله لما ذالم يكتب أبو بكر وصيته بخطّ يده احتار في الإجابة ثمّ قال: لأنه أغمي عليه فكتبتها أنا! ولما أفاق أيدها.

وهذا كلام لا يعقله العقلاء؛ لأنّ الوصية تحتاج إلى شاهدين إذ جمع رسول الله ﷺ الناس في بيته للوصية إلى الإمام علي عليه السلام ورغم كونه نبياً ويقظاً قال عنه

(١) تذكرة الحفاظ، الذهبي ١/ ١٨، المستدرک، الحاكم ٣/ ٣٤٢، ٣٤٤، كنز العمال، ٨/ ١٥، مجمع الزوائد ٩/ ٣٣٠، الإصابة ٤/ ٦٣.

(٢) الإيضاح، ابن شاذان ٢٦٢، الصراط المستقيم ١/ ١٨، الجمل، المدني ١٩.

(٣) البحار ٣١/ ١٦١، شرح النهج ٢/ ١٤٩، ٣/ ٢٣، تاريخ المدينة، ابن شبة ٤/ ١٥١، نهاية الأرب ١٩/ ٥٠٩، العواصم من القواصم ١٢٧، تاريخ الخميس ٢/ ٢٦١، تاريخ الطبري ٣/ ٤٠٦، تاريخ ابن خلدون ٢/ ١٤٧، الاستغاثة، الكوفي ١/ ٦٢، الجمل، المفيد ٧١.

أبو بكر وعمر وعثمان هجر^(١).

فكيف لم يهجر أبو بكر المغمى عليه؟ وكيف نصدق عثمان في ادعائه الواهي في وصية أبي بكر؟ وتعهد الله تعالى في بيان الحقائق في العالم فلم يسمح لعثمان في تزوير حادثة ثانية في حق محمد بن أبي بكر. إذ اجتمع الناس في المسجد النبوي وتعهد لهم عثمان بضمانه أمير المؤمنين علي عليه السلام:

١ - خلع عبدالله بن أبي سرح عن ولاية مصر وأفريقيا.

٢ - تكون الولاية في مصر وأفريقيا لمحمد بن أبي بكر.

فوقع عثمان الكتاب وشهد الإمام علي عليه السلام والمؤمنون.

وكان المسلمون قد ضجروا خيانات عثمان المتكررة وأقواله التي لا يحترمها وعهوده التي لا يلتزم بها، فكان ذلك العهد الخطي الشاهد الأخير على صدق أو كذب عثمان.

وبقي المسلمون ينتظرون النتيجة هل تتأكد اعتقادات الناس في سير عثمان على نظرية التزوير والاختلاق. أم يخالف عثمان نظريته السابقة ويعطي صورة جديدة لنفسه عند المسلمين.

وما أن مضت عدة أيام حتى تأكدت الصورة القديمة عند الصحابة وجزمت الأئمة بغش عثمان والأمويين.

إذ أرسل عثمان غلامه الأسود إلى وإلى مصر عبدالله بن أبي سرح على فرسه وأعطاه رسالته السرية إليه القاضية بإبطال عهد عثمان إلى محمد بن أبي بكر بولاية مصر والاحتياط في قتله وأفراد الوفد المصري.

(١) صحيح البخاري ١١٨/٢، مسند أحمد ٣٥٥/١، صحيح مسلم ٢٣٢/١، الطبقات ٢٤٣/٢، ٢٤٤.

ووضع عثمان رسالته المذكورة في أنبوبة الماء كي لا يعثر عليها أعداء الحكومة، وطلب منه عثمان السير إلى مصر مسرعاً والابتعاد عن الطريق العام كي لا يلتقي بالوفد المصري. لكن رجال الوفد المصري العائد إلى مصر شاهدوا عن بعد فارساً مسرعاً طالباً أو مطلوباً متوجّهاً إلى مصر فشكّوا في أمره فطاردوه ومسكوه. فسألوه عن أمره واسمه فكذب عليهم ولم تقنعهم إجابته فاجتمعوا عليه للتيقن من قضيتهم فعرفه بعضهم أنّه غلام عثمان وعرفوا ناقة عثمان.

ففتشوه فعثروا على رسالة عثمان السريّة إلى والي مصر عبدالله بن أبي سرح القاضية ببقائه في السلطة والاحتياط في قتل رجال الوفد المصري.

فختم الوفد المصري الرسالة وختمها بعض الحجاج المصريين وعادوا إلى المدينة، فجمعوا الناس بحضور الإمام علي عليه السلام وفتحوا الرسالة. فانكشف وجه عثمان الحقيقي للحاضرين فلم يشكّك الناس في وجوب عزل عثمان أو قتله. ولمّا امتنع عثمان عن الاستقالة أجبروا على قتله، ولو استقال، لكان أفضل له وللأمة؛ لكنّه حرص على السلطة حرصاً أصبح معه الموت أمراً سهلاً عنده^(١).

السياسة الإسلامية والسياسة العلمانية

هناك نوعان من السياسة الأولى السياسة الإسلامية القائمة على الصدق والأمانة والوفاء بالعهود والوعود والثانية السياسة العلمانية القائمة على الكذب والخيانة وتقض اليهود فكان رسول الله ﷺ وعلي عليه السلام مصداقان للسياسة الأولى

(١) البحار ٣١ / ١٦١، شرح النهج ٢ / ١٤٩، ٢٣ / ٣، تاريخ المدينة، ابن شبة ٤ / ١٥١، نهاية الإرب ١٩ / ٥٠٩، المواسم من القواصم ١٢٧، تاريخ الخميس ٢ / ٢٦١، تاريخ الطبري ٣ / ٤٠٦، تاريخ ابن خلدون ٢ / ١٤٧، الاستغاثة، الكوفي ١ / ٦٢، المجلد، المفيد ٧١.

وكان عثمان وعائشة مصداقان للسياسة الثانية.

فقد أفتت عائشة بقتل عثمان: اقتلوا نعثلاً فقد كفر، ونفذ ذلك طلحة وعبدالرحمن بن أبي بكر ثم أنكرت عائشة أقوالها. فقالت عائشة: مُسْتَمُوهُ مؤصّ^(١) الإناء حتى تركتموه كالثوب الرخيص^(٢)، نقيّاً من الدنس، ثم عدوتم فقتلتموه!

قال مروان: فقلت لها: هذا عملك، كتبت إلى الناس تأمرينهم بالخروج عليه! فقالت: والذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون، ما كتبت إليهم بسواد في بياض، حتى جلست في مجلسي هذا^(٣).

وكانت فتواها أقوى من كتاباتها ثم كتبت للأمصارا وندمت عائشة على أفعالها في أواخر أيام حياتها ثم عاودت الكرة ثانية إلى أفعالها، وهكذا ندم وتكرار للأفعال والأقوال! ولما ندمت مرة نطقت الأحاديث والروايات الصحيحة في حق أهل بيت محمد ﷺ منها:

كنّا نغيظ ونغزل ونُنظّم الأبرة بالليل في ضوء وجه فاطمة ؑ^(٤).

والمصداق الثاني سياسة عثمان بن عفان الذي عاهد أهالي أفريقيا على عزل ابن أبي سرح المنافق وتعيين محمد بن أبي بكر محلّه، تلبية لمطالب الثوار وضمن الاتفاق أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ثم كتب إلى ابن أبي سرح سرّاً بتشيته في السلطة والتواطؤ معه على خيانة العهد المكتوب معهم والاحتتيال في قتلهم!!

(١) المؤصّ: غسل لئّن والدلك باليد.

(٢) في بعض الأصول «الرخيص» وفي بعضها: «الرخص».

(٣) المعقد الفريد ٤ / ٢٧٥.

(٤) أخبار الدول وآثار الأول أحمد بن يوسف الدمشقي القرماني، الطبعة الحجرية ص: ٨٧ طبع سنة ١٢٨٢ هـ. ق.

ورغم ذلك أيّدت عائشة حملة أبيها على بيت فاطمة ؑ المتسببة في مقتلها

لقد أقبل أهل مصر عليهم عبدالرحمن بن عديس البلوي، وأهل البصرة عليهم حكيم بن جبلة العبدي، وأهل الكوفة عليهم الأشتر - واسمه مالك بن الحارث النخعي - في أمر عثمان، حتى قدموا المدينة.

ولما قدم وفد أهل مصر، دخلوا على عثمان فقالوا: كتبت فينا بكذا وكذا؟ قال: إنما هما اثنتان: أن تقيموا رجلين من المسلمين، أو يميني بالله الذي لا إله إلا هو ما كتبت ولا أملت ولا علمت؛ وقد يكتب الكتاب على لسان الرجل، ويُنقش الخاتم على الخاتم. قالوا: قد أحلّ الله دمك! وحصروه في الدار، فأرسل عثمان إلى الأشتر فقال: ما يريد الناس مني؟

قال: واحدة من ثلاث ليس عنها بُدُّ، قال: ما هي؟ قال: بخيرَونك بين أن تخلع لهم أمرهم، فتقول: هذا أمركم فقلّده من شتم؛ وإما أن تقتصّ من نفسك؛ فإن أبيت هاتين فالقوم قاتلك^(١).

انهدام البنية التحتية لدولة عثمان في ١٢ عاماً

حكم عثمان بن عفان البلاد إثني عشر سنة ولم يبرز التضعف العام في البلاد إلا في الستة الثانية من حكمته كما قال الزهري^(٢)، وفي الستة الأولى من حكمته أصيبت الأركان الإسلامية للدولة والمجتمع بضربات قاصمة من قبل الأمويين تسببت في وقوف جميع الصحابة في صفوف المعارضة.

وقوف المهاجرين والأنصار في جبهة المعارضة أفقد الحكومة مصداقيتها والثقة الشعبية بها.

(١) العقد الفريد ٤ / ٢٧٥.

(٢) مختصر تاريخ دمشق ج ١٦ / ١٧٤.

واستندت تلك المعارضة إلى الأفعال المرة للدولة في حق المسلمين في سلب حرياتهم وسرقة الخزينة العامة واللعب بالمناصب الحكومية والإستهانة بالمقدسات الدينية ومخالفة الشريعة الإسلامية.

وكان رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين علي عليه السلام عارفان بشخصية عثمان في مكة والمدينة.

فقد عرفا منهجه، وأدركا غايته، ومحصا سلوكه، وعابنا أخلاقه، فحكما على مشروعه الاجتماعي بالبطلان، وحكما على منهجه السلوكي بالفرعونية.

فلم يولّه رسول الله ﷺ منصباً أبداً قبل فتح مكة وبعد فتحها، فكان من عوام الناس، لا تعرفه ساحات المعارك ولا أروقة دور العلم ولا سقائف السياسة. ولم يؤيد الصحابة الدولة العثمانية في المدينة المنورة فسقطت تلك الدولة وبقيت الدولة الأموية الثانية هزاعمة معاوية لأنها دولة أموية في الشام بعيدة عن الصحابة.

قال محمد بن مسلمة (رئيس جهاز الأمن في زمن عمر وعيّه على ولاته) في يوم مقتل عثمان:

ما رأيت يوماً قط أقرّ للعبون ولا أشبه بيوم بدر من هذا اليوم^(١).

وقال الواقدي: أوّل من اجترأ على عثمان بالمنطق السيّ جبلة بن عمرو الساعدي، مرّ به عثمان وهو جالس في نادي قومه وفي يد جبلة بن عمرو جامعة فسلم عثمان وردّ القوم.

فقال جبلة: لم تردّون على رجل فعل كذا وكذا؟ ثمّ أقبل على عثمان وقال: والله

لأطرحن هذه الجامعة في عنقك أو لتتركن بطانتك هذه.

قال عثمان: أي بطانة فوالله إني لأتخير الناس، فقال جبلة: مروان تخيرته؟ ومعاوية تخيرته؟ وعبدالله بن عامر بن كريز تخيرته؟ وعبدالله بن سعد تخيرته؟ منهم من نزل القرآن بذمه وأباح رسول الله ﷺ دمه. فأنصرف عثمان فما زال الناس يحترنون عليه^(١).

فأرسل عثمان زيد بن ثابت (اليهودي السابق) إلى جبلة للكف عنه، فقال جبلة: والله لا أقصر عنه أبداً ولا ألقى الله فأقول:

﴿أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكَبَرَاءَنَا فَأَصْلَحْنَا السَّبِيلَ﴾^(٢)

وجبلة كان من المانعين دفن عثمان في البقيع فدفنوه في مقبرة اليهود^(٣). وهذه الأحداث تفتح الآفاق أمام الناس وترشدهم إلى غيِّ الرئيس وظلمه للآخرين ومخالفته للدين. والأهم من ذلك أن الثوار طالبوا عثمان بأمور واضحة وبيّنة يستطيع فعلها:

أولاً، عزل ولاية بني أمية ووزيره مروان.

ثانياً، العدل في توزيع الثروة.

وهذان المطالبان سهلان على الكثير من الناس وصعبان على عثمان.

فأبو بكر وعمر لم يستخدموا أرحامهما وعثمان عين أرحامه، وعثمان ملتصق دماً وروحاً ببني أمية فرقيهم هدفه الأول وإعلاء شأنهم غايته وسعّوهم عقيدته،

(١) تاريخ الطبري ١١٤ / ٥، تاريخ ابن الأثير ٧٠ / ٣، تاريخ ابن كثير ١٧٦ / ٧، شرح النهج، المجلد ١ / ١٦٥، أنساب البلاذري ٤٧ / ٥.

(٢) الأحزاب ٦٧، أنساب الأشراف ٤٧ / ٥، الإصابة ٢٢٣ / ١، وترجمته في الاستيعاب.

(٣) المصدر السابق.

ففضلهم على عقيدة الناس وأماهم فقتلوه. والخطير في الأمر أن أبا بكر وعمر لم يعينا أرحامهما لكنهما عيّنا أفراد بني أمية في السلطة.

إذ عيّنا عتبة ويزيد ومعاوية وسعيد بن العاص والوليد بن عقبة وعتاب بن أسيد الأموي وعثمان بن أبي العاص، فزاد عثمان في هذا وأغدق عليهم الأموال، وإلا فإن أبا بكر وعمر أول من رفع راية بني أمية في الإسلام بعدما أنزلها وطمسها رسول الله ﷺ^(١).

ولاة أبي بكر الأمويين:

عتاب بن أسيد على مكة.

عثمان بن أبي العاص على الطائف.

الوليد بن عقبة على صدقات قضاة ثم أمره على الأردن ثم عيّنه عمر على عرب الجزيرة، وصدقات بني تغلب.

يزيد بن أبي سفيان على دمشق^(٢).

المكيون انقسموا قسمين قسم مع بني أمية وقسم مع بني هاشم. وفي الإسلام انقسموا نصفين نصف مع بني أمية ونصف مع رسول الله ﷺ، وبعدما فتح خاتم الأنبياء ﷺ مكة سقطت راية بني أمية وبقيت هكذا إلى زمن انتصار رجال السقيفة في القبض على خلافة النبي ﷺ فأعطوا مقاليد الأمور لبني أمية وحرّموا بني هاشم منها!

فأصبحت بنو أمية في دولة أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية وأولاده،

(١) راجع تاريخ البقوي ١٣٨/٢، تاريخ الطبري ٥٨٨/٢.

(٢) تاريخ البقوي ١٣٨/٢، تاريخ الطبري ٥٨٨/٢، ٣٢٧، ٦١٧، تاريخ ابن الأثير ٨٢/٣، المعارف، ابن قتيبة

٣١٩، الاستيعاب ٤٧١/٣.

وأصبحت المعارضة السياسية مع بني هاشم. أي تمكّن بنو أمية من الانتصار سياسياً على بني هاشم لأوّل مرّة بمساعدة رجال السقيفة أبي بكر وعمر وعثمان. وقال أعيان ابن امرأة الفرزدق: يا نعتل قد هدّكت^(١).

ولما خرج عثمان إلى الصلاة يوماً ومعه ناس من مواليه قد صفرّ لحيته فجذب الناس ثيابه يميناً وشمالاً وناداه بعضهم: يا نعتل فشتّموه فسكت حتى سكتوا ثمّ قال أيّها الناس اسمعوا وأطيعوا فإنّ السامع المطيع لا حجة عليه والسامع العاصي لا حجة له. فناداه بعضهم: أنت السامع العاصي، وقام جهجاه بن سعد الغفاري وكان ممّن بايع تحت الشجرة، فقال لعثمان هلمّ إلى ما ندعوك إليه. قال وما هو؟

قال: نمملك على شارف جرباء ونلحقك بجبل الدخان، قال عثمان: لست هناك لا أمّ لك.

وتناول جهجاه عصا كانت في يد عثمان فكسرها على ركبته ودخل عثمان داره وصلى بالناس سهل بن حنيف^(٢).

واجترأ الناس على عثمان أكثر فأكثر وتسبّب ذلك في فضحه وكشف أعماله إذ قال له عمرو بن العاص يوماً: يا أمير المؤمنين إنك ركبت بهاتير (مهالك) وركبناها معك فتب نتب معك^(٣).

وضربوا عثمان بالحجر وهو على منبر رسول الله ﷺ فشجّ رأسه وسقط يوم الجمعة مغشياً عليه واحتمل إلى داره وتفاقم الأمر فأحاط به الناس وضيّقوا على

(١) تاريخ دمشق، ابن عساكر ٣٩ / ٢٥٤.

(٢) تاريخ المدينة، ابن شبة ٣ / ١١٢.

(٣) البداية والنهاية ٧ / ١٩٦.

بيته محاصرين له وانقطع عثمان عن المسجد قليلاً ثم انقطع كلية في آخره^(١).
 ونان المهاجمون لبیت عثمان لقتله هم: سودان بن حمران وأبو حرب الغفافي
 وقتيرة بن وهب السكسكي وكنانة بن بشر التجيبي، ورومان بن سرحان^(٢)،
 وكسر عمير بن ضابئ البجلي ضلعه قاتلاً؛ سجنّت أبي حتى مات في السجن،
 وجبله بن الأيهم الذي دعى إلى قتله، وقال رومان لعثمان: على أيّ دين أنت يا
 نعل؟ ونعل يهودي ساكن المدينة ذكر ذلك أبو نصر بن مأكولا وغيره^(٣).
 فشبهه النبي ﷺ بذلك اليهودي لانسجامه مع عثمان في دينه وأخلاقه
 وحرصه على المال وبغضه لرسول الله ﷺ وحاصروه أربعين يوماً. وكانت
 رئاسته إثنتي عشرة سنة^(٤).
 وقُتل عثمان يوم الثامن عشر من ذي الحجة من سنة خمس وثلاثين وكان
 عمره ستاً وثمانين سنة^(٥).

(١) الهداية والنهاية ٢٠٢/٧.

(٢) شرح النهج ١٥٨/٢، تهذيب الكمال، المزي ٤٥٤/١٩.

(٣) تهذيب الكمال، المزي ٤٥٥/١٩، ميزان الاعتدال، الذهبي ١١٠/٢.

(٤) تهذيب الكمال، المزي ٤٥٤/١٩، الفروع، ابن أعم ٢٤١/٢، الهداية والنهاية، ٢١٢/٧، مروج الذهب، ٢/٢٦٦.

(٥) شرح النهج ١٥٩/٢، تهذيب الكمال، المزي ٤٥٦/١٩.

الفصل الخامس:

عثمان - ثوار مصر

تحرّر مصر من الأمويين

جهّز محمد بن أبي حذيفة ومحمد بن أبي بكر الثوار في مصر وخرج بهم عبدالرحمن بن عديس البلوي في سبّائة ثائر وخوفاً من جيش ابن أبي سرح فلقد خرجوا باسم العمرة وخرجوهم في شهر رجب.

ولما سمع بهم ابن أبي سرح وعرف أهدافهم خرج في أثرهم إلى ذي خشب فبقيت مصر دون والي وتأخّر هناك فاستفاد محمد بن أبي حذيفة من هذه الفرصة واستولى على السلطة هناك.

وكان التأييد الشعبي له قوياً تمكّن به من فرض سلطته فعزل ابن أبي سرح. وهذه الحادثة وقعت بعد أحداث الوفد المصري في المدينة ومشروع عثمان لقتلهم. فقد صادف تحرير مصر من قبضة بني أمية محاصرة الثوار بيت عثمان بن عفان. فبني ابن أبي سرح في وسط الطريق بين مصر والمدينة ففقل راجعاً إلى مصر

راغباً في دخولها فنتعه ابن أبي حذيفة فذهب إلى فلسطين فأقام فيها حتى قُتل عثمان.

وزعامة الثوار المصريين كانت بيد الصحابي عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعي وهم في أربعة ألوية لها رؤوس أربعة. ورسالة الثوار المصريين إلى عثمان جاء فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد فاعلم أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم فالله الله ثم الله الله فإنك على دنيا فاستتم إليها، معها آخرة، ولا تنس نصيبك من الآخرة فلا تسوغ لك الدنيا واعلم أنا والله نغضب وفي الله نرضى وإنّا لن نضع سيوفنا عن عواتقنا حتى تأتينا منك توبة مصرّحة أو ضلالة مجلحة مبلجة فهذه مقاتلتنا لك وقضيتنا إليك، والله عذيرنا منك والسلام^(١).

وأصبح محمد بن أبي حذيفة أول وال على مصر للإمام علي عليه السلام ثم تولّاها محمد بن أبي بكر من بعده.

والإثنان من المخلصين في الدين البعيدين عن أهواء الدنيا.

محمد بن أبي حذيفة

وهو محمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة، ابن خال معاوية وهو من شيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كان في مصر فلم يحتمل أعمال عثمان في مال

(١) تاريخ ابن الأثير ٦٨/٣، شرح النهج ١/١٦٤، تاريخ ابن كثير ٧/١٧٢، تاريخ الطبري ٥/١١١، ١١٢، وأنساب الأشراف، البلاذري ٥/٦٤، ٦٥، وتاريخ ابن خلدون ٢/٣٩٧.

المسلمين وأنفسهم فثار عليه وقاد الناس مع محمد بن أبي بكر ونجحاً في السيطرة على البلاد.

فأرسل له عثمان برشوة كبيرة رفضها وجاء بها إلى المسجد مبيتاً للناس رشوة عثمان له ثلاثين ألف درهم وكسوة^(١).

ولما جاء الثوار إلى المدينة المنورة مكر بهم عثمان لقتلهم بكتابتة سرّاً إلى واليه على مصر عبدالله بن أبي سرح إلى أن يحتال لقتلهم.

وكان هذا أمراً قبيحاً من عثمان إذ كيف يقتلهم وهو الذي كتب معهم كتاباً يتعاقد معهم على عزل ابن أبي سرح وتولية محمد بن أبي بكر.

وفي أيام خلافة الإمام علي عليه السلام انتصر جيش معاوية على جيش محمد بن أبي حذيفة بالحيلة.

وتولى عمرو بن العاص الغدر بمحمد بن أبي حذيفة في مصر وهو الذي لاحق أباه والمسلمين في الحبشة لقتلهم سفيراً لأبي سفيان، فولد في حبشة أفريقيا محمد بن أبي حذيفة، وأنقذه الله تعالى من مكر ابن العاص، أولاً.

وبعد أربعين عاماً لاحق ابن العاص قائد جيش معاوية بن أبي سفيان محمد بن أبي حذيفة في مصر فسجنه وقتله^(٢).

فأصرّ ابن أبي العاص على قضاء عمره في خدمة الكفر وأصرّ ابن أبي حذيفة على قضاء عمره في خدمة الإسلام. ومن الطريف قول عمرو بن العاص بعد موقاته الكثيرة: هذا منبر نبيكم وهذه ثيابه وهذا شعره لم يبل فيكم وقد بدلت

(١) أنساب الأشراف ٨٧.

(٢) الاستيعاب. ترجمة محمد بن أبي حذيفة وترجمته في الإصابة، البحار ٣١ / ٢٩١.

وغيرتم^(١).

ومن أكاذيب الأمويين لصالح عثمان وفي غير صالح عدوّهم محمّد بن أبي حذيفة إنّ أباه مات وهو صغير فرّباه عثمان.

لقد أقرّ رسول الله ﷺ قانون الضمان الاجتماعي في المدينة المنوّرة وخاصّة للأيتام فلم يتسوّّل أيتام المسلمين غيرهم بل ضمن النبي ﷺ معيشتهم وكفلهم. ومحمّد بن أبي حذيفة وأباه كانوا مخالفين للخطّ الأموي لذلك لم يتعاون ابن أبي حذيفة مع عثمان في أيّام السقيفة ولم يعيّنهُ عثمان في منصب حكومي ولم يطلب منه ابن أبي حذيفة ذلك، فكانا خطّان متوازيان لا يلتقيان.

وبلغ الأمر إلى درجة أنّ فضّل عثمان ابن أبي سرح الفاسق الأموي النسب من الأمّ على ابن أبي حذيفة الطاهر الأموي النسب.

بل سعى عثمان لقتله والغدر به كي يبقى ابن أبي سرح المنافق والياً على أفريقيا! وكان عبدالله بن أبي سرح قد ضرب من شكاه إلى عثمان حتّى توفّاه وهو طاغية من طغاة قریش أظهر الإسلام وارتدّ وأعلن تحريفه القرآن.

فأمر رسول الله ﷺ بقتله وإن كان متعلّقاً بأستار الكعبة فأخفاه عثمان ثمّ عيّنهُ في زمن ملكه حاكماً على أفريقيا! وبلغ غضب الناس عليه أن جاءوا من مصر إلى المدينة طلباً لعزله فأبقاه عثمان وغدر بالمظلومين، ولولا قبض هؤلاء المؤمنين على سفير عثمان إلى ابن أبي سرح المخبر إتياء بقتل الشاكين المصريين لذبح ابن أبي سرح هؤلاء مكرّاً وكيداً وذلك في سنة ٣٤ هجرية^(٢).

(١) أنساب الأشراف، البلاذري ٥ / ٨٨.

(٢) تاريخ الطبري ٥ / ١١٨، ط اوربا، ١ / ٢٩٩٤، تاريخ ابن الأثير ٢ / ٥٩٧٠، تاريخ ابن أعثم ٤٧ / ٤٦، أنساب

الأشراف ٥٠ / ٥٠، شرح النهج ١ / ١٦٥، تاريخ ابن كثير ٧ / ١٦٨.

وبعد شهادة الإمام علي عليه السلام مكر معاوية بمحمد بن أبي حذيفة إذ طلب منه الحضور للتفاوض ولما جاء إلى مكان المفاوضات غدر به وسجنه.

ولما كان محمد بن أبي حذيفة في سجن معاوية أحضره من السجن يوماً وحاوَّره وطلب منه سب أمير المؤمنين علي عليه السلام، فقال له: محمد بن أبي حذيفة: إنَّكَ لتعلم أنَّي أُمسَّ القوم بك رحماً وأعرفهم بك؟ قال: أجل.

قال: فوالله الذي لا إله غيره، ما أعلم أحداً شرك في دم عثمان وآلِّب الناس عليه غيرك لما استعملك ومن كان مثلك فساله المهاجرون والأنصار أن يعزلك، فأبى.

ففعلوا به ما بلغك.

ووالله ما أحد اشترك في قتله بدءاً وأخيراً إلاَّ طلحة والزبير وعائشة فهم الذين شهدوا عليه بالعظيمة وآلَّبوا عليه الناس وشركهم في ذلك عبدالرحمن بن عوف وابن مسعود وعمار والأنصار جميعاً. قال معاوية: قد كان كذلك.

قال: فوالله إنِّي لأشهد أنَّك منذ عرفتكَ في الجاهلية والإسلام لعلَّ خلق واحد مازاد فيكَ الإسلام قليلاً ولا كثيراً، وإنَّ علامة ذلك فيكَ لبَيَّة تلومني على حبِّ علي بن أبي طالب عليه السلام وخرج مع علي كلَّ صَوَّام قوام مهاجري وأنصاري وخرج معك أبناء المنافقين والطلقاء والعقلاء خدعتهم عن دينهم وخدعوك عن دينك.

والله ما خفي عليك ما صنعت وما خفي عليهم ما صنعوا إذ أحلَّوا أنفسهم لسخط الله تعالى، والله ما أزال أحبُّ علياً عليه السلام ورسوله ﷺ وأبغضك في الله

ورسوله أبداً ما بقيت قال معاوية وإني أراك على ضلالك بعد ردّوه فردّوه وهو يقرأ في السجن: ربّ السجن أحبّ ممّا يدعونني إليه فمات في السجن بسم معاوية.

هل غدر عثمان بالوفد المصري؟

(لما نزل المصريون بالمدينة في مدّتهم الثانية دعا عثمان مروان فاستشاره فقال مروان: إنّ القوم ليسوا لأحد أطوع منهم لعلّي بن أبي طالب عليه السلام وهو أطوع الناس في الناس فابعثه إليهم فليعطهم الرضا وليأخذ لك عليهم الطاعة ويحذّرهم الفتنة. فكتب عثمان إلى علي بن أبي طالب عليه السلام: سلام عليكم أمّا بعد فإنّه قد جاز السيل الزبيّ وبلغ الحزام الطيّبين، وارتفع أمر الناس بي فوق قدره وطمع فيّ من كان يعجز عن نفسه، فأقبل عليّ أُولي والسلام.

فجاءه علي بن أبي طالب عليه السلام فقال عثمان: يا أبا الحسن انت هؤلاء القوم فادعهم إلى كتاب الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله.

فقال عليه السلام: نعم إن أعطيتني عهد الله وميثاقه على أن تفي لهم بكلّ شيء أعطيته عنك. فقال عثمان: نعم. فأخذ عليه الإمام عليّ عليه السلام عهداً غليظاً ومشى إلى القوم فلما دنا منهم، قالوا: تضمن لنا كذلك؟

قال عليه السلام: نعم، فأقبل معه أشرفهم ووجوههم حتّى دخلوا على عثمان فعاتبوه، فأجابهم إلى ما أحبّوا، فقالوا: اكتب لنا على هذا كتاباً، وليضمن عليّ عنك ما في الكتاب. قال: اكتبوا أنّي شتمت، فكتبوا بينهم:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما كتب عبدالله عثمان أمير المؤمنين لمن نقم عليه من المؤمنين والمسلمين، أنّ لكم عليّ أن أعمل بكتاب الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله، وأنّ

المحروم يعطى، وأن الخائف يؤمن، وأن المنفي يُرد، وأن المبعوث لا يحجر، وأن النبي لا يكون دولة بين الأغنياء.

وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ضامن للمؤمنين والمسلمين على عثمان الوفاء لهم على ما في الكتاب.

وشهد الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله وسعد بن مالك وعبد الله بن عمر وأبو أيوب بن زيد، وكتب في ذي القعدة سنة خمس وعشرين، فأخذوا الكتاب ثم انصرفوا، فلما نزلوا ايلة إذا هم براكب فأخذوه، فقالوا: من أنت؟ قال: أنا رسول عثمان إلى عبد الله بن سعد.

قال: بعضهم لبعض لو فتشناه لثلا يكون قد كتب فينا، ففتشوه فلم يجدوا معه شيئاً.

فقال كنانة بن بشر النجبي: انظروا إلى أدواته فإن للناس حيلًا، فإذا قارورة محتومة بموم، فإذا فيها كتاب إلى عبد الله بن سعد:

إذا جاءك كتابي هذا فاقطع أيدي الثلاثة مع أرجلهم.

فلما قرأوا الكتاب رجعوا حتى أتوا علياً رضي الله عنه، فأتاه فدخل عليه، فقال رضي الله عنه: استعيتك القوم فأعيتهم، ثم كتبت هذا كتابك نعرفه؟، الخط الخط، والحاتم الحاتم. فخرج علي رضي الله عنه مغضباً وأقبل الناس عليه، فخرج سعد من المدينة فلقه رجل فقال: يا أبا إسحاق! أين تريد؟

قال: إني فررت بديني من مكة إلى المدينة، وأنا اليوم أهرب بديني من المدينة إلى مكة.

وقام كنانة بن بشر فقال لعثمان: يا عبد الله! أقم لنا كتاب الله، فإننا لا نرضى

بالقول دون الفعل، قد كتبت وأشهدت لنا شهوداً وأعطينا عهد الله وميثاقه.
فقال عثمان : ما كتبت بينكم كتاباً.

فقام إليه المغيرة بن الأخنس وضرب بكتابه وجهه وخرج إليهم عثمان ليكلّمهم، فصعد المنبر، فرفعت عائشة قبض رسول الله ﷺ ونادت: أيها الناس! هذا قبض رسول الله ﷺ لم يُبل وقد غيّرت سنته .

فنهض الناس وكثر اللفظ وحصبوا عثمان حتى نزل من المنبر ودخل بيته^(١). وتأكد للناس ولع عثمان بعمليات التزوير والمكر وخيانة العهد والاستهانة بالناس والمبادئ الإسلامية وجراته على سفك دماء المؤمنين والسطو على الخزينة العامة .

وانكشف الغدر

ولما انكشفت مؤامرة عثمان لقتل الوفد المصري انكشفت أعمال الحزب القرشي السابقة في قتل سعد بن عبادة والحباب بن المنذر وباقي زعماء المعارضة من الأنصار والمهاجرين غيلة. وتأكد للعلن تزوير عثمان وصيّة أبي بكر لعمر، فبلغ حقد الناس وكرههم لعثمان أن منعوا دفنه في مقبرة المسلمين^(٢).

إن الثورة الإسلامية العارمة التي أطاحت بعرش عثمان فتحت الآفاق العظيمة للأمة الإسلامية.

وهي أول ثورة شعبية إسلامية في تاريخ المسلمين وجزيرة العرب، ذكرت

(١) البحار ٢١/ ٤٨٧.

(٢) راجع كتاب اغتيال الخليفة أبي بكر وعائشة للمؤلف.

المسلمين بفتح مكة وتحطيم أصنامها.

وأعادت إلى الأذهان مصرع طغاة قريش من أمثال أبي جهل وعتبة وشيبة والوليد الأمويين. وسقطت أقتعة الحزب القرشي الذي وصل إلى السلطة عبر السقيفة وتحطمت قبضتهم الحديدية على مكة والمدينة فتحرّر الناس وعادوا إلى بيعة الغدير التي بايعوا فيها علياً عليه السلام بالخلافة في زمن رسول الله ﷺ.

فأعادوا البيعة الشعبية في المسجد النبوي هذه المرة دون حضور رسول الله ﷺ.

وابتهجت الجماهير المسلمة بأول بيعة إسلامية شعبية للخليفة لم تشهدها المدينة أعادت ذكريات بيعة العقبة والرضوان وفتح مكة والغدير.

ولمّا تمّ الأمر هكذا وسعدت الحياة وعادت العدالة وسقط الظلم الأموي في المدينة بعد سقوطه في مكة أراد أعضاء الحزب القرشي إعادة السيطرة على الخلافة الإسلامية بنفس كادرها القديم. فراسل معاوية طلحة والزبير مشجعاً إياهم على الفتنة على أن يكونا خليفتين للبلاد بالتناوب.

ووجدت عائشة الأجواء خالية من أبيها الذي انتزع الخلافة الإلهية من علي عليه السلام في السقيفة فتصدّت هي لذلك الدور فقادت معركة الجمل لتحلّ محلّ سقيفة بني ساعدة. وتبرّع ولاية عثمان ببعض أموال الدولة التي سرقوها لرفد الجيوش المناهضة لخلافة الإمام علي عليه السلام. وفتح معاوية خزائن الشام لإثارة البلابل في البلاد مثلما فعل أبوه أيتام معارك بدر وأحد والأحزاب. وهكذا نشر أعضاء الحزب القرشي الفوضى في كلّ مكان في حربهم الإمام علي عليه السلام مدّة خمس سنين فانشغلت الدولة في ردّم فتن عائشة وطلحة والزبير ومعاوية وابن العاص

والخوارج.

فأعادت إلى الأذهان معارك بدر وأحد والأحزاب وخيبر وحنين التي استخدم فيها الحزب القرشي ذات الأسلحة الجاهلية البالية.

فقد استولى طغاة مكة على أموال ودور المهاجرين إلى المدينة وقتلوا الموالين للرسول ﷺ، واستولت عائشة وطلحة والزبير على أموال بيت المال في البصرة وأموال الموالين للإمام علي عليه السلام هناك، وقتلوا سبعين حارساً في بيت المال غدرأ بعد أن طمانوهم وعاهدوهم على التسليم. وهي نفس الخيانة التي استخدمها عثمان في حق الوفد المصري.

وأغار جيش معاوية على المدينة المنورة ففعل فيها ما فعله أبوه وأمه في معركة أحد من قتل المجرى والتقتيل بجثث الموتى، فرجال الحزب القرشي الذين أسلموا كذباً وهاجروا إلى المدينة وأولئك الباكون في مكة نهجهم واحد وأخلاقهم واحدة، لم تبدل بالإسلام ولم تتأثر بالنبي ﷺ.

فقد قتل أبو جهل طالب بن أبي طالب؛ لامتناعه من المشاركة في محاربة النبي ﷺ وفي الجانب الآخر، قتل عثمان أبا ذر وعبدالله بن مسعود وضربت عائشة سهل بن حنيف في البصرة حتى أشرف على الموت وقتلت سبعين مؤمناً يشهدون الشهادتين لترددهم في تسليمها خزينة المسلمين في البصرة.

فشدة الأعراب الجاهليين في قتل الصالحين وجدت واضحة في شخصيتي هند بنت عتبة وعائشة بنت أبي بكر فارست هند في معركة أحد ما مارسته عائشة في معركة الجمل. فقتل على يد هند عشرات من المؤمنين بينما تسببت عائشة في قتل عشرين ألف مسلم في معركة الجمل.

وشاركت هند في معركة الأحزاب ثانية ورفعت عائشة لواءها مرة أخرى على بغلة لمنع دفن الإمام الحسن عليه السلام مع جدّه عليه السلام فقال لها عبدالله بن عباس: تسجّلت، تبغّلت ولو عشت تقيّلت لك التسع من الثمن وبالكُلّ تصرّفت^(١) واستمرّت حروب كفرة قريش ومؤامراتهم لقتل رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاثة وعشرين سنة حتى قتلوه في سنة ١١ هجرية وأعاد أعضاء الحزب القرشي الكرة ثانية على وصيّ النبي علي عليه السلام فأظلموا الدنيا بمكرهم وسودّوا الأوضاع بكيدهم مدة خمس سنين ٣٥ - ٤٠ هجرية انتهت بقتله في ٢١ رمضان، سنة ٤٠ هجرية. وشارك في الحملتين معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص وأبو الأعور الأسلمي (زعيم أسلم) والوليد بن عقبة وسعيد بن العاص ومروان بن الحكم وعائشة وحفصة وعبدالرحمن بن أبي بكر. وفي الحملتين كان النصر المعنوي حليف المتّقين الأخيار، برئاسة الإمام علي عليه السلام الذي قال عنه النبي صلى الله عليه وآله: علي إمام المتّقين وقائد الفرّ المجلّين يوم القيامة^(٢).

وبمقتل الإمام علي عليه السلام في الكوفة ابتهج أنصار الحزب القرشي وأعلنوا سرورهم كما فرحوا بمقتل رسول الله صلى الله عليه وآله في المدينة، فأعلن معاوية وابن العاص والمغيرة ومروان والوليد وسعيد بن العاص وعبدالله بن أبي سرح فرحتهم. وفرحت عائشة وحفصة وأقامتا مجلساً مطرباً لهذا، وقالت عائشة في نشوتها:

(١) الايضاح، ابن شاذان ٢٦٢، دلائل الإمامة ٦٦، مقاتل الطالبين ٧٤، شرح النهج ٤٩/١٦ - ٥٠، الخرائج والجرائج ٢٤٢/١، البحار ٤٤/١٥٦.

(٢) المستدرك، الحاكم ١٤٨/٣، كنز العمال ٦١٩/١١، الإصابة ٢٧٤/٢، أسد الغابة ٨٤/١، الرياض النضرة ٣/١٢٢، مجمع الزوائد ١٢١/٩، حلية الأولياء ٦٦/٦٣.

فألقت عصاها واستقرت بها النوى كما قرّ عيناً بالإياب المسافر^(١)
فانتصر أتباع الحزب القرشي انتصاراً مادياً مرةً أخرى وارتفعت رايات أبي
سفيان ومعاوية. ومن المدهش فرح عائشة بمقتل خليفتي في خمس سنوات فقط
٣٥ - ٤٠ هجرية. أفصح عن عثمان قول النبي ﷺ فيه: إنه نعتل اليهودي^(٢)،
وصرّحت عن الثاني (عليه السلام) قول النبي ﷺ فيه: إمام المتقين وقائد الفُرَّ
المجّلين^(٣).

فوافق هواها نصّ النبي ﷺ في عثمان وخالف هواها نصّ النبي ﷺ في
عليه السلام.

فبكت على الحادثة الثانية وحسبها على إمام زمانها الذي قال فيه
رسول الله ﷺ باعترافها سيد العرب وسيد المسلمين^(٤). لكنّها سرعان ما عادت
إلى نهجها القرشي بقيادتها جيش الأمويين على بغلة منعاً لدفن الإمام الحسن عليه السلام
قرب جدّه رسول الله ﷺ، وهي التي ذكرت قول النبي ﷺ فيه: الحسن والحسين
سيّد شباب أهل الجنة^(٥).

ولمّا استشهد الإمام علي عليه السلام وسيطر الحزب الأموي على الدولة، شرع معاوية

(١) البحار ٤٤ / ١٥٣، مقاتل الطالبين ٢٦، الأمل، الطوسي ١٦١، تاريخ الطبري، حوادث سنة ٤٠ هـ، طبقات ابن

سعد ٢٧٣، المعيار والموازنة، الإسكافي ٣٦، شرح النهج ٢٤٩ / ٤، تاريخ دمشق ٢٦٢ / ٧، أنساب الأشراف ٥٠٥.

(٢) الفتوح، ابن أعمر ١ / ٦٤، نهج البلاغة ٣ / ٣، شرح النهج ٢١٥ / ٦، البحار ٣١ / ٢٩٦.

(٣) كنز العمال ٦ / ٤٠٠، ١١ / ٦١٨، ذخائر المتقين ٧٧، حلية الأولياء ٦٣ / ١، تاريخ بغداد ٨٩ / ١١، مجمع

الزوائد ٩ / ٣١٩.

(٤) المصدر السابق.

(٥) مسند أحمد بن حنبل ٣ / ٣، ٦٢، ٨٢، الحلية، أبو نعيم ٥ / ٧١، تاريخ بغداد ٩ / ٢٣١، الخصائص، النسائي ٣٦،

المستدرک، الحاكم ٢ / ١٦٧.

بين سنتي ٤٠ - ٦٠ هجرية في تشويه الثورة الإسلامية على عثمان الأموي. وهي مدة زمنية طويلة وسار على مشروعه باقي ملوك الدولة الأموية. فكانت أطروحتهم كالتالي:

١- إيجاد مناقب كبرى لعثمان تجوّز له الظلم الفاحش واختلاق ذلك على لسان رسول الله ﷺ ولا يمتهم تشويه سمعة النبي ﷺ؛ لأنّ هدفهم إعلاء منزلة عثمان. فذكروا حديثاً مختلفاً عن النبي ﷺ: بعث عثمان إلى النبي ﷺ عشرة آلاف دينار فقال النبي ﷺ ما يبالي عثمان ما فعل بعدها^(١).

فظالم عثمان الكبرى أجبرتهم على وضع هذا الحديث المخالف للإسلام والعقل والحكمة. وهذا الحديث اعتراف ضمني من الأمويين بأفعال عثمان المخالفة للدين والإنسانية.

٢- تشويه سمعة المعارضين السياسيين لعثمان مثل عمار بن ياسر ومحمد بن أبي بكر ومالك الأشتر.

٣- تشويه سمعة الأنصار وقتلهم فوضعوا أحاديثاً نبوية مخالفة لهم. وأبعدوهم عن السلطة ومنعوا عنهم الأموال واقتل يزيد مذبحه الحرة التي قتل فيها عشرة آلاف مسلم^(٢). وقتل الأمويين للأنصار جاء انتقاماً لمعركة بدر ومصرع عثمان.

وألح الأمويون في حكمهم الطويل والظالم على تشويه أحداث الثورة الإسلامية العارمة المنتصرة على عثمان فغيّروا سننها وأهدافها ووقائعها. متوسلين

(١) تاريخ ابن كثير ٦١٢/٧، مجمع الزوائد، المحشي ٨٥/٩، المعجم الأوسط، الطبراني ٢٩١/٢، مسند الشاميين،

الطبراني ٢٤٥/٢، كنز العمال ٥٤/١٣، تاريخ دمشق ٣٥/٢.

(٢) شذرات الذهب ٧١/١، الفارات ٤٦٠/٢، البحار ٣٨/١١.

بالمال والعصا فرتّبوا الأحداث طبقاً لمسيرتهم ووفقاً لتهجهم. وترى اليوم الكثير من الناس سائرين على كتب الأمويين ونظرياتهم العقيمة غافلين عن غايات بقي أمية الشجرة الملعونة في القرآن الكريم. ومتناسين اللعن النبوي لهذه الشجرة النتنة فأصبحنا نملك عناصر ثقافية مدحورة ورموزاً أكاديمية مقهورة لا تؤمن بالثورة ولا تؤيد الانتفاضة راضية بالذلّ وقناعة بالظلم.

ولجأ من هذه المنهجية المنحورة من القفا المؤمنون المثقون المبصرون بعناية الباري عزّ وجل. فتراهم يستقيمون ببصائرهم وبصيرتهم وتنطبق على خطواتهم (اهدنا الصراط المستقيم)، وهؤلاء المفتحة أذهانهم عرفوا أعضاء الحزب القرشي ودسائسهم السياسية ومكائدهم الملتوية.

والخوف والوجل أخذ لبّ الكثير وأفقدتهم توازنهم حتى خافوا ذكر الثورة الإسلامية الكبرى، التي شارك فيها الرجال والنساء الأنصار والمهاجرين. حتى شملت الناس في الكوفة والبصرة وأفريقيا ومكة والمدينة والبحرين. وعنوان ثورتهم الخوف على دينهم من الانحراف وهذا الشعار كانت تنشده عائشة في كلّ صلاة جمعة في المسجد النبوي.

وخوف بعض الناس اليوم من ذكر الحقيقة يذكّرنا بحال الناس في زمن معاوية ويزيد ومروان. إذ دخل الوجل في عروقهم وسيطر كابوس القتل على وجدانهم واليوم يعيش العالم حالة التحرّر من القيود والانطلاق في الآفاق بعيداً عن العصبية والحزبية والتخلّف. فلا معاصم مكهلة بسلاسل الأمويين ولا سيوف مرفوعة على رقاب المتحرّرين وهذا كافٍ لمعرفة الحقيقة ونشرها في الأمصار وبثّها في الإذاعات.

فنتشر اليوم أخبار الثورة الإسلامية الكبرى على عثمان في كتابنا هذا وعند الواعين من الناس لتصبح مناراً للآخرين ومشعلاً يضيء درب الإنسانية لتصبح مشعلاً يضيء درب الإنسانية، وقدوة عند دعاة المدنية.

ولكن هل شارك الإمام علي عليه السلام في الثورة الإسلامية الكبرى؟

نعم شارك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد وعظ عثمان مرّات عديدة وأنذره الآخرة، وهدّده الوثبة الشعبية؛ لكنّه لا يؤمن بأعمال طلحة والزبير وعائشة الجاهلية في قطع الماء والطعام عن عثمان، وإيقائه ميتاً على الزبالة ثلاثة أيام بل كان يريد هدايته أو عزله عن الحكم. وقتل المسلم لا يكون إلا قصاصاً أو تقييره الدين أو الإفساد في الأرض وضمن الإمام العهد الممضئ بين ثوار مصر وعثمان فلمّا غدر عثمان بالعهد شهد الإمام عليه السلام بالخيانة أمام الناس وتركه فلم يلتقيا حتى مات عثمان^(١).

وقام تلاميذ الإمام بالمشاركة في تلك الثورة الرائدة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتبيّن ذلك في متون هذا الكتاب على لسان أبي ذر الغفاري وعمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان والمقداد بن عمرو ومالك الأشتر ومحمّد بن أبي بكر وقيس بن سعد بن عباد.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر له ضحايا فكان أبو ذر الغفاري وعبدالله بن مسعود والمقداد بن عمرو من ضحايا هذا الدرب الإلهي إذ قتلهم عثمان في هذا الطريق. وبينما فتق عثمان بطن عمار بن ياسر المدافع عن خياض الدين قتل أبو جهل أمّه سمّة انتقاماً لا اعتناقها الدين.

(١) شرح النهج ٣١/١٦١، شرح النهج ٢/١٤٩، ٣/٢٣، تاريخ المدينة ابن شبه ٤/١٥١، نهاية الإرب ١٩/٥٠٩،
المعاصم من القواصم ١٢٧، تاريخ الخميس ٢/٢٦١، تاريخ الطبري ٣/٤٠٦، تاريخ ابن خلدون ٢/١٤٧،
الاستبانات ١/٦٢.

الفصل السادس:

مقتل عثمان

الأصول الكبرى لمقتل عثمان

أول ثورة إسلامية حدثت في العالم الإسلامي وقعت لمعارضة عثمان بن عفان، واشترك فيها أهالي المدينة من المهاجرين والأنصار وأهالي البصرة والكوفة ومصر (وهي في ذلك الوقت تعني أفريقيا).

والسؤال المطروح يتمثل في ما هي الأمور الكامنة وراء مقتل عثمان؟

١- الوازع الأول يتمثل في الأمر الديني: إذ تحلّى عثمان عن كثير من المبادئ والأحكام الدينية فغيّر في الوضوء والصلاة إذ أجبر الناس على المسح على الكفين بدل الغسل.

وأجبرهم على الصلاة متكئاً الأيدي، بينما كانوا يسبلون أياديهم في زمن النبي ﷺ^(١).

(١) صحيح البخاري ٥٢/١، صحيح مسلم ٧/١، ٢٠٤/١، كنز العمال ٤٤٣/٩ ح ٢٦٧٩٧.

٢- الامر الاقتصادي.

٣- الامر الاجتماعي.

٤- انتفاضة أصحاب الدماء المهدورة وعلى رأس هؤلاء عائلة أبي بكر.

إذ تسبب عثمان بعمله في المشاركة في عملية اغتيال أبي بكر ومحاولته اغتيال ابنه من بعده في تحريك غضب قبيلة بني تيم عليه، وخاصة عائلة أبي بكر.

فأصدرت عائشة فتوى بقتله ردّاً على أفعاله تلك استحلّت بها دمه، وحلّلت بها إزهاق روحه، ولما قُتل عثمان قال لها المغيرة بن شعبه: «أنتِ قتلت عثمان»^(١).

وصمّم محمد وعبدالرحمن ولدا أبي بكر وطلحة بن عبدالله التيمي على اغتيال عثمان بن عفان وقد جاء: أشدّ الأُسْر على عثمان عائلة أبي بكر^(٢).

وقال الطبري: «إنّ عائشة أوّل من أمال حرفه»^(٣).

وساعدت على ذلك الأجواء المشحونة بالغضب على الخليفة من جرّاء أفعاله المالية والسياسية والإدارية والقضائية^(٤).

تكفير عائشة لعثمان: وفعلاً تمكّنت عائلة أبي بكر من الانتقام لنفسها بتحريضها لفتوى قتل عثمان وتنفيذها على أرض الواقع.

وكان لفتوى عائشة الشهيرة الأثر البين في تضعيف موقعية عثمان وشخصيته، في السياسة والحكم ومن ثمّ قتله، وقابلها عثمان بتخفيض راتبها^(٥).

(١) العقد الفريد ٤ / ٢٧٧، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

(٢) أنساب الأشراف ٥ / ٦٨.

(٣) تاريخ الطبري ٥ / ١٧٢، حوادث سنة ٣٦.

(٤) تاريخ أبي الفداء ١ / ٣٣٣، العقد الفريد ٤ / ٢٦٧.

(٥) تاريخ الحقوقي ٢ / ١٢٢، تاريخ أعمش ص ١٥٥.

وكنّف الكثير من الصحابة عثمان وهذا التكفير هو الذي ساعد على قتله .

ولولا هذا التكفير لما تمكّنوا من قتله!

وقد صرّحت عائشة في فتواها بيهودية عثمان بن عفان مخرجة إياه من ساحة الإسلام، قائلة: إنّ النبي ﷺ سمّاه بنعتل اليهودي، فكانت فتواها كالأقي: اقتلوا نعتلاً فقد كفر^(١).

وقالت حفصة وعائشة له: سمّاك رسول الله ﷺ نعتلاً تشبيهاً بنعتل اليهودي^(٢).

وصدّق المسلمون وعلى رأسهم الصحابة رواية عائشة تلك عن الرسول ﷺ فشاركوا في قتله، وأجمعوا على دفنه في مقبرة اليهود (حش كوكب)، ودفنوه هناك^(٣).

وقد جاء بأنّ عثمان بن عفان أراد أن يتهود بعد فراره من معركة أحد التي هزم فيها المسلمون^(٤)، وكانت علاقة عثمان مع كعب الأحبار جيّدة جداً، وعلاقة عثمان مع الحبر عبدالله بن سلام وثيقة، وعلاقة عثمان مع زيد بن ثابت قويّة خلفه على المدينة في زمن الحج وكان على القضاء^(٥).

ومن أعمال عثمان أيضاً:

أعطى مائة ألف لعباس بن ربيعة؛ لأنّ ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب كان

(١) تاريخ الطبري، شرح النج ص ٧٧، الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٢٠٦ / ٣.

(٢) الصراط المستقيم ٣ / الباب ١٢ / ٣٠.

(٣) طبقات ابن سعد ٣ / ٧٨، ٧٩، العقد الفريد ٤ / ٢٧٠.

(٤) تفسير ابن كثير ٢ / ٦٨، تفسير الحازن ١ / ٥٠٣، الدر المنثور ٢ / ٢٩١.

(٥) سنن الترمذي ٣ / ٣٣٣.

شريكاً لعثمان في الجاهلية^(١).

وترك صدقات مزينة لكعب بن مالك (وكعب هو الذي عصى النبي ﷺ في حملة تبوك)^(٢). وكان من المنافقين.

ولما ثار محمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس الأموي مع محمد بن أبي بكر في مصر على عبدالله بن أبي سرح عاب محمد بن أبي حذيفة عثمان لتعيينه ابن أبي سرح على أفريقيا قائلاً:

استعمل رجلاً أباح رسول الله ﷺ دمه...

فقال الزهري عن الثورة الشعبية العارمة المؤدية بحياة عثمان:

انحرف عثمان في السنوات الستة الثانية إلى أهله^(٣).

فبعث عثمان إلى ابن أبي حذيفة بثلاثين ألف درهم وبجمل عليه كسوة.

فوضعها محمد بن أبي حذيفة في المسجد، ثم قال: يا معشر المسلمين ألا ترون

إلى عثمان يخادعني عن ديني ويرشوني عليه!

فازداد أهل مصر تعظيماً له وطعناً على عثمان، وباعوه على رئاستهم^(٤).

ومقتل أبي بكر بيد عمر وعثمان ومقتل عمر بيد الأمويين^(٥) ومقتل عثمان بيد

عائلة أبي بكر مصداق لقول النبي ﷺ:

وتتبعوني أقتاداً يهلك بعضكم بعضاً^(٦).

(١) تاريخ الطبري ٤٣٢/٣.

(٢) تاريخ الطبري ٤٥٢/٣.

(٣) مختصر تاريخ دمشق، ابن منظور ١٧٤/١٦.

(٤) الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٢٦٥/٣.

(٥) حل قول إذ هم الذين سبّلوهم وصول أبي لؤلؤة الفارسي إلى المدينة لقتل عمر.

(٦) الطبقات الكبرى، ابن سعد ١٩٣/٢.

الأسباب الكامنة وراء مقتل عثمان

عندما اشتدت النعمة الشعبية على عثمان لم يهتم ابن عفان بها ولم يستجب لشروط الشعب ومطالبهم، بل قال على منبر رسول الله ﷺ:

أما بعد فإن لكل شيء آفة ولكل أمر عاهة، وإن آفة هذه الأمة وعاهة هذه النعمة عتَابون طقانون يرونكم ما تحبون ويسترون عنكم ما تكرهون، أمثال النعام يتبعون أول ناعق...

فقام مروان بن الحكم فقال: إن شتمت حَكْمًا بهننا وبينكم السيف.
فقال عثمان: اسكت لا سكت، دعني وأصحابي^(١).

وهناك أسباب كثيرة لمقتل عثمان بن عفان جديرة يبحثها من قبل المفكرين والعلماء ليكون الناس على بينة منها ومن الأجواء المحيطة بعثمان في ذلك الزمان الغابر: وقد سعى السلاطين وبالحصوص ملوك بني أمية إلى طمس معالم الثورة الإسلامية على عثمان وتشويه سمعة الأنصار والمهاجرين.

وفي نفس الوقت سعوا إلى إخفاء أفعال وأعمال عثمان وبطائنه الفاسدة.
واليك عزيزي القارئ شرحاً موجزاً للأسباب الحقيقية المتسببة في مصرع عثمان بن عفان.

١ - السبب الأول لمقتل عثمان عدم اهتمامه بالاحتجاجات والمطالب الشعبية فلم يغيّر ولاته الفسقة الفجرة من أمثال معاوية وابن أبي سرح والوليد بن عتبة الفاسق بنص القرآن الكريم:

(١) الكامل في التاريخ، بآب الأثير ٣/ ١٥٣، العقد الفرید ١/ ٢٧٠، شرح النهج ٩/ ٢٦٥، البداية والنهاية ٧/ ١٨٩.

﴿إِذَا جَاءَ كُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾.

وعبدالله بن عامر ووزيره مروان بن الحكم.

٢ - بعد اشتداد الثورة الشعبية على عثمان في الكوفة جرّاء أعمال الوليد بن

عقبة الفاسق أبدله عثمان بسعيد بن العاص الفاجرا

فلقد اشتدّ ولائه في فجورهم وعظم طغيانهم، وكثرت زلاتهم فطُفح كيل صبر الأمة ونفذ تحملهم، ورفع المؤمنون والفاسقون راياتهم على عثمان، وكان العدل كفيلاً بإسكاتهم وتهديّاتهم لكنّ ابن عفان توسّل بالقوّة والمكر للقضاء على الثورة فأخطأ خطأ جسيماً كان فيه نهايته.

٣ - بعد طرد الناس لعبدالله بن أبي سرح من مصر وإخراج الناس سعيد بن

العاص من الكوفة وطرد عبدالله بن عامر من البصرة، تحرّرت الولايات الكبرى من سلطة العاصمة وأصبحت ولايات مستقلة!

فتساقبت جماهيرها في الاقتصاص من عثمان وأعوانه وكان ذلك التسابق كفيلاً بإسقاط النظام وتحلّل أركانه، وكتب مسلموا المدينة إلى الآفاق: أن اقدموا فإن كنتم تريدون الجهاد فالجهاد عندنا^(١).

٤ - وأصبحت الدولة الإسلامية لمدة شهرين بلا قيادة، بعد محاصرة الشوار

لبيت عثمان في المدينة وعزله عن العالم الخارجي وحدثت مناوشات حامية بين الطرفين ذهب ضحيّتها العديد من المسلمين.

وبعد سقوط البصرة والكوفة ومصر بيد الثوار بقيت الشام بيد الدولة لكن

معاوية لم يساعد عثمان بل انتظر مقتله!

٥ - ضعف شخصية عثمان تسببت في سيطرة حاشيته عليه وعلى رأسهم مروان بن الحكم الذي ألّب الرأي العام عليه وشحذ همم الناس في معارضته. وكثيراً ما تسقط حكومات العالم من أعمال بطانة الزعماء غير المسؤولة، واستمرار الدعم اللامحدود لهم.

فلقد أعطى عثمان عهداً للناس علناً وقال:

فوالله لئن ردني الحق عبداً لاستنّ بسنة العبد، ولأذلف ذلّ العبد وما عن الله مذهب إلا إليه، فوالله لأعطينكم الرضا، ولأنحين مروان وذويه ولا احتجب عنكم فرقئ الناس وبكوا حتى أخضلوا الحاهم وبكى هو أيضاً.

وكان عثمان قد قال في بداية خطبته تلك: أنا أول من اتعظ، استغفر الله مما فعلت وأتوب إليه.

ولكن مروان وسعيد تكلمتا معه بعد خطبته تلك وأعاداه إلى سيرته الأولى، فسمح لمروان بالكلام مع الجباهير الغاضبة في باب الدار.

فقال مروان: ما شأنكم قد اجتمعتم كأنكم قد جئتم لنهب؟ شأهت الوجوه، إلا من أريد، جئتم تريدون أن تنزعوا ملكنا من أيدينا! اخرجوا عنا.

فقال علي عليه السلام لعبد الرحمن بن الأسود: احضرت خطبة عثمان؟

قال: نعم.

قال: أفحضرت مقالة مروان للناس؟

قال: نعم.

فقال علي عليه السلام أي عباد الله! يا للمسلمين إني إن قعدت في بيتي قال لي (عثمان): تركتني وقرابتي وحقّي، وإني إن تكلمت فجاء من يريد يلعب به (مروان) فصار

سابقة له يسوقه حيث يشاء بعد كبر ألسن وصحبة رسول الله، وقام مقضياً حتى دخل على عثمان فقال له: أما رضيت من مروان ولا رضي منك إلا بتحريكك عن دينك وعن عقلك مثل حمل الطعينة يقاد حيث يسار به.

والله ما مروان بهذا رأي في دينه ولا في نفسه^(١)، وأيم الله إنني لأراه سيوردك ثم لا يصدرك وما أنا بعائد بعد مقامي هذا لمعابتك، أذهبت شرفك وغلبت على أمرك.

فقال نائلة لزوجها عثمان: قد سمعت قول علي لك وإنه ليس يعاودك وقد أطعت مروان يقودك حيث يشاء، فإنك متى أطعت مروان قتلك^(٢).

وقد قال جبلة بن عمرو الساعدي لقومه: لم تردون على رجل (السلام) فعل كذا وكذا؟ ثم قال لعثمان: والله لأطرحن هذه الجامعة في عنقك أو لتتركن بطانتك هذه الخبيثة مروان وابن عامر وابن العاص، منهم من نزل القرآن بدمه وأباح رسول الله دمه^(٣).

ولكن عثمان استمر في الاعتماد على وزيره مروان وبطانته الفاسدة رغم عهوده للإمام علي عليه السلام والمسلمين بتنحيهم عن السلطة ومحاسبتهم على جرائمهم المالية والاجتماعية والسياسية.

٦- قرب عهد الصحابة بالنبي ﷺ جعلهم يأنفون من الظلم ويرفضون الباطل ويصرون على العدل والحرية. لكن عثمان أصر على الابتعاد عن العدل والحرية والمساواة.

(١) الكامل في التاريخ، ابن الأثير ١٦٦/٣.

(٢) تاريخ الطبري ٥/١١٢، ط اوربا، تاريخ ابن الأثير ١٦٦/٣.

(٣) الكامل في التاريخ، ابن الأثير ١٦٨/٣.

٧- اعتماد عثمان على حلّ الأمور بصورة قسرية عسكرية أفقده السعي لحلّ الأمور بشكل مناسب.

فبعد رسائله إلى ولاته بتوجيه الجيوش إليه بقي عثمان منتظراً وصولهم للقضاء على الثورة بالطريقة الحربية فتأخّرت تلك العساكر في الوصول إلى المدينة وامتنع معاوية من إرسال جنوده للخليفة! ولم يعتمد عثمان على المنطق والحكمة والعدالة في إرضاء الجماهير الساخطة.

٨- مشاركة عثمان في مقتل الخليفة أبي بكر دفع ذويه للانتقام منه جسدياً فأصدرت عائشة فتواها بقتله^(١).

ومنع طلحة الماء عنه وحاصره في بيته وبذل بعضاً من أمواله العظيمة المستلمة من عثمان في سبيل القضاء عليه.

٩- الاغتيالات الكثيرة التي نفذها عثمان وجهازه في حقّ الصحابة البارزين سهّلت على الناس الإقدام على قتله والتوسّل بالقوّة لحلّ معضلاتها، فلقد رغبت قبائل كثيرة في الثأر لأنفسها من عثمان بن عفان.

١٠- نظرية أبي بكر وعمر وعثمان في تصفية أعدائهم جسدياً مثل رسول الله ﷺ وسعد بن عباد والحباب بن المنذر وخالد بن سعيد بن العاص وسيدة نساء العالمين فاطمة ؓ وأبي ذر وابن مسعود وأبيّ بن كعب أوجد جبهة معارضة واسعة للنظام تودّ القضاء عليه وعلى أفرادَه جسدياً فقتل المسلمون عثمان.

١١- اغتيال رسول الله ﷺ بواسطة عائشة وحفصة وأبهما واغتيال فاطمة ؓ بواسطة أبي بكر وعمر، واغتيال أبي بكر بواسطة عمر وعثمان واغتيال

عمر بواسطة الأمويين والمغيرة سهّل على الناس قتل عثمان وشجّع الجباهير على عمليات القتل^(١).

ولم يسلم من هذه الإجراءات الامام علي بن أبي طالب عليه السلام فذهب هو أيضاً ضحية هذه الأعمال فقتل بواسطة الخوارج. ١٢ - أطلاع الناس على الأحاديث النبوية بحق عثمان من لسان عائشة والصحابة جوّز لهم تلك العملية الجريئة المتمثلة في ذبح عثمان^(٢)، وأكد ذلك فتاوى الصحابة بقتله قصاصاً لدماء المؤمنين.

الذين أفتوا بقتل عثمان

بعث عثمان في طلب الأشر فجاه فساله ماذا يريد الناس؟

قال مالك الأشر: ثلاث ليس من إحداهن بدّ. قال: ما هن؟ قال: يخبرونك بين أن تخلع لهم أمرهم فتقول: هذا أمركم فاخhtarوا من شئتم. وبين أن تقتصّ من نفسك، فإن أبيت فإنّ القوم قاتلوك. فقال عثمان: أما أن أخلع لهم أمرهم فما كنت لأخلع سربالاً سربلينة الله. وأما أن أقتصّ لهم من نفسي فوالله لئن قتلتهموني لا تحابون بعدي ولا تصلون بعدي جميعاً^(٣).

أما طلحة بن عبيدالله فهو أول رام يسهم في دار عثمان ولما اشتدّ الحصار طلع عثمان وظماً به العطش فنادى أيّها الناس، اسقونا شربة من الماء وأطعمونا ممّا

(١) راجع كتابي هل اغتيل النبي صلى الله عليه وسلم واغتيال الخليفة أبي بكر للمؤلف.

(٢) وطغيان عثمان برز في انه على على درجة النبي في منبره بينما المحط عنها درجة ابو بكر وعمر، العواصم من القواصم.

ابن حرير ٦١.

(٣) البداية والنهاية ٢٠٦ / ٢.

رزقكم الله، فناداه الزبير بن العوام: يا نعثل لا والله لا تذوقه^(١). وقال تغلبة بن يزيد الحماني للزبير بن العوام وهو عند أحجار الزيت:

يا أبا عبد الله قد حيل بين أهل الدار وبين الماء فنظر نحوهم وقال: حيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياءهم من قبل إنهم كانوا في شكٍّ مريب^(٢).

قال أبو ذر: والله لقد حدثت أعمال ما أعرفها والله ما هي في كتاب الله ولا سنة نبيه والله إنني لأرى حقاً يطفأ وباطلاً يحى وصادقاً يكذب وإثرة تغير تقى وصالحاً مستأثراً به^(٣).

وقال عمار بن ياسر في مسجد قباء: إن نعثلاً هذا فعل وفعل^(٤). وقال الإمام علي عليه السلام إن لم يقتله ولا أمر بقتله ولا مالاً عليه ولا رضي به^(٥).

ولما ثبت عند الجميع محاولة عثمان التآمر لقتل محمد بن أبي بكر هجم محمد بن أبي بكر ومجموعة الثوار على بيت عثمان. فأخذ محمد بلحيته قاتلاً: على أي دين أنت يا نعثل؟

قال: على دين الإسلام، قال: غيرت كتاب الله.

فقال: كتاب الله بيئي وبينكم، فتقدم إليه محمد وأخذ بلحيته وقال: إننا لا يقبل منا يوم القيامة أن تقول: إننا أطعنا ساداتنا وكبراءنا فأضلونا السبيل وشحطه بيده من البيت إلى الدار، وعثمان يقول: يا ابن أخي ما كان أبوك ليأخذ بلحيتي^(٦).

(١) الجبل، المفيد ٧٤.

(٢) الجبل، المفيد ٧٤.

(٣) شرح النهج ٣/ ٥٥، أنساب الأشراف ٥/ ٥٣.

(٤) أنساب الأشراف، البلاذري، ٣٦٥.

(٥) البداية والنهاية ٢/ ٢١٦.

(٦) طبقات ابن سعد ٣/ ٧٣، أنساب الأشراف ٥/ ٨٢، ٩٢، ٩٨، البداية والنهاية ٧/ ١٩٣، تاريخ ابن الأثير ٣/ ١٧٨.

شرح النهج ٢/ ١٥٧، الإمامة والسياسة ١/ ٤٤.

عجيب، الدهر يكرّر المشاهد وينتقم من القتلة، فقد قتل عثمان أبا بكر حينما كانا لوحدهما ولم يرحمه ولم يرع صداقته الطويلة معه.

بل كتب وصية أبي بكر وزورها بيده دون حضور شاهد ولم تختم بختم أبي بكر ولا كتبها أبو بكر بيده!!

وبعد إثنين وعشرين سنة فقط أفتت عائشة بقتل عثمان انتقاماً لأبيها وسحبته محمد بن أبي بكر من لحيته وذبحه طلحة التيمي (ابن عم أبي بكر).

وروى الطبري أن عثمان لما حصر كان علي عليه السلام في خيبر في ماله فلما قدم أرسل إليه يدعوه فلما دخل عليه قال له: إن عليك حقاً حق الإسلام...

والله لو لم يكن من هذا كله شيء وكنا في جاهلية لكان عاراً على بني عبد مناف أن يبتزهم أخو تيم ملكهم - يعني طلحة -.

فقال له عليه السلام: سيأتيك الخبر ثم قام فدخل المسجد فرأى أسامة بن زيد جالساً فدعاه فاعتمد على يده وخرج يمشي إلى طلحة فدخل داره، وهي دحاس من الناس فقام عليه فقال: يا طلحة ما هذا الأمر الذي وقعت فيه؟

فقال: يا أبا الحسن أبعد ما مس الحزام الطيبين. فانصرف علي عليه السلام ولم يجر إليه شيئاً حتى أتى بيت المال فنادى: افتحوا هذا الباب فلم يقدروا على فتحه فقال: اكسروه فكسر فقال: أخرجوا هذا المال فجعلوا يخرجونه وهو يعطي الناس وبلغ الذين في دار طلحة ما صنع علي عليه السلام فجعلوا يتسللون إليه حتى بقي طلحة وحده.

وبلغ الخبر عثمان فسرّ بذلك ثم أقبل طلحة عامداً إلى دار عثمان فاستأذن عليه فلما دخل قال: أستغفر الله وأتوب إليه لقد رمت أمراً حال الله بيني وبينه.

فقال عثمان: إنك والله ما جئت تائباً ولكن جئت مغلوباً الله حسيك يا

طلحة^(١).

وأفتى عبدالله بن مسعود بقتل عثمان في الكوفة وقال: إن شر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار (يعرض بذلك بعثمان وواليه الوليد بن عقبة)^(٢)، وأفتى عبدالرحمن بن عوف بقتله قائلاً في مرضه: عاجلوه قبل أن يظغى ملكه^(٣).

وقال ابن عوف للإمام علي عليه السلام: خذ سيفك وأخذ سبيي إنه (عثمان) قد خالف ما أعطاني^(٤).

وقالت عائشة وحفصة: اقتلوا نعتلاً فقد كفر^(٥).

وقال عبدالرحمن بن عوف: لقد صدقنا عليك ما كنّا نكذب فيهك تذكيراً منه لقول أمير المؤمنين علي عليه السلام في الشورى:

أما أني أعلم أنهم سيولون عثمان وليحدثن البدع والأحداث، ولئن بقي لأذكرنك وإن قُتل أو مات ليتداولها بنو أمية بينهم، وإن كنت حتماً لتجدني حيث تكرهون^(٦).

لقد صدق عبدالرحمن بن عوف متأخراً نصائح الإمام علي عليه السلام له في الشورى فدعا الإمام لمহারبة عثمان قائلاً: إذا شئت فخذ سيفك وأخذ سبيي، إنه (عثمان) قد خالف ما أعطاني^(٧).

(١) شرح النهج ٨/١٠، تاريخ الطبري ٣٧١/١.

(٢) أضواء على السنة المحمدية، أبو رية ٢٦٠.

(٣) أضواء على السنة المحمدية، أبو رية ٢٦١.

(٤) الفتوح، ابن أعم ٦/١.

(٥) راجع علاقة عائشة - عثمان في هذا الكتاب.

(٦) تاريخ الطبري ٤/٢٣٠.

(٧) الفتوح، ابن أعم ٦/١، أنساب الأشراف ٥٧/٥.

فوجد ابن عوف صدق قول الإمام علي عليه السلام في عثمان إذ أحيا البدع وارتكب المعاصي وقتل المؤمنين. ثم قال له ولأضرابه في المشروع القرشي الحاقدين على أهل البيت عليه السلام وإن كنت حيّاً لتجدني حيث تكرهون.

أي ستلاحظون عودة الخلافة الشرعية لي ببيعة شعبية عارمة وهذا ما كرهتموه في السقيفة والشورى وغيرها. ثم تداولت بنو أمية الخلافة الإسلامية فجعلوها ملكاً وراثياً عقيماً يتناوله الطفافة منهم.

أثر ابن عوف في مقتل عثمان

قال ابن عوف: خلعت عثمان من الخلافة كما خلعت سربالي هذا. فأجابه مجيب من الصف الأول: «الآن وَقَدْ قَضَيْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ»^(١)، فنظروا من الرجل، فإذا هو علي بن أبي طالب عليه السلام. وقبل موته: أوصى عبدالرحمن لثلاث يصلي عليه عثمان^(٢).

وذكر الواقدي في تاريخه رواية، دخلت على عبدالرحمن في شكواه الذي مات فيه أعوده - فذكر عنده عثمان، فقال: عاجلوا طاعتكم هذا قبل أن يتأذى في ملكه. قالوا: لا عهد لناقض.

وذكر الثقيفي في تاريخه عن بلال: كنت مع عبدالرحمن جالساً فطلع عثمان فصعد المنبر، فقال عبدالرحمن: فقدت أكثرك شعراً وأن عثمان أنفذ المسور بن مخرمة^(٣) إلى

(١) يونس ٩١.

(٢) ذكره البلاذري في الأنساب ٥ / الفداء في تاريخ ١ / ٦٦، وابن عبد البر في العقد الفريد ٢ / ٢٥٨، و٢٦١، و٢٧٢، قالوا: دخل عثمان عائداً له في مرضه فتحوّل عنه إلى الحائط ولم يكلمه. وقريب منها في شرح ابن أبي الهديد ١ /

٦٥ - ٦٦.

(٣) نعلها نحرأ: هزيمة. وهو غلط.

الكف عن التحريض^(١) عليه.

فقال له عبدالرحمن: أنا أقول هذا القول وحدي؟ ولكن الناس يقولون جميعاً.
قال المسور: فإن كان الناس يقولون فدع أنت ما تقول فيه؟
فقال عبدالرحمن: لا والله ما أجده ثم قال له: قل له: يقول لك خالي: اتقى الله
وحده لا شريك له في أمة محمد وما أعطيتني من العهد بكتاب الله وسنة صاحبك
فلم تف^(٢).

الخطير في علاقة ابن عوف - عثمان كونها علاقة قائمة على أسس تجارية مادية
لا علاقة لها بالدين كالعلاقة التي كانت قائمة بين أبي جهل وأبي لهب والعلاقة القائمة
بين عمار بن الوليد بن المغيرة وعمرو بن العاص.

ففي سفرتهما للحبشة رغب عمار في الزنا مع امرأة ابن العاص فأبى أولاً ثم
رضى لكنه حقد على عمار وخطط لقتله فقتله. وكان ذلك في الجاهلية بينما
استمرت علاقة ابن عوف - عثمان قائمة على نفس الأسس في الإسلام وفي أعلى
منصب حكومي إذ باع ابن عوف منصب الخلافة لعثمان عارفاً بشخصه وميوله
الأموية وحرصه على الحكم وعدم اعتناؤه بغير الأمويين وعدم اهتمامه بالعقود
والعهود.

حصل ابن عوف على هذه المعلومات القيمة عن طبيعة عثمان بعد معايشرة
دامت أكثر من أربعين سنة في مكة والمدينة. وبعد هذا جاء ابن عوف مطالباً عثمان
 بإعادة الحكم إليه وفق اتفاقهما في تناوب الخلافة.

(١) كذا، بالضاد المعجمة - قال في القاموس ٢ / ٢٩٧: الحرص: الجشع.. والحرص: الشق وقال فيه ٢ / ٣٢٧، حثه
وقال قبل ذلك: أحرصم، أفسده.

(٢) كما صرح به ابن حجر في الصواعق المحرقة: ٦٨.

وهذا نابع من غباء ابن عوف فردّه عثمان أولاً رداً سهلاً ثم رداً صعباً ثم قتله. وأغلب رجال السياسة يبيعون قيمهم لمنازل دنيوية بعيداً عن القيم السماوية. ودون تحقيق في مناهج وأهداف وأخلاق أصحابهم في السلك الحزبي والحكومي. ولم تتوقف القضية عند مقتل ابن عوف الحريص على السلطة بل أجج ابن عوف الثورة على عثمان بدعوته للانتفاضة الشعبية، وفتواه بقتل عثمان الخارج على الدين والمخالف لسيرة الشيخين، والفادر باتفاقه معه على تناوب الخلافة. فساعد هذا التصرف الجاهلي من الإثنين على تشويه الثقافة الإسلامية وتضعيف القيم السياسية فرضي الناس تدريجياً بأفعال معاوية ويزيد ومروان. وقد اندهش الناس وهم يرون ابن عوف يبايع عثمان في المسجد النبوي يوماً. ثم تعجبوا من دعوة ابن عوف لعزل عثمان وقتله في المسجد النبوي يوماً آخر!

مقتل عثمان بفتوى عائشة

قال حكيم بن عبد الله دخلت مسجد المدينة فإذا كف مرتفعة وصاحبة الكف تقول: أيها الناس العهد قريب هذان نعلا رسول الله وقمصه (وكأنني أرى ذلك القمص يلوح) وتقول: وإن فيكم فرعون هذه الأمة. فإذا هي عائشة. وعثمان يقول لها: اسكتي ثم يقول للناس إنها امرأة وعقلها عقل النساء فلا تصفوا إلى قولها.

وفي يوم آخر رفعت عائشة ورقة من المصحف بين عودتين من وراء حجلها وعثمان قائم ثم قالت يا عثمان: أقم ما في هذا الكتاب. فقال: لتنتهين عما أنت عليه أو لأدخلت عليك حر الناس. فقالت له عائشة:

أما والله لئن فعلت ذلك بنساء النبي يلعنك الله ورسوله^(١).

ولما أفتت عائشة بقتل عثمان: اقتلوا نعتلاً لقد كفر^(٢) وتيقنت بقرب قتله أرادت الخروج إلى مكة للفرار من تبعة فتواها فجاءها مروان بن الحكم وسعيد بن العاص فقالا لها:

إذْ لَنْظُنَّ أَنَّ الرَّجُلَ مَقْتُولٌ وَأَنْتِ قَادِرَةٌ عَلَى الدَّفْعِ عَنْهُ فَإِنْ تَقِيْمِي يَدْفَعُ اللَّهُ بِكَ عَنْهُ. قالت: ما أنا بقاعدة وقد قدّمت ركابي وغربت غرائري وأوجبت الحج على نفسي. فخرج من عندها مروان يقول: زخرف قيس عليّ البلاد حقاً إذا اضطربت. فسمعت عائشة فقالت: أيّها المتمثل هلمّ قد سمعت ما تقول أتراني في شكّ من صاحبك، والله لو ددت أنّه في غرارة من غرائري حقاً إذا مررت بالبحر قذفته فيه. فقال مروان: قد والله تبنّيت قد والله تبنّيت.

فسارت عائشة إلى مكة فاستقبلها ابن عباس بمنزل يقال له الصلعاء فقالت يا بن عباس إنّك قد أوتيت عقلاً وبهائناً وإيّاك أن تردّ الناس عن قتل الطاغية^(٣). وقالت عائشة له في المسجد النبوي في صلاة الجمعة: يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود^(٤).

إنّ هذه الخطب النارية لعائشة أسقطت عثمان وحطّمت معنوياته، فأصبح زعيماً بلا شعب ورأساً بلا قاعدة. هل يسعى الناس لإزاحته عن عرشه والتنكيل به وبجابه فكان المسلمون يلعنونه في صلاة الجمعة ويرمون بالحجارة وعائشة

(١) الجمل، المفيد ٧٦، تاريخ ابن الأثير ٣ / ٨٠، النهاية ٤ / ١٦٦.

(٢) البحار ٣٢ / ١٣٦، النهاية ٥ / ٨٠، تاريخ الطبري ٤ / ٤٥٩، الإمامة والسياسة ١ / ٤٩.

(٣) الجمل، المفيد ٧٧، البحار ٣١ / ٢٩٩.

(٤) سورة هود ٩٨، البحار ٣١ / ٢٩٧.

تذكرهم بأحاديث النبي ﷺ فيه.

وتذكر المسلمين بدينهم وكتابهم ومحاولات عثمان المتكررة للنيل منها.

فكانت أقوالها ولعناتها تصب على عثمان صب الزيت على النار.

فهي تسمي عثمان بفرعون والطاغية ونعتل. وتكررت هذه الضربات القاصمة من عائشة وباقي رؤوس المعارضة ابن عوف، ابن مسعود، أبي ذر وعمار، والمقداد والزبير وطلحة وابن أبي وقاص وابن أرقم وابن العاص والمغيرة وحذيفة بن اليمان وحفصة ومالك الأشتر ومحمد بن أبي حذيفة.

فهل يستطيع زعيم البقاء في منصبه وأعدائه بهذه القوة العظيمة وهذه المكانة الكبيرة؟ ولما قالوا لعائشة قُتل عثمان وولي الحكم ابن عمك طلحة قالت: إيه ذا الأصبع^(١).

وقالت: أحسن أبا محمد (طلحة) حين حال بين عثمان وبين الماء فقالت لها بنت قدامة: يا أمّاه أعلى عثمان؟

فقالت: إن عثمان غير سنة رسول الله ﷺ وسنة الخليفين من قبله فحل دمه^(٢).

ولما أخبروها ببيعة الناس للإمام علي عليه السلام قالت: وددت أن السموات وقعت على الأرض^(٣).

وطلب عثمان من عائشة الوساطة عند طلحة في قطعه الماء عنه وتحريض

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) البحار ٢٢٩ / ٣١، شرح النهج ٢ / ٧٧.

الناس على قتله فأبَت عائشة^(١).

والعجيب من عثمان كيف كان يتشبَّث بالقشة لانقاذ نفسه حتى تشبَّث بعائشة المفتية بقتله للترحم عليه فلم ترحمه! وكلما طلب الوساطة من أمير المؤمنين علي عليه السلام تدخل وأنقذه فهو الذي أرسل إليه الماء وحماه رغم العداء السافر الذي كان يكتنه عثمان لأهل البيت عليه السلام، وما فعله من خطوب في حقهم مثل فراره من الحروب وامتناعه عن بيعه الرضوان وعمرته في سنة الحديبية والنبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمون لم يُسمح لهم بالعمرة ومشاركته في إحراق بيت فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقتلها^(٢).

وبعدما قتلت عائشة عثمان بفتواها وتحريضها فرحت كثيراً وأعلنت سرورها وبينت انتصارها وأنسها.

وشاركتها في أتراحها وفوزها حفصة بنت عمر فهما على نهج واحد وانسجام كامل وأهداف متسقة ومن معدن واحد.

وقال طلحة في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: لئن قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا نكهن عائشة بنت أبي بكر.

فزلت آية: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنْكِرُوا آيَاتَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا﴾^(٣).

(١) المصدر السابق.

(٢) تاريخ أبي الفداء ١/ ١٧٢، شرح النهج ٢/ ٩١، طبقات ابن سعد ٢٥/ الإمامة والسياسة ١/ ٤٣، ٤٦، ٥٧.

تاريخ الطبري ٥/ ١٤٠، ١٦٦، ١٧٢، العقد الفريد ٢/ ٢٦٧، ٢٧٢، تاريخ دمشق، ابن عساكر ٧/ ٣١٩.

الاستيعاب في ترجمة صخرين قيس ٢/ ١٩٢، تذكرة سبط ابن الجوزي ٣٨، ٤٠، النهاية، ابن الأثير ٤/ ١٦٦.

أسد الغابة ٣/ ١٥، تاريخ ابن الأثير ٣/ ٨٧، حياة المهوان، الدويري ٢/ ٣٥٩، السيرة الحلبية ٣/ ٣١٤، لسان

العرب ١٤/ ١٩٣، تاج العروس ٨/ ١٤١.

(٣) الأحزاب ٥٣.

وفي رواية أن طلحة قال: لئن أمات الله محمداً لتركضن بين خلاخيل نسائه كما ركض بين خلاخيل نساتنا^(١).

وقال الجاحظ لو قال قاتل لعمر: أنت قلت أن رسول الله ﷺ مات وهو راضٍ عن الستة فكيف تقول لطلحة إنه مات ﷺ ساخطاً عليك للكلمة التي قلتها لكان قد رماه بمشاقصه، ولكن من الذي كان يجسر على عمر أن يقول له ما دون هذا فكيف هذا؟^(٢)

وهذا يبين عدم احترام طلحة لرسول الله ﷺ وعدائه له وحقده عليه فمن تمقن في قول طلحة لسبر أغوار هذا الرجل وفهم عدم اعتقاده بنبوة خاتم الرسل واعتناقه الإسلام في سبيل أغراضه الدنيوية.

لذا فرّ طلحة في كل المعارك الإسلامية وعارض خلافة أهل البيت ﷺ، أما الجاحظ فكان بكرياً معادياً عمر بن الخطاب شأنه في ذلك شأن رجال الحزب البكري أمثال خالد بن الوليد وطلحة بن عبيد الله والمثنى بن حارثة الشيباني وعتبة بن غزوان وأبي عبيدة بن الجراح وعتاب بن أسيد.

فالجاحظ يظهر مثالب عمر ويعلق عليها ويتهم من أفعاله ويستتر على مطاعن أبي بكر ويخفيها ويبرزها شأنه في ذلك شأن الحزبيين المتزمتين.

ولو سار الجاحظ في تعليقه على الإثنين معاً لأنصف نفسه وأنصفها وخطى الخطوات التي نخطوها في كلماتنا وصفحاتنا هذه.

فقد بين الجاحظ الخوف السياسي والحزبية الممنوعة في زمن عمر وهو عين الواقع. إذ لم يسمح ابن الخطاب لأحد في مناقشته وردّ كلامه وهو عين الاستبداد

(١) البهار ٢١/٢٨٨.

(٢) شرح النهج ١٨٦/١، البهار ٣١/٢٨٨.

الكامل في الحكم والدكتاتورية المنفرة للنفوس. بينما سمح خاتم الرسل للمعارضة السياسية بالكلام والأخذ والردّ ولما أراد أصحابه قتل أعرابي سحب رداءه قال لهم ﷺ: إنما هو قول بقول.

وكذلك فعل أمير المؤمنين علي عليه السلام، بينما كان طغاة مكة يلتزمون بمنهج الاستبداد في ردّ معارضتهم وقتلهم وسجنهم، وهو منهج أعرابي لا يمتّ إلى الإسلام بصلة.

مَنْ قَتَلَ عُمَانَ بْنِ عَفَّانَ؟

عادة يكون القاتل من الحاقدين جداً على المقتول وهو الدافع له للفتك بالضحية والإجهاز عليه، وغالب عمليات القتل العمد تعتمد على هذا النوع من التوجهات وكان طلحة التيمي المتهم الأول بقتله، من أشدّ الناس حقداً وغضباً على عثمان بن عفان لأسباب منها:

١- الثأر لدماء أبي بكر التيمي الذي قتله عثمان غيلة واستحوذ على مركزه السياسي في الدولة بصورة غادرة وماكرة يستحقّ لأجلها القتل من قبل أصحاب الدم وهم أرحام أبي بكر.

٢- العداء السياسي والحزبي بين الإثنين فعثمان من حزب عمر وطلحة من حزب أبي بكر والتنافس بينهما شديد جداً، فلقد تخاصما في زمن حكم عمر في المسجد النبوي أمام الملأ من المسلمين، وانحاز عمر إلى جانب عثمان.

فقال عمر لطلحة: أفي مسجد رسول الله تقولان الهجر وما لا يصلح من القول

ما أنت مفي بناج^(١).

لذلك صمّ طلحة على قتل عثمان عطشاناً إذ منع عنه الماء أياً ما عديدة وهي عادة جاهلية يرفضها الإسلام وفعلاً قتله عطشاناً، إذ أرسل طلحة إثنين من عبيده من البيت المجاور لعثمان فذبحاه^(٢).

وعرف مروان بن الحكم صهر عثمان بالعملية والقائد لها فصمّ على الانتقام لصهره وابن عمّه وصاحب الفضل عليه بالوزارة، والمصاهرة وفي معركة الجمل كان طلحة ومروان في جيش عائشة يطالبان بدماء عثمان.

ولاحظ مروان بأن قاتل عثمان يقف أمامه فكيف لا ينتهز هذه الفرصة الذهبية ويقتله. فصوّب سهمه إلى طلحة وقتله وهو يقول: لا أطالب بدماء عثمان بعد اليوم! وخاف الأمويون من فضيحة طلحة وانكشاف الأوضاع وإطلاع الناس على الواقع، وسقوط طلحة يعني سقوط الحزب القرشي ونظرياته.

فلعبت يد السياسة بالأحداث فأرادت توجيه الاتهام لغير طلحة بقتله، وانقاذ هذا الصحابي من تلك الأفعال والأقوال المخزية التي ارتكبها. فهو قتل عثمان وطالب بدمه، وهو منع الماء عن عثمان أياً ما طويلة ثم وقف مدافعاً عنه لأجل السياسة والدنيا، فظهرت الأقوال الأموية في زمن كتابة التاريخ المزوّر باتهام رجال آخرين بدماء عثمان، فقالوا قتله جيلة بن الأسم وقيل كبيرة السكوني وقيل كنانة بن بشر التميمي^(٣).

(١) تاريخ المدينة المنورة، ابن شعبة ١/ ٣٣.

(٢) البحار ٣١/ ٢٨٥.

(٣) المستدرک، الحاکم ٣/ ١١٥، البحار ٣١/ ٤٩٧، تاريخ دمشق، ابن عساکر ٧/ ١٧٥، الرياض، الحبّ

الطبري ٢٠/ ٣٠.

مقتل عثمان

في الثامن عشر من ذي الحجة من سنة خمس وثلاثين من الهجرة، قُتل عثمان بن عفان^(١) بن الحكم بن أبي العاص بن ذكوان بن أمية الرومي^(٢)، كنيته: أبو عمرو، وأبو عبدالله، وأبوليل، مولده في السنة السادسة بعد الفيل ببيع له سنة ٢٤ هجرية. مدة ولايته اثنا عشر سنة إلا أياماً، قُتل بالسيف وله يومئذ إثنان وثمانون سنة، وقيل: ست وثمانون سنة، وأُخرج من الدار وأُلقي على بعض مزابل المدينة لا يقدم أحد على مواراته خوفاً من المهاجرين والأنصار، حتى احتيل لدفنه بعد ثلاث، فأخذ سراً فدفن في حشّ كوكب، وهي مقبرة كانت لليهود بالمدينة، فلما ولي معاوية بن أبي سفيان وصلها بمقابر أهل الإسلام.

وفي هذا اليوم بعينه بايع الناس أمير المؤمنين^(٣) بعد عثمان، ورجع الأمر إليه في الظاهر والباطن، واتفقت الكافة عليه طوعاً بالاختيار^(٤)، وفي هذا اليوم أخزى الله عز وجل فرعون وجنوده من أهل الكفر والضلال، وفيه نجى الله تعالى إبراهيم^(٥) من النار وجعلها برداً وسلاماً كما نطق به القرآن، وفيه نصب موسى بن عمران وصيه يوشع بن نون ونطق بفضلته على رؤوس الأشهاد، وفيه أظهر عيسى وصيه شمعون الصفا، وفيه أشهد سليمان بن داود^(٦) سائر رعيته على استخلاف آصف وصيه^(٧)، وفيه نصب رسول الله^(٨) أمير المؤمنين^(٩) ودل على فضلته بالآيات والبيّنات، وهو يوم كثير البركات.

(١) العدد القوي في المخاوف اليومية ٢٠٠ - ٢٠١.

(٢) البحار ٣٠ / ٥٤٣، الزام الناصب ١٠٤، شرح النهج ١٥ / ١٩٨، النزاع والتخاصم ٢٢، الروض الأنف ٥ / ١٨٥.

(٣) ومن قوله: في هذا اليوم.. إلى هنا ذكره العلامة المجلسي أيضاً في بحاره ٩٨ / ١٩٤.

وكان أوّل من دخل عليه الدار محمد بن أبي بكر فأخذ بلحيته، فقال له: دعها يا بن أخي فوالله لقد كان أبوك يكرمها، فاستحي وخرج^(١) ثم دخل رومان بن أبي سرحان - رجل أزرق قصير محدود عداة في مراد، وهو من ذي أصبح - معه خنجر فاستقبله به وقال: على أيّ دين أنت يا نعل؟

فقال عثمان: لست بنعل، ولكي عثمان بن عفان، وأنا على ملّة إبراهيم حينفأ مسلماً وما أنا من المشركين، قال: كذبت، وضربه على صدغه الأيسر فقتله، فخرّ، وأدخلته امرأته نائلة بينها وبين ثياها، وكانت امرأة جسيمة، ودخل رجل من أهل مصر معه السيف مصلتاً، فقال: والله لأقطعن أنفه، فعالج المرأة فكشف عن ذراعيها وقبضت على السيف فقطع إبهامها، فقالت لفلان عثمان يقال له: رباع ومعه سيف عثمان: أعني على هذا وأخرجه عني، فضربه الفلام بالسيف فقتله، وأقام عثمان يومه ذلك مطروحاً إلى الليل فحمله رجال على باب.

الدفن ليلاً

ولا يدفن المسلمون ميّاً ليلاً إلاّ لأمر خطيرة، وأوّل من دُفن ليلاً هو رسول الله ﷺ بعدما قتلتها الجماعة المسيطرة على الخلافة وطلبت فاطمة الزهراء رضي الله عنها دفنها ليلاً كي لا يحضر تشييعها من شارك في ظلمها، على رأس هؤلاء أبو بكر وعمر.

كذلك طلب ذلك عبدالله بن مسعود والمقداد بن عمرو من عمار بن ياسر أن يصلي عليها ويدفنها ليلاً كي لا يحضر مراسمها عثمان بن عفان^(٢). وتلا ذلك دفن

(١) في الاستيعاب ٢ / ٤٧٧ - ٤٧٨: الدار عليه بتقديم: فأخبر ..

(٢) تاريخ الطبري ٢ / ٤٤٨، صحيح البخاري، باب فرض الخمس ٥ / ١٧٧، أنساب الأشراف، البلاذري ١ / ٤٠٥،

عمر وعثمان ليلاً دون تشييع ولا حضور جماهيري! ولما مات عثمان لم يتمكن أهله من دفنه نهائياً خوفاً من الثوار الذين كانوا يرجوهم بالحجارة فدفن ليلاً بين المغرب والعمة، ولم يشهد جنازته إلا مروان بن الحكم وثلاثة من مواليه وابنته الخامسة^(١).

وبينما نفي عثمان أبا ذر الغفاري إلى صحراء الربذة ليموت هناك غريباً بين غلامه وزوجته، بقي جسد عثمان وعبيده ثلاثة أيام بلا دفن، فتفسخت الأجساد فقالت نائلة لعبدالرحمن بن عديس: «إنك أمس القوم رحماً وأولاهم بأن تقوم بأمرى، أغرب عني هؤلاء الأموات، فشتها وزجرها.

وقال نفر الذين دفنوا عثمان لكنانة بن بشر: إنك أمس القوم بنا رحماً فأمر بهاتين الجيفتين اللتين في الدار أن تخرجا، فكلّمهم في ذلك فأبوا ذلك»^(٢). وأقدم الناس على دفن عثمان في مقبرة اليهود (حش كوكب) غريباً بلا غسل ولا كفن ولا صلاة^(٣)، ورموا بعبيده على البلاط فأكلتها الكلاب^(٤).

(١) تاريخ الطبري ٤٣٩/٣.

(٢) نائلة زوجة عثمان، تاريخ الطبري ٤٣٨/٣، ٤٤٠.

(٣) تاريخ الطبري ٤٣٨/٣، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، الكامل في التاريخ ١٨٠/٣.

(٤) تاريخ الطبري ٤٤١/٣ حوادث سنة ٣٥ هجرية.

فهرس المصام

حرف الألف

- ١ - أنساب الأشرافه احمد بن يحيى بن جابر البلانري، تحقيق المحمودى مؤسسة الأعلمي بيروت.
- ٢ - الأخبار الموفقيات، الزبير بن يكار، المتوفى سنة ٢٥٦ هجرية طبع سنة ١٤١٦ هجرية وزارة الثقافة - بغداد.
- ٣ - الايضاح، للفضل بن شاذان النيسابوري، المتوفى سنة ٢٦٠ هجرية. مؤسسة الأعلمي - بيروت.
- ٤ - الإمامة والسياسة، ابن قتبية عبد الله بن مسلم الدينورى المتوفى سنة ٢٧٦ هجرية، شركة الطبى - مصر.
- ٥ - الاخبار الطوال، أحمد بن داود الدينورى المتوفى سنة ٢٨٢ هجرية - وزارة الثقافة والأرشاد - مصر.
- ٦ - اثبات الوصية، على بن الحسين بن علي المسعودي، المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف.
- ٧ - اضواء على السنة المحمدية، محمود ابو رية مؤسسة انصارىان ١٤١٦ هـ.

- ٨ - الطبقات الكبرى، ابن سعد، المتوفى سنة ٢٢٠ هجرية دار صادر - بيروت.
- ٩ - الإصابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، المتوفى سنة ٨٥٢ هجرية دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ١٠ - أسد الغابة، ابن الأثير علي بن محمد الجزري، المتوفى سنة ٦٣٠ هجرية دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ١١ - الامالي، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، المتوفى سنة ٤٦٠ هجرية. مؤسسة النشر الإسلامي، قم.
- ١٢ - الامالي، المفيد، منشورات النشر الإسلامي، قم.
- ١٣ - الإمام الحسين عليه السلام، عبد الله العلي، الشريف الرضي، قم.
- ١٤ - الاموال - أبو عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤ هجرية. دار الكتب العلمية
- ١٥ - الاخبار الموفقيات - الزبير بن بكار - منشورات الشريف الرضي - قم
- ١٦ - اطراف مسند الإمام أحمد، ابن حجر العسقلاني، دار ابن كثير، بيروت.
- ١٧ - الاختصاص، المفيد محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي المتوفى سنة ٤١٣ هجرية، منشورات جماعة المدرسين، قم.
- ١٨ - ارشاد القلوب - أبو محمد الحسن بن محمد الديلمي - منشورات الشريف الرضي - قم
- ١٩ - الاحتجاج، لأبي منصور أحمد بن علي الطبرسي، دار الاسوة، قم.
- ٢٠ - الارشاد. محمد بن محمد النعمان العكبري البغدادي المتوفى سنة ٤١٣ هجرية. مؤسسة آل البيت. قم

حرف الباء

- ٢١ - البداية والنهاية، ابن كثير، اسماعيل بن كثير الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤ هجرية مؤسسة التاريخ العربي بيروت.

- ٢٢ - البدء والتاريخ، احمد بن سهل البلخي، المتوفى سنة ٣٢٢ هجرية. دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٢٣ - بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، المتوفى سنة ١١١١ هجرية. مؤسسة الوفاء، بيروت.
- ٢٤ - البيان والتبيين، الجاحظ، دار صعب، بيروت.
- ٢٥ - بلاغات النساء لأحمد بن أبي طاهر طيفور المتوفى سنة ٢٨٠ هجرية. المطبعة الحيدرية - قم.

حرف الفاء

- ٢٦ - تاريخ الامم والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، المتوفى سنة ٣١٠ هجرية مؤسسة الأعلمي - بيروت.
- ٢٧ - تاريخ أبي الفداء اسماعيل بن علي، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٢٨ - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير أبي الفداء اسماعيل الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤ هجرية، دار احياء التراث العربي - بيروت.
- ٢٩ - تاريخ المدينة المنورة، عمر بن شبة النميري المتوفى سنة ٢٦٢ هجرية طبعة السعودية.
- ٣٠ - تاريخ أبي زرعة الدمشقي، عبد الرحمن بن عمرو النصري، المتوفى سنة ٢٨١ هجرية دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٣١ - تاريخ الخلفاء، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المتوفى سنة ٩١١ هجرية. الدار المتحدة - مصر.
- ٣٢ - تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر، المتوفى سنة ٢٩٢ هجرية دار صادر - بيروت ١٣٧٥هـ

- ٢٣ - تاريخ خليفة بن خياط، خليفة بن خياط العصفري، المتوفى سنة ٢٠٤ هجرية دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٢٤ - التنبيه والاشراف، علي بن الحسين المسعودي، المتوفى سنة ٣٤٥ هجرية دار صادر - القاهرة.
- ٢٥ - تاريخ مختصر الدول، ابن العبري غويغوريوس الملطي المتوفى سنة ٦٨٥ هجرية طبع مؤسسة نشر الثقافة الاسلامية - قم.
- ٣٦ - تنبيه الخواطر ونزهة النواظر، ورام بن أبي نؤاس المالكي، دار للتعارف - بيروت.
- ٣٧ - تثبيت الامامة، يحيى بن الحسين بن القاسم المتوفى سنة ٢٩٨ هجرية، دار السجاد، بيروت.
- ٢٨ - تفسير الميزان، محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة اسماعيليان، الطبعة الثانية قم.
- ٣٩ - تفسير التبيان، ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، مكتب الاعلام الاسلامي - قم.
- ٤٠ - تفسير مجمع البيان، لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، المتوفى سنة ٥٤٨ هجرية المكتبة العلمية - طهران.
- ٤١ - تقريب المعارف، لأبي الصلاح تقي بن نجم الحلبي، المتوفى سنة ٤٤٧ هجرية. طبع قم.
- ٤٢ - تاريخ بغداد، ابو بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي، المتوفى سنة ٤٦٣ هجرية دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٤٣ - تفسير الكاوسي، محمود البغدادي المتوفى سنة ١٢٧٠ هجرية. دار احياء التراث العربي، بيروت.
- ٤٤ - تنوير الحوالك في شرح موطأ مالك، جلال الدين السيوطي، دار الفكر - بيروت.

٤٥ - تاريخ الإسلام، محمد بن أحمد الذهبي، المتوفى سنة ٧٤٨ هجرية دار الكتاب العربي.

٤٦ - تفسير الفخر الرازي - دار احياء التراث العربي - بيروت.

٤٧ - تاريخ ابن الوردي، زين الدين بن عمر المتوفى سنة ٧٤٩ هجرية دار الكتب العلمية - بيروت.

٤٨ - تفسير الكشاف، الزمخشري، مكتب الإعلام الإسلامي ١٤١٤ هـ

٤٩ - تاريخ الخميس لحسين بن محمد بن الحسن الديارمري - دار صادر بيروت.

حرف الجيم

٥٠ - الجرح والتعديل، عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، المتوفى سنة ٣٢٧ هجرية. دار احياء للتراث العربي - بيروت.

٥١ - الجمل، المفيد محمد بن العكبري، مكتبة الداوري، طهران.

٥٢ - جمهرة أنساب العرب، علي بن أحمد بن حزم، المتوفى سنة ٤٥٦ هجرية. دار الكتب العلمية، بيروت.

٥٣ - جمل من أنساب الاشراف، احمد بن يحيى البلاذري، المتوفى سنة ٢٧٩ هجرية دار الفكر، بيروت - لبنان.

حرف الحاء

٥٤ - حياة الصحابة، محمد يوسف الكاندهلوي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٥٥ - حياة محمد، محمد حسين هيكل، طبع مصر.

٥٦ - حديث الافك - جعفر مرتضى - دار التعارف - بيروت

٥٧ - حياة الحيوان الكبير، محمد بن موسى الدميري، للمتوفى سنة ٨٠٨ هجرية.

منشورات الشريف الرضي - قم.

حرف الخاء

- ٥٨ - الخصال، محمد بن علي ابن بابويه القمي الصدوق، المتوفى سنة ٢٨١ هجرية.
منشورات النشر الإسلامي، قم.

حرف الدال

- ٥٩ - دلائل النبوة، احمد بن حسين البيهقي، المتوفى سنة ٤٥٨ هجرية دار الكتب العلمية بيروت.
٦٠ - دلائل الصدق، محمد حسن المظفر، دار المعلم، القاهرة.
٦١ - الدرجات الرفيعة. علي خان الشيرازي. مؤسسة الوفاء - بيروت

حرف الزاء

- ٦٢ - رجال الطوسي، ابو جعفر محمد بن الحسن المتوفى سنة ٤٦٠ هجرية. المكتبة الحيدرية، النجف.
٦٣ - الرد على المتعصب العنيد، ابن الجوزي، تحقيق المحمودي.
٦٤ - رجال الكشي، تحقيق مهدي الرجائي. مؤسسة آل البيت - قم.
٦٥ - رجال السيد بحر العلوم، محمد مهدي بحر العلوم. منشورات الصادق، طهران.
٦٦ - الروض الأنف، عبد الرحمن السهيلي المتوفى سنة ٥٨١ هجرية. دار احياء التراث العربي - بيروت.

حرف السين

- ٦٧ - السيرة الحلبيية، علي بن برهان الدين الحلبي الشافعي، المتوفى سنة ١٠٤٤ هجرية دار احياء التراث العربي - بيروت.

٦٨ - سيرة ابن اسحاق، محمد بن اسحاق بن يسار، المتوفى سنة ١٥١ هجرية دار الفكر بيروت

٦٩ - السيرة النبوية، أحمد زيني دحلان، للمتوفى سنة ١٣٠٤ هجرية دار احياء التراث العربي بيروت.

٧٠ - سيرة ابن هشام لأبي محمد عبد الملك بن هشام، شركة الحلبي - مصر ١٣٥٥هـ، ١٩٣٦ م.

٧١ - سيرة المصطفى، معروف الحسني، دار القلم، بيروت.

٧٢ - السيرة النبوية، عيون الأثر، محمد ابن سيد الناس، المتوفى سنة ٧٣٤ هجرية. مؤسسة عزالدین، بيروت.

٧٣ - السيرة النبوية، أبو حاتم محمد بن أحمد التميمي، المتوفى سنة ٣٥٩ هجرية دار الكتب العلمية، بيروت.

٧٤ - السقيفة وفدك، الجوهري، مكتبة ناصر خسرو، طهران.

٧٥ - سفينة البحار - عباس القمي - دار الاسوة - قم

٧٦ - كتاب سليم بن قيس الهلالي، تحقيق الأنصاري - نشر الهادي - قم.

حرف المئين

٧٧ - مدوح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي، دار الحلبي وشركاه، مصر، وطبعة دار الفكر، بيروت.

حرف الصاد

٧٨ - صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري للمتوفى سنة ٢٦١ هجرية تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. دار احياء التراث العربي بيروت.

٧٩ - صحيح النسائي، مكتب التربية العربي لدول الخليج ١٤٠٨ هـ

- ٨٠ - صحيح الترمذي، مكتب التربية العربي لدول الخليج ١٤٠٨ هـ
 ٨١ - صحيح أبي داود، مكتب التربية العربي لدول الخليج ١٤٠٩ هـ
 ٨٢ - صحيح ابن ماجه، مكتب التربية العربي لدول الخليج ١٤٠٨ هـ
 ٨٣ - صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل بن ابراهيم المتوفى سنة ٢٥٦ هجرية دار
 القلم - بيروت.
 ٨٤ - الصحيح من سيرة النبي الاعظم، جعفر مرتضى، دار السيرة، بيروت.

حرف العين

- ٨٥ - العقد الفريد، ابن عبد ربه، دار احياء التراث العربي بيروت.
 ٨٦ - عمر بن الخطاب الفاروقى القائد، محمود شيت خطاب، دار مكتبة الحياة -
 بيروت.
 ٨٧ - عبقريه عمر، عباس محمود العقاد، دار الهلال.
 ٨٨ - عيون الاخبار - عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينورى المتوفى سنة ٢٧٦ هجرية.
 دار الكتب المصرية - القاهرة ١٩٢٥ م.

حرف الفين

- ٨٩ - الفارقات، ابراهيم بن محمد بن سعيد ابن هلال الثقفي، دار الكتاب الاسلامي،
 ايران.

حرف الفاء

- ٩٠ - الفتوح، ابن اعلم، احمد بن اعلم الكوفي المتوفى سنة ٣١٤ هجرية دار الكتب
 العلمية.
 ٩١ - الفاروق عمر، محمد حسنين هيكل، دار المعارف - مصر، ط- الخامسة.

٩٢ - فتح الباري، احمد بن على بن حجر العسقلاني، المتوفى سنة ٨٥٢ هجرية. دار الكتب العلمية، بيروت.

٩٣ - فتوح الشام، محمد بن عمر الواقدي، المتوفى سنة ٢٠٧ هجرية. دار الكتب العلمية، بيروت.

حرف القاف

٩٤ - قصص العرب، جاد الحق والبجاوي ومحمد أبو الفضل، دار احياء الكتب العربية.

حرف الكاف

٩٥ - الكامل في التاريخ، ابن الأثير على بن أبي الكرم الشيباني، دار بيروت ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م.

٩٦ - فتوح البلدان، احمد بن يحيى البلاذري، تحقيق رضوان محمد رضوان دار للكتب العلمية - بيروت.

٩٧ - الكافي، أبي جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني، المتوفى سنة ٣٢٩ هجرية دار الكتب العلمية، طهران.

حرف اللام

٩٨ - لسان الميزان، احمد بن على بن حجر العسقلاني، المتوفى سنة ٨٥٢ هجرية دار الفكر - بيروت.

٩٩ - لسان العرب، ابن منظور محمد بن مكرم، مطبعة ادب الحوزة ١٤٠٥ هـ

حرف الميم

١٠٠ - المعارف، لأبي محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة، دار الثقافة - مصر.

- ١٠١ - مروج الذهب، علي بن الحسين المسعودي، دار الأندلس بيروت.
- ١٠٢ - مقاتل الطالبين، أبو الفرج الأصفهاني، المتوفى سنة ٣٥٦ هجرية الطبعة الثانية المكتبة الحيدرية - النجف.
- ١٠٣ - مختصر تاريخ دمشق، ابن عساكر، لمحمد بن مكرم (ابن منظور) دار الفكر - دمشق.
- ١٠٤ - ميزان الاعتدال، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، المتوفى سنة ٧٤٨ هجرية دار المعرفة - بيروت.
- ١٠٥ - المغازي، محمد بن عمر الواقي المتوفى سنة ٢١٢ هجرية طبع دار المعرفة الإسلامية ١٤٠٥ هجرية.
- ١٠٦ - مناقب أمير المؤمنين عمر، محمد بن الجوزي، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ١٠٧ - المنتظم، أبو الفرج بن الجوزي، المتوفى سنة ٥٩٧ هجرية. دار الكتب العلمية - بيروت.
- ١٠٨ - المآل، هشام ابن الكلبي، دار الهدى للتراث - بيروت.
- ١٠٩ - من لا يحضره الفقيه، لأبي جعفر محمد بن علي ابن بابويه القمي الصدوق، نشر الإمام المهدي عليه السلام - قم.
- ١١٠ - مرآة العقول، محمد باقر المجلسي، دار الكتب العلمية - طهران.
- ١١١ - معاني الاخبار، أبو جعفر محمد بن علي الصدوق، المتوفى سنة ٣٨١ هجرية مؤسسة النشر الإسلامي، قم.
- ١١٢ - المستدرك، الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري المتوفى سنة ٤٠٥ هجرية، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ١١٣ - مقتل الحسين عليه السلام، الموفق بن أحمد المكي الخوارزمي، المتوفى سنة ٥٦٨ هجرية. دار انوار الهدى، قم.
- ١١٤ - المناقب، الموفق بن أحمد الخوارزمي، المتوفى سنة ٥٦٨ هجرية. مؤسسة النشر الإسلامي - قم.

- ١١٥ - معجم للبلدان، أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، المتوفى سنة ٦٢٦ هجرية.
دار الكتب العلمية، بيروت.
- ١١٦ - المحلى، على بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي - طبع دار الفكر.
- ١١٧ - معجم الادباء، ياقوت بن عبد الله الحموي، المتوفى سنة ٦٢٦ هجرية. دار التراث العربي، بيروت.
- ١١٨ - المعجم الكبير، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، المتوفى سنة ٣٦٠ هجرية.
دار احياء التراث العربي، بيروت.
- ١١٩ - معجم رجال الحديث، أبو القاسم الموسوي الخوئي، مركز نشر آثار الشيعة، قم.
- ١٢٠ - الملل والنحل، الشهرستاني، المكتبة الانجلو مصرية - القاهرة.
- ١٢١ - مرآة الجنان لعبد الله بن أسعد بن علي الياقبي المتوفى سنة ٧٦٨ هجرية دار الكتب العلمية.
- ١٢٢ - مشكل الآثار لأحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي. المتوفى سنة ٣٢١ هجرية.
دائرة المعارف الهند طبعة ١٣٢٣ هجرية.

حرف اللون

- ١٢٣ - نوادر المخطوطات - عبد السلام هارون - دار الجيل - بيروت.
- ١٢٤ - النسب، لأبي عبيد القاسم بن سلام، المتوفى سنة ٢٢٤ هجرية دار الفكر، بيروت.

حرف الواو

- ١٢٥ - وقعة صفين، نصر بن مزاحم المنقري، المتوفى سنة ٢١٢ هجرية. مكتبة المرعشي النجفي، قم ١٤١٨ هـ.

- ١٢٦ - وفيات الأعيان، احمد بن محمد بن ابراهيم ابن خلكان، المتوفى سنة ٦٨١ هجرية دار الكتب العلمية، بيروت.
- ١٢٧ - وسائل الشيعة، محمد بن الحسن الحر العاملي، المتوفى سنة ١١٠٤ هجرية. دار احياء التراث العربي، بيروت.
- ١٢٨ - وقعة الحلف - لأبي مخنف لوط بن يحيى - مؤسسة النشر الإسلامي - قم.
- ١٢٩ - الوفا بأحوال المصطفى لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ هجرية. دار الكتب العلمية.

حرف الياء

- ١٣٠ - ينابيع المودة، سليمان بن ابراهيم القندوزي الحنفي، - الشريف الرضي، قم.

فهرس الموضوعات

الإهداء	٥
المقدمة	٧
الجزء الاول ، القسم الأول: عثمان في زمن النبي ﷺ	١٣
الباب الأول: الحالة الاجتماعية	١٣
الفصل الأول: التنافس الهاشمي - الأموي	١٥
بنو أمية وأصلهم	١٥
التنافس الهاشمي الأموي	٢٠
الصراع الحاد بين هاشم وأمية	٢٢
الفصل الثاني: نسب عثمان وصفته وأخلاقه	٢٧
نسب عثمان بن عفان	٢٧
صفة عثمان وأخلاقه	٣١
الفصل الثالث: وزور معاوية الأنساب	٣٥
عثمان ابن البيضاء حقيقة أم اختلاق؟	٣٥
الفصل الرابع: هل كان عثمان صهراً للنبي؟	٤٧
أحاديث النبي ﷺ في بني أمية	٤٧
أولاد خديجة من رسول الله ﷺ	٤٨
من هو الصهر الوحيد للنبي ﷺ؟	٤٩

- هل كانت فاطمة عليها السلام بنتاً وحيدة للنبي ﷺ؟ ٥١
- رقية وأم كلثوم امرأة واحدة أم إثنان؟ ٥٤
- مقتل رقية ٦٠
- العقاب النبوي ٦٥
- الانتقام العثماني ٦٨
- من منع البكاء على المظلومين؟ ٧١
- الباب الثاني: الاعتقاد والأعمال ٧٥
- الفصل الأول: أعمال عثمان وثقافته وتوجهاته ٧٧
- إسلام علي عليه السلام وأبي بكر وعثمان ٧٧
- أثر الثقافة الأموية في توجهات وأعمال عثمان ٨٥
- هل هاجر عثمان إلى الحبشة؟ ٨٨
- الهجرة الثانية إلى الحبشة كذوبة أموية ٩١
- كذب الهجرة الثانية إلى الحبشة ٩٤
- الفصل الثاني: عثمان - الجهاد ٩٧
- الفازون من معركة بدر ٩٧
- معجزات حرب أحد ١٠٢
- هزيمة المسلمين في أحد ١٠٣
- روايات وأحاديث مزيفة ١١٣
- الفصل الثالث: عثمان - الحديبية ١١٧
- واقعة الحديبية ١١٧
- ممثلو قريش ١١٨
- الآيات الباهرة ١٢٠
- سبب بيعة الرضوان ١٢١

١٢٨	بطلب من ذهب عثمان إلى مكة؟
١٣٤	بيعة الرضوان
١٣٥	إعتراض على بنود صلح الحديبية
١٤٠	شروط الصلح
١٤٣	الفصل الرابع: محاولة اغتيال النبي ﷺ في العقبة
١٤٣	محاولة اغتيال النبي ﷺ
١٤٨	رواية ابن حزم الأندلسي
	الفصل الخامس: مواقف عثمان من حملة أسامة
	ووصية النبي ﷺ ١٥٥
١٥٥	المخالفون لحملة أسامة؟
١٦٣	حادثة يوم الاثنين وكتابة الوصية
١٧١	للقسم الثاني: عثمان في زمن الشيخين
١٧١	الباب الأول: عثمان - السقيفة
١٧٣	الفصل الأول: عثمان والأعراب والسقيفة
١٧٣	أثر السقيفة والشورى في مقتل الخلفاء
١٧٥	دور عثمان في السقيفة
١٨٠	دور المنافقين في الحكم
١٨١	أثر الأعراب في السقيفة
١٨٩	كيف انتصرت الأطروحة القرشية على الأطروحة الحضارية؟
١٩٣	الفصل الثاني: عثمان مع أبي بكر وأرغامه
١٩٣	وصية مزورة
١٩٩	العلاقة بين عثمان وأبي بكر وعمر
٢٠٤	علاقة عثمان - طلحة

- اغتيال طلحة بن عبدالله التيمي ٢٠٦
- عبدالرحمن بن أبي بكر ٥٨ هـ ٢٠٧
- الفصل الثالث: عثمان - عمر ٢١١
- كيف تمكّن عمر من كبح جماح جيش الشام؟ ٢١١
- دور جيش الشام في القضاء على الانقلابات السياسية ٢٢٢
- في زمن عمر ٢٢٤
- في زمن عثمان ٢٢٧
- مقتل عمر وأعضاء الشورى الذين عيّنهم ٢٣٠
- مجلس الشورى ٢٣٥
- القيادة الحزبية والقبلية ٢٤٠
- الباب الثاني: عثمان - قريش ٢٤٣
- الفصل الأول: عثمان - ابن الجراح ٢٤٥
- كان ابن الجراح الخليفة الثالث، فلماذا أبدل بعثمان؟ ٢٤٥
- من هو الأمين عثمان أم ابن الجراح؟ ٢٤٩
- عزل واغتيال أبي عبيدة بن الجراح ٢٥٢
- من وراء اغتيال الصحابي أبي عبيدة بن الجراح ٢٥٥
- الفصل الثاني: عثمان - قريش ٢٦١
- معاهدة قبائل قريش في تناوب الرئاسة ٢٦١
- من هو المؤسس، والعقل المفكر لدولة بني أمية في الشام؟ ٢٦٦
- حبّ قريش لعثمان ٢٦٨
- الحزب القرشي والمنهج السياسي ٢٦٩
- القسم الثالث: عثمان في زمن حكمه ٢٧٣
- الباب الأول: تعيين عثمان خليفة ٢٧٣

٢٧٥	الفصل الأول: الدهاء في الحكم
٢٧٥	الاحتتيال في الحكم
٢٨٠	الدهاء الثلاثة
٢٨٢	إضفاء عناوين خطيرة على الزعماء
٢٨٢	بيعة عمر لعثمان غير المباشرة
٢٨٦	أحداث الشورى
٢٨٩	الفصل الثاني: الإمام علي عليه السلام - شورى عمر
٢٨٩	هل كان رأي المؤمنين مع الإمام علي عليه السلام أيام الشورى؟
٢٩٢	أخبار علي عليه السلام بعلاقة أبي بكر - عمر المستقبلية
٢٩٢	وعلاقة عثمان - ابن عوف المستقبلية
٢٩٦	لو بايع الناس علياً عليه السلام بعد عمر ماذا كان سيحدث؟
٣٠٢	رأي الإمام علي عليه السلام في شورى عمر
٣١١	الفصل الثالث: عثمان - ابن عوف
٣١١	عزل ابن عوف عن الخلافة
٣١٤	ابن عوف - خالد
٣١٦	اعتراض عبدالرحمن بن عوف
٣١٨	انقلاب ابن عوف على عثمان
٣٢٥	الفصل الرابع: عثمان - اليهود
٣٢٥	بولص الإسرائيلي
٣٢٦	بولص محرّف النصرانية
٣٢٨	التحالف القرشي اليهودي
٣٢٩	استخدام اليهود والنصارى
٣٣٠	موقف النبي صلى الله عليه وآله وسلم من نعتل اليهودي

- ٣٢٣ كعب الأحبار وعثمان
- ٣٣٥ من دفن في مقبرة اليهود
- ٣٣٨ رغبة اليهود في اخراج النبي ﷺ من المدينة
- ٣٤١ الفصل الخامس: عثمان - أرحامه
- ٣٤١ دعم عثمان لأبي سفيان
- ٣٤٣ حكومة الصبيان
- ٣٤٦ عبدالله بن سعد بن أبي سرح
- ٣٤٩ الحكم بن أبي العاص
- ٣٥٥ معاوية
- ٣٦٧ حب عثمان اللامحدود لمروان
- ٣٧١ مروان بن الحكم
- ٣٧٢ مساعدة عثمان للحارث بن الحكم
- ٣٧٥ سعيد بن العاص المتزف
- ٣٧٧ موقفة من الجمل
- ٣٧٩ الوليد الغاسق
- ٣٨٣ مقتل عقبة في الأسر هل هي قضية مختلفة؟
- ٣٨٨ عبدالله بن عامر بن كريز
- ٣٩١ الفصل السادس: القرآن - عثمان
- ٣٩١ آيات القرآن في بني أمية
- ٣٩٢ ما نزل من القرآن في عثمان
- ٣٩٧ فيمن نزلت سورة عبس وتولى؟
- ٣٩٩ البراهين على نزول السورة في عثمان
- ٤٠٥ الفصل السابع: عثمان - الحديث

٤٠٥	منع عثمان لتدوين الحديث
٤١١	وضع الحديث في عثمان
٤١٢	اختلاق معاوية للحديث
٤١٥	اختلاق العباسيين للحديث
٤١٩	الفصل الثامن: الإمام علي عليه السلام - عثمان
٤١٩	خلافة علي بن أبي طالب عليه السلام
٤٢٠	شكوى الإمام علي عليه السلام من قريش
٤٢١	علاقة الإمام علي عليه السلام - عثمان
٤٢٢	دعاء الإمام علي عليه السلام على أعدائه
٤٢٣	علوم الغيب عند الإمام علي عليه السلام
٤٢٥	رأي الإمام علي عليه السلام في قتل عثمان
٤٢٨	المنهج العثماني والمنهج العلوي
٤٣١	مواقف معارضة لأهل بيت النبوة:
٤٣٧	للجزء الثاني، القسم الرابع: علوم عثمان
٤٣٩	الباب الأول: النواحي المختلفة
٤٣٩	الفصل الأول: للقضايا الفقهية والعلمية
٤٤١	صلاة السفر عند عثمان
٤٤٦	للصلاة سكراناً
٤٤٩	نداء يوم الجمعة الثالث
٤٥٢	توسيع المسجد الحرام
٤٥٤	متعة الحج عند عثمان
٤٥٥	منهج قومي
٤٥٩	مخالفة غسل الجنابة

٤٦٢	زكاة الخيل
٤٦٥	من قَدَّم الخطبة على الصلاة في العيدين؟
٤٦٨	القصاص والدية بين النص والاختلاق
٤٧٢	القراءة في الصلاة
٤٧٤	رأي مالك:
٤٧٥	صلاة المسافر في رأي عثمان
٤٨٠	صيد الحرم في رأي عثمان
٤٨٣	عدة المختلعة
٤٨٧	امراة المفقود في الشرع الإسلامي
٤٨٩	الجمع بين الأخنتين بالملك
٤٩٢	صدقة رسول الله ﷺ العامة تصبح خاصة!
٤٩٣	حمى الجاهلية
٤٩٥	وأصبحت فدك لمرwan
٤٩٧	الأموال والصدقات
٤٩٩	القسم الخامس: الثورة الكبرى
٤٩٩	الباب الأول: هلل الثورة
٤٩٩	الفصل الأول: الأسباب والوقائع
٥٠١	السبب الديني في الثورة
٥٠٣	السبب الاجتماعي للثورة
٥٠٨	ما نقم الناس على عثمان
٥١٤	السبب الاقتصادي في الثورة
٥١٧	الفصل الثاني: القصور والأموال المنهوبة
٥١٧	قصور عثمان

هل يصح الصحابي حرامياً؟	٥٢٠
عطايا عثمان	٥٤٢
نظرية عثمان في الأموال	٥٤٦
الفصل الثالث: عزل عثمان لبعض ولاية عمر	٥٤٩
المغيرة بن شعبه	٥٥٠
موقف محمد بن مسلمة الأنصاري	٥٥٢
أبو موسى الأشعري	٥٥٧
عمرو بن العاص	٥٦١
اعتراض ابن العاص وابن مسلمة	٥٦٥
الباب الثاني: وقائع الثورة	٥٦٧
الفصل الأول: المواقف والرسائل	٥٦٩
رسالة الصحابة الخطيرة لعثمان	٥٦٩
رسالة عثمان إلى معاوية وابن عامر	٥٨١
موقف معاوية من عثمان	٥٨٤
رغبة معاوية بقتل عثمان	٥٨٥
الفصل الثاني: عثمان - الصحابة	٥٨٧
موقف الصحابة من عثمان	٥٨٧
القيادات الجماهيرية المخالفة لعثمان	٥٨٨
عداء عثمان لعمار	٥٨٨
البيعة	٥٩٣
نداءات أبي ذر الخالد وشهادته	٥٩٤
صمود عبدالله بن مسعود وشهادته	٥٩٧
اغتيال حذيفة بن اليمان	٥٩٩

- ٦٠١ اغتيال المقداد بن عمرو
- ٦٠٢ اغتيال أبي بن كعب الأنصاري
- ٦١١ نفي المعارضين
- ٦١٣ الفصل الثالث: علاقة عثمان - عائشة
- ٦١٣ العداء الدموي بين الإثنين
- ٦١٦ احتجاج عائشة
- ٦٢٠ فتوى عائشة بذبح عثمان وقتل من أطاعها في قتل عثمان
- ٦٢٤ اغتيال أم المؤمنين عائشة سنة ٥٨ هـ
- ٦٢٥ لماذا ترك عثمان عائشة وقتلها معاوية
- ٦٢٨ ردع معاوية الناس من البكاء على عائشة
- ٦٢٨ دفن عائشة ليلاً
- ٦٣١ الفصل الرابع: طمس معالم الثورة
- ٦٣١ طمس الثورة الإسلامية ضياع لثراث المسلمين
- ٦٣٧ السياسة الإسلامية والسياسة العلمانية
- ٦٣٩ انهزام البنية التحتية لدولة عثمان في ١٢ عاماً
- ٦٤٥ الفصل الخامس: عثمان - فوار مصر
- ٦٤٥ تحرر مصر من الأمويين
- ٦٤٦ محمّد بن أبي حذيفة
- ٦٥٠ هل غدر عثمان بالوفد المصري؟
- ٦٥٢ وانكشف القدر
- ٦٦١ الفصل السادس: مقتل عثمان
- ٦٦١ الأصول الكبرى لمقتل عثمان
- ٦٦٥ الأسباب الكامنة وراء مقتل عثمان

٦٧٠	الذين أفتوا بقتل عثمان
٦٧٤	أثر ابن عوف في مقتل عثمان
٦٧٦	مقتل عثمان بفتوى عائشة
٦٨١	من قتل عثمان بن عفان؟
٦٨٣	مقتل عثمان
٦٨٤	الدفن ليلاً
٦٨٧	فهرس المصادر
٦٩٩	فهرس الموضوعات

صدر للمؤلف

- ١ - الفكر القومي إسلامياً و تاريخياً
- ٢ - سقوط الدول والحكومات (دراسة في النموذج الأندلسي)
- ٣ - سقوط الدول والحكومات (دراسة في النموذج العثماني)
- ٤ - السقيفة إنقلاب أبهظن
- ٥ - هل اغتهل النبي محمد ﷺ ؟
- ٦ - المحتيال الخليفة أبي بكر والسيدة عائشة
- ٧ - نكريات الخليفتمن (٢ مجلد)
- ٨ - السهرة النهمية (٢ مجلد)
- ٩ - نساء النبي ﷺ وبناته
- ١٠ - يهود بثوب الإسلام
- ١١ - صاحب الغار أبو بكر أم رجل آخر؟
- ١٢ - هل قتل الباهليتون والنصارى والمسلمون اليهود؟
- ١٣ - الإرهاب
- ١٤ - نكريات الخليفة عثمان بن عفان (٢ مجلد)

